



الخدمة الاجتماعية النّاهضة

(قواعد ومبادئ)

أ.د. عقيل حسين عقيل

2022م

(إذا لم تستطع أن تكون شلالاً من على القمم المرتفعة، كن
ينبوعاً في الوادي، كن شجرة زيتون على سفح الجبل، فإن لم تستطع
أن تكون شجرة زيتون كن زهرة في قلب الوادي، وإن لم تستطع أن
تكون زهرة في قلبه كن أفضل نبتة فيه، ولا تيأس فإن النبتة تُزهر
وتُثمر.)

المحتويات

6.....	المقدمةُ
7.....	القواعد المهنية للخدمة الاجتماعية
11.....	الخدمة الاجتماعية
12.....	خدمات اجتماعية
13.....	القاعدة
14.....	قاعدة (الإنسان قوة)
25.....	قاعدة الممكن تيسير
42.....	قاعدة التواصل الاجتماعي
49.....	قاعدة الكلمة حجة
54.....	قاعدة الاستيعاب مشاركة
62.....	قاعدة الترابط العلائقي
68.....	قاعدة المقارنة تمييزاً
76.....	قاعدة الثابت اهتزازاً
82.....	قاعدة الظاهر كمون
87.....	قاعدة التحجج دليلاً
92.....	قاعدة الشك تيقناً

99	المبادئ المهنية للخدمة الاجتماعية
101	مبدأ تحدي الصعاب
116	مبدأ إحداث النُّقلة
125	مبدأ استبصار الذات
136	مبدأ تبادل التقبُّل
143	مبدأ الاتزان الوجداني
149	مبدأ اعتبار الخصوصية
152	مبدأ تفهُم الظروف
157	مبدأ غرس الثقة
159	مبدأ إحراز التقدير
172	مبدأ ترسيخ المكانة
179	مبدأ تفخيم الكرامة
187	مبدأ تعزيز الموضوعية
199	مبدأ تصحيح المعلومة
205	مبدأ حقّ المشاركة
216	مبدأ الأهداف تُنجز
225	مبدأ تدبُّر الحاضر

239 مبدأ الأغراض تتحقق
247 مبدأ الغايات تُبلغ
259 مبدأ نيل المأمول
271 مبدأ نيل الاعتراف
280 مبدأ تبادل الاحترام
287 مبدأ ترسيخ الشفافية
289 مبدأ الاستيعابُ احتواء
307 صدر للمؤلف
309 المؤلفات
328 المؤلف في سطور

المقدمة

أقدم مؤلفنا الخدمة الاجتماعية الناهضة (قواعد ومبادئ) للقراء الكرام، وبخاصة المتخصصين في ميادين الخدمة الاجتماعية ومجالاتها والممارسين لها في المؤسسات ودور الرعاية، والذين يرسمون الخطط والاستراتيجيات، والذين يعدّون البرامج؛ ليكون بين أيديهم جهودًا يرشدُ إلى ما يجب مهنيًا.

ومع أنّ أهل التخصص مُلمّون بمبادئ المهنة وممارسون لها، فإنّ المهنة لم تعد تلك الساكنة على تلك القواعد والمبادئ الساكنة، بل في بهاءٍ تنهض وتتجدد.

ولأنّ مهنة الخدمة الاجتماعية مهنة إنسانية، فليس لها من بدٍ إلا أن تنهض وتتجدد؛ لتكون سبّاقة لاستقرار الواقع الذي لم يعد متطابقًا مع ذلك الواقع الذي تجاوزته كلّ العلوم وبمختلف تخصصاتها.

ومع أنّ القواعد والمبادئ في العلوم الاجتماعية والإنسانية تغلب عليها صفة الاستقرار والديمومة؛ فإنّه ليس لنا من بدٍ إلا أن ننهض بها إذا أريد لها أن تكون مواكبة للجديد الذي فرض واقعًا جديدًا لا ينبغي غض النظر عنه، ولا ينبغي التخلف، إنّه الواقع الذي يتطلّب تغيير المناهج والأساليب والوسائل المؤهّلة إلى ذلك؛ ومن هنا نقدّم قواعدًا جديدة بأسلوبٍ جديد ومبادئ ناهضة بأسلوب ناهض.

في هذا العصر أصبحت المعلومات الرقمية غازية لحاضرنا، وهي المتسارعة والمتنوعة والمتجددة على الرغم من حداثتها، وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة هي الأخرى أصبحت غازية عقول الناس، وبخاصة الشباب، وهذه تستوجب مهنة ناهضة تميز بين ما يجب وتحفز عليه وتحرض، وما لا يجب وتنبه إلى مخاطره وكيفية تفاديها.

ولذا علينا أن ننتبه إلى أهمية التعرف على قواعد المهنة ومبادئها الناهضة، لكي ننهض معها ونحن واثقون من إنجاز أهدافنا المهنية وتحقيق أغراضنا وبلوغ غاياتنا ونيل مأمولنا وفقاً لخطط ترسم وسياسات هادفة.

أ.د. عقيل حسين عقيل

2022م

القواعد المهنية للخدمة الاجتماعية

الخدمة الاجتماعية الناهضة هي المهنة التي لا تقبل الاستكانة والجمود، بل هي المهنة المتفاعلة مع متغيّرات العصر، والمستوعبة لمعطيات النهوض تقدّمًا وتجديدًا يميّز من إحداث التّقلّة، وبيث الحيويّة الفعّالة في عقول المتخصّصين والدارسين وفي أنفسهم وضمائرهم.

ومن خلال هذا المؤلّف يتمّ التعرّف على معطيات القوّة الجذّابة من خلال القواعد والمبادئ التّالية:

القواعد المهنية للخدمة الاجتماعية هي تلك القواعد المؤسّسة للبحث العلمي وبموضوعيّة، وهي التي يلتزم بها الأخصائي الاجتماعي أثناء أدائه لدوره المهني دون أن يغفل عن قاعدة منها، وهذه القواعد تجنّب الباحث الاجتماعي والأخصائي الاجتماعي من الاخذ بالأحكام السّابقة غير القابلة للقياس وبخاصّة عندما تكون متأثرة بالعواطف التي تميل بأصحابها عمّا لا ينبغي الميل عنه.

والقواعد المهنية للبحث العلمي هي تلك الحقائق التي لا يمكن الاغفال عنها وفقًا لكلّ مجال ولكلّ تخصّص ولكلّ مهنة؛ ذلك أنّها المرجعيّة التي تؤسّس لمشروع إنسانيّ ناهض، وهي المستمدّة من القيم التي يُحتكم بها ويحتكم إليها.

ومن هنا فإنَّ قواعد البحث العلمي في الخدمة الاجتماعيَّة قواعد إنسانيَّة بنائيَّة (تتَّهم ببناء الإنسان قيماً خيِّرة وفضائلًا حميدة)، ويتم من خلالها تناول القضايا والمواضيع والمشاكل تناولٌ موضوعي؛ حيث لا مجال للشَّخصنة في ممارسة مهنة شخصانيَّة؛ ولهذا يُعد الأخصائيُّون الاجتماعيُّون إعدادًا مهنيًّا وفقًا لفلسفة المهنة ومبادئها وأهدافها والحكمة التي من ورائها.

ومع أنَّ قواعد البحث العلمي ذات مفهوم عام وشامل، فإنَّ لقواعد هذه المهنة من الخصوصيَّات ما يُميِّز كلَّ تخصص وكلِّ خصوصيَّة؛ ولذا فلا تمييز للعلوم والمهن ولا تميُّز لها إلاَّ باتِّباع خطوات البحث العلمي وقواعده البنائيَّة.

ومن هنا فلا يُمكن أن تأخذ العلوم مكانتها المرموقة ما لم يكن للعلوم قواعد تستند عليها حُجَّة.

ووفقًا لهذه الأسس المعياريَّة اتخذت مهنة الخدمة الاجتماعيَّة قواعدها البحثيَّة من تلك النَّظريَّات الاجتماعيَّة والنَّفسيَّة والأخلاقيَّة؛ ومن هنا اتَّصفت هذه المهنة بالإنسانيَّة؛ إذ لا ترى الإنسان إلاَّ قيمة في ذاته، وقد خَلقه الله تعالى في أحسن تقويم.

ومن ثمَّ يعمل الأخصائيُّون الاجتماعيُّون مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤسَّسات العمل الاجتماعي، والرِّعاية الاجتماعيَّة، والضَّمان الاجتماعي، والمدارس، والمستشفيات، بغايات وقائيَّة وعلاجيَّة

وإنمائية، وهذه كلّها تُمكن من الإصلاح والتأهيل وإيجاد الحلول والخروج من التّأزّيمات.

ولأنّ ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعيّة يقوم بها أخصائيّون اجتماعيّون فهي بلا شكّ لا تكون إلّا مستندة على قواعد البحث العلمي؛ ولهذا تهتم مهنة الخدمة الاجتماعيّة بدراسة حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات بحثًا معمّقًا.

ودراسة الحالات تعني التّوسّع والتّعمّق في تناول دراسة المتغيّرات المتداخلة في عِلل الحالة ومسبباتها؛ ولذا فدراسة الحالة هي دراسة شاملة وخاصّة؛ فهي الشّاملة للحالة من حيث جوانبها النّفسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والدّوقيّة والثقافيّة، وهي خاصّة كونها متناولة لحالة واحدة بعينها ودون سواها، سواء أكانت الحالة نواة لشخصٍ بذاته، أم إنّها كانت ممتدّة تنطلق منه إلى محيطه الخاصّ به (زوج وأفراد أسرة وعلاقات مدرسيّة وعمل أو علاقات مناشط متنوّعة).

إذن: دراسة الحالة المعمّقة لا تكون إلّا دراسة من قِبَل المتخصّصين والمؤهلين مهنيًا، الذين لا يتولّون دراسة أيّ حالة إلّا وهم يعرفون أنّ لكلّ حالة تاريخ ينبغي أن تفتح صفحاته وفقًا لقواعد البحث العلمي ومبادئ المهنة وأهدافها، بغاية الإصلاح وإيجاد الحلّ الذي يمكن من الاعتماد على النفس رغبة وإرادة.

قبل البحث في هذا الموضوع ينبغي علينا أن نُميّز بين المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة بمهنة الخدمة الاجتماعية (قواعد، ومبادئ، وأهداف، وقيم) وفقاً للآتي:

الخدمة الاجتماعية:

ورد في معايير الخدمة الاجتماعية للقوى العاملة في أمريكا تعريف الاتحاد القومي للأخصائيين الاجتماعيين الأمريكي (NASW) أن الخدمة الاجتماعية هي: النشاط المهني لمساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات لتعزيز وتدعيم قدراتهم على أداء وظيفتهم الاجتماعية، وإيجاد ظروف اجتماعية مواتية ومؤيدة لهذا الهدف، وتتألف ممارسة الخدمة الاجتماعية من التطبيق المهني لقيم الخدمة الاجتماعية ومبادئها ووسائلها الفنية لواحد أو أكثر من الغايات التالية:

- 1 . مساعدة الأفراد في الحصول على خدمات ملموسة وفعّالة.
- 2 . تقديم المشورة والعلاج النفسي للأفراد والأسر والجماعات.
- 3 . مساعدة المجتمعات والجماعات على تقديم أو تحسين الخدمات الاجتماعية والصحية.
- 4 . المشاركة في عمليات وضع التشريعات المتعلقة بالنواحي الاجتماعية.

وعليه: فإنَّ الخدمة الاجتماعيَّة مهنة تأسست على قيم ومبادئ مستمدَّة من نظريات اجتماعيَّة ونفسية يمارسها أخصائون اجتماعيون معدَّون إعدادًا علميًّا وفنيًّا ومهاريًّا على كيفية التعامل موضوعيًّا وسلوكيًّا مع الحالات الفردية والجماعية والمجتمعية بعد دراستها دراسة موضوعيَّة وافية¹.

خدمات اجتماعيَّة:

جهود تبذل وخدمات تقدَّم من قبل المكلفين بمهام خدميَّة يمارسونها من خلال وظائف حكوميَّة وأهليَّة لمن هم في حاجة إليها أفراد أو جماعات أو مجتمعات، وعلى مستوى محلي ودولي، يؤدِّي هذه الخدمات موظفون ومسؤولون وعاملون وأخصائون ومتطوِّعون للأعمال الخيريَّة؛ وهي جهود هادفة لتحسين أحوال النَّاس والرُّقي بهم إلى ما يُشعرهم بقيمهم الإنسانيَّة، كما يُشعر القائمين على ذلك بأنَّهم على مستوى المسئوليَّة الملقاة على عاتقهم من قبل الحكومة، أو من قبل الشَّعب.

وكما أنَّ الحاجات دائميًّا في حالة تطوُّر فكذا الخدمات ينبغي أن تكون هي الأخرى في حالة تطوُّر وإلا لن تُسهم في تحقيق التوافق الاجتماعي، وفي دفع حركة المجتمع وتقدُّم أفراده وجماعاته إلى ما يأملون بلوغه من غايات اجتماعيَّة وإنسانيَّة.

¹ عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم ومصطلحات)، المصرية، القاهرة،

2018م، ص 277.

القاعدة:

القاعدة أساس لتوازن الأفكار والفروض والقوانين والقيم، تؤسس عليها العلوم وتصاغ بها النظريات، والالتزام بها يؤدي إلى الممارسة العملية والسلوكية السليمة القابلة للقياس والتقييم الموضوعي.

ومع أنّ الالتزام بالقواعد يدلّ على سلامة العمل المنظم فإنّ لكل قاعدة استثناء، ومع أنّ القاعدة ينصّ عليها والاستثناء لا ينصّ عليه فإنّ السلوك الانحرافي في أساسه خروج عن قاعدة.

ولهذا؛ فالقاعدة ينصّ عليها وتنال الاتفاق والإجماع، والاستثناء لا ينصّ عليه ولا ينال الرضاء، وإن حدث يترك أثرًا يستوجب الدراسة والعلاج أو التقييم.

وعليه: فالالتزام بالقواعد يؤدي إلى التقدّم والتطوّر وسيادة النظم والقوانين، وبها تُرسخ القيم وتقوى الروابط بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

والفرق بين القاعدة والمبدأ، القاعدة أساس لصياغة القوانين والنظريات، والمبدأ قد يكون اتفاق بإرادة، وهو في بعض الأحيان يستبدل أو يغير كلما لزم الأمر للأطراف المتعاقدة، أمّا القواعد فهي القوّة التي على أساسها تتطوّر العلوم، ومع ذلك فالتداخل كبير بين القاعدة التي تؤسس

عليها النصوص والقوانين والنظريات والمبادئ التي تترجم إلى أساليب وبرامج عمل.

وعليه: فالقاعدة: ثبات القانون الطبيعي: (خَلْقًا)، وهيئة: (ما قبل الشكل والصورة)، ومادة: (الشكل والصورة)، ونوعًا: (تنوع المخلوقات)، وجنسًا: (ذكر، وأنثى)، وحيوية: (حركة وسكونًا).

فالقاعدة: معطية كلية تحتوي الجزء المحتوي على المتجزئ منه، منها تستمد القيم، وعليها تؤسس المبادئ، ويوصف الخروج عن القاعدة (شدًا)، والخروج عن القيمة (انحرافًا)، والخروج عن المبدأ: (ردّة، أو خيانة).

قاعدة

الإنسان قوّة

بناء على التساؤل المتوقع القول: كيف للإنسان الذي حُلق في أحسن تقويم، أن يوصف بأنه حُلق ضعيفًا؟

مع أنّ هذا التساؤل ليس بنتيجة، فإنه بلا شك يرشد إليها من حيث أنّ الإنسان، الذي حُلق في أحسن تقويم لا يكون إلا على القوّة الخلقية، أي: إنّ الإنسان من حيث الخلق قد حُلق على القوّة في دائرة النسبية، أمّا من حيث الأخلاق فكان الإنسان على الضعف ضعيفًا: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُثَوِّبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ

أَنَّ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} . ومع ذلك فقد يتساءل أو من يقول: ما زال في الأمر غموض.

أقول:

إِنَّ الْخَلْقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِيَدِ الْخَالِقِ الَّذِي قَالَ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} ²، ومن هنا فَحَسَنَ التَّقْوِيمِ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الصَّنْعَةِ وَجُودَتِهَا، الَّتِي جَعَلَتِ الْإِنْسَانَ هُوَ الْكَائِنِ الْمَفْضَلِّ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْأَخْلَاقُ وَمَا فِيهَا مِنْ ضَعْفٍ فَلَا تَكُونُ إِلَّا بِيَدِ الْمَخْلُوقِ (الْإِنْسَانِ) الَّذِي تَغْلِبُهُ الشَّهْوَةُ فَتَحِيدُ بِهِ عَنِ الْقُوَّةِ (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا).

ولذا فالإنسان قوّة؛ كونه صانع القوّة بقوّة ملكاته العقليّة التي تمكّنه من الاستقراء والاستنباط، والملاحظة والمشاهدة، مع مقدرته على التذكّر، والتدبّر، والتفكّر، ثمّ مقدرته على توليد الفكرة من الفكرة، وبالتالي إذا ما نظرنا أو تفحصنا ما يدور من حولنا من قوّة فلا نجد قوّة تغالب قوّة الإنسان الذي خلقه الله تعالى على القوّة.

وعليه: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْقُوَّةِ تَقْوِيمًا وَتَصَوُّبًا؛ فَكَانَ فِي حُسْنِ تَقْوِيمِهِ خَيْرَ مَخْلُوقَاتِهِ وَأَقْوَاهَا؛ وَلِأَنَّهُ كَذَلِكَ كَانَ آدَمُ أَوَّلَ الْخَلْقِ نَبِيًّا إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَمَعَ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مَفْضَلًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمِ،

فإنَّه على هذه القوَّة كلُّها هو الضَّعيف أمام قوَّة الخالق تعالى، كما أنَّه الضَّعيف أمام الشَّهوة؛ فعندما تغالبه الشَّهوة يكون ضعيفاً؛ لأنَّ الشَّهوة هي الضَّعف الذي حُلِق الإنسان عليه، فإن سيطرت الشَّهوة على عقل الإنسان وقلبه كان الإنسان على طبيعة خلق الشَّهوة ضعيفاً، ولكن إن هيمن العقل والقلب وسيطرا على الشَّهوة فالإنسان لا يكون إلا قوياً، وهذه صفات لا تستمدُّ إلا من صفات الخالق، ولأنَّها تستمدُّ من صفاته تعالى؛ فصفاته قوَّة، وهي مصدر لكلِّ قوَّة.

ومن ثمَّ فالاستغراب أن يغيَّر الإنسان بنفسه، فلا يلتفت إلى ما يجب أن يقدِّم عليه قوَّة، وما يجب أن ينتهي عنه قوَّة، وهنا يكمن الضَّعف؛ فالإنسان قوَّة هائلة تُحقِّق نجاحات إذا ما استثمرت استثماراً أمثل، وكل ما نراه قوياً هو ضعيف أمام قوَّة الإنسان العقلية، والحسية، والذوقية، ومهما نُظر للإنسان بأنَّه قوَّة فهو الضَّعيف أمام قوَّة خالقه؛ ومن ثمَّ فكل ممكن هو في دائرة النسبية؛ إذ لا مطلق إلا من عند الله تعالى.

فالإنسان بقوَّته يتفكَّر، ويتدكَّر، ويستقرأ، ويستنبط، ويخطط، ويقدم فينجز، ثم يُقوم فيُصحح، أو يُطوِّر، ومع ذلك فلا قوَّة للإنسان إلا الحجَّة؛ كونها علم يقين، أو المشاهدة والملاحظة؛ كونهما عين يقين، أو المعاشة؛ كونها حقُّ يقين³.

3 عقيل حسين عقيل، قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير،

2010، ص 22.

ومع أنّ الإنسان يعدُّ أقوى المخلوقات، فإنّه لن يكون على القوّة إذا ما غالبته الشّهور: { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا }⁴، وهنا أقول: لدى الإنسان تتوازن قوّة التحديّ التي بها يتمكّن من بلوغ الخوارق مع قوّة العاطفة التي تجعله تحت أقدام من يجب، ومن هنا فدائمًا لكل قاعدة استثناء.

وعليه: تأسست قاعدة الإنسان قوّة على أن (الفرد قوّة والجماعة أقوى والمجتمع أكثر قوّة)

ولذا فالإنسان قوّة هائلة، تُحقّق نجاحات إذا ما استثمرت استثمارًا أمثل، ويستمد الإنسان قوّته من القيمة التي قومه الله بها، هذا التقويم هو الذي جعل من الفرد قوّة، ومن الجماعة قوّة مضاعفة ومن المجتمع أكثر قوّة.

ولأنّ الإنسان خُلِقَ في أحسن تقويم، إذن فهو المقوم بما هو عليه من قوّة.

ومن ثمّ كل ما نراه قوي هو ضعيف أمام قوّة الإنسان العقلية والحسية والدوقية، ومهما نظرنا للإنسان بأنّه قوّة، فهو الضعيف أمام قوّة خالقه؛ ولذا فكل شيء ممكن هو في دائرة النسبية؛ حيث لا مطلق إلا من عند الله تعالى، ولهذا فالإنسان بقوته يتفكّر ويتذكّر، ويستقر ويستنبط، ويخطط ويقدم فينجز، ثم يُقوّم فيُصحح أو يُطوّر ثمّ يحدث النقلة.

وكما عرفنا أنّ الأفراد والجماعات قوّة بوحدهم وكيانهم، نتعرّف أيضاً
كيف أن القوّة الكليّة تتجزأ إلى الآتي:

- . قوّة العقل.
- . قوّة الحواس.
- . قوّة النّفس.
- . قوّة العاطفة.
- . قوّة الإرادة.
- . قوّة القرار.
- . قوّة الحجّة.
- . قوّة التنفيذ.
- . قوّة العلاج.
- . قوّة المتابعة.
- . قوّة التقييم.
- . قوّة التّويم.
- . قوّة التّصحيح.
- . قوّة الإصلاح.

قوة الحل.

. قوة الحاسة التامة: وهي التي تتداخل فيها جميع الحواس، البصر والبصيرة والاستماع والإنصات والذوق والتذوق والحس والإحساس والشم واللمس.

ولذا فهي العملية التفاعلية للحواس، حول ما يُشاهد أو يُلاحظ أو يُدرك أو يُستمع له أو يُذاق أو يُشم أو يتم التفكير فيه. إنها الحاسة (القمة) التي فيها تعمل جميع الحواس في وقت واحد وبكل قوة، حتى تتجسد الحركة في الفعل والسلوك الذي يجعل المتحرّكين على القوة الإدراكية؛ ولذا فعندما يتم التداخل بين الحواس، يكون الشيء الذي نُفكر فيه ذو قيمة؛ ولهذا لا تحدث الثقله بحاسة واحدة، بل تحدث بسلامة الحواس واكتمالها في وحدة واحدة تامة.

وعليه: فإنّ الإنسان القوّه ولكنّه لا يستمد قوّته إلّا من قوّه خالقه، ولا يستمد قدرته إلّا من قدرة خالقه، وكل معطيات القوّه يمكن أن تكون بيده إذا عرف أنّ عقله قوّه، وقدراته قوّه، ومهاراته قوّه، ثمّ إذا فكر وخطط، ورسم الاستراتيجيات وأنجز أهدافه بكل قوّه، وإذا لم يستثمر ذلك فلن يكون إلّا ضعيفًا.

ولان الإنسان قوّه في خلقه كمفردة بشريّة فهو أقوى على المستوى الجماعي والأكثر قوّه على المستوى المجتمعي.

وعليه فالإنسان قوّة في خَلقه كمفردة بشرية، وهو أقوى بمشاركته الجماعة، والأكثر قوّة بوحدته مع المجتمع.

وعليه فالقاعدة هي:

1. الفرد أقوى بمشاركته الجماعة.

2. الفرد أكثر قوّة بمشاركته المجتمع.

والاستثناء هو:

1. الفرد ضعف إذا ما قورن بقوّة الجماعة.

2. الفرد أكثر ضعفًا إذا ما قورن بقوّة المجتمع.

ولهذا فإنّ القوّة الاجتماعيّة تكمن في الآتي:

. قوّة العلاقات وتربطها.

. قوّة المشاركة وحجمها.

. درجة التفاعل وتماسكها.

. قوّة التنظيم وتشريعاته.

. قوّة الدّين وتسامحه.

. قوّة العرف وأصالته.

. قوّة القوانين وشفافيّتها.

- . ممارسة الديمقراطية بإرادة.
- . اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ.
- . تنفيذ القرارات عن وعي.
- . حمل المسؤوليات وتحمل ما يترتب عليها من أعباء.
- . إنجاز الأهداف.
- . تحقيق الأغراض.
- . بلوغ الغايات.
- . نيل المأمولات.
- . التطلع لما هو أكثر جودة ورفعة.
- . المقدرة على صنع المستقبل.
- . المقدرة على إحداث التُّقْلة.

وعليه: أُسِّس المنهج على قاعدة الإنسان قوَّة، ولا ينبغي أن ينظر إلى الإنسان غير ذلك، فإن نُظِر إليه على غير ذلك قُئِل من شأنه واعتباره؛ ولذا يعمل البَحَّاث والأخصائيين الاجتماعيين مع الأفراد والجماعات كقوَّة تفكير وإمكانات مُجمَّعة، من أجل خلق حيويَّة التُّقْلة فيهم، وبما يحقِّق لهم المنافع، وبما يعود على المحيط الاجتماعي من فوائد.

ولذلك فلا ينبغي أن يغفل المنهج عن قدرات الأفراد، ولا عن استعداداتهم ومواهبهم وطموحاتهم، مع الاستفادة في تحديد مدى فاعلية كل واحد منهم، ووضع استراتيجيات الإنجاز عند التعامل المهني مع كلٍ منهم؛ ومن هنا فقوة العقل تكمن في الطريقة التي يفكر بها الإنسان، وفيما يفكر فيه، وإذا ما تمكّن الباحث والأخصائيين من فهم الطريقة التي يفكر بها الإنسان، وفيما يفكر، واكتشفوا مكان القوة والضعف فيه، حينها يستطيعون إرشاده إلى كيف يفكر بقوة فيما هو أكثر صوابًا وفعلاً وجوداً. إنَّ عقل الإنسان وحده الممكن من استقبال المعلومات عن طريق الأعضاء الحسية، ونقلها إلى الدماغ؛ ليقوم بتحليلها وترجمتها في سلوك وفعل مُشاهد وملاحظ.

والباحث أثناء دراسته للحالة الفرديّة أو الجماعيّة ينبغي أن لا يقف عند حدّ السلوك والفعل المشاهد والملاحظ، بل عليه أن يدرك مصدر هذا السلوك والفعل، وهو العقل وما يحتويه من قوّة هائلة، وهذه القوّة هي التي جعلت مجموع قوّة الجماعة أو المجتمع هي من مجموع حاصل القوّة المجمعّة، وليس من حاصل القوّة المتفرّدة.

وعليه: هناك مجموعة من الخطوات توضح لنا كيفية عمل هذه القوّة، لأجل إدراك الكيفية التي يعمل بها العقل (حاصل مجموع أعضاء الجماعة أو أعضاء المجتمع)، ومن ثمّ نجد المبررات التي جعلت الفرد يسلك ويفعل سلوكًا سلبيًا، أو سلوكًا إيجابيًا، كما نتمكّن من تصحيح مسارات بعض

الغايات التي يريد الفرد أو الجماعة بلوغها؛ وبذلك نستطيع خلق نُقْلة في عقله أو عقل الجماعة؛ أي خلق النُّقْلة في كَيْفِيَّة التفكير وفيما يُفكر فيه، وبما يعود عليه من منافع وفوائد قيمية. وهذه الخطوات هي:

1- تنتظم المعلومات في عقل الإنسان في شكل مسارات عصبية متصلة، وكل معلومة أو فكرة تتحرَّك في مسارها الخاص، بما يُعطي ترابطاً عصبياً بين المعلومة المخزَّنة في الدماغ مع ردود أفعال كل إنسان؛ فعلى سبيل المثال: الإنسان الذي سبق وأن سُجن وأُفرج عنه، كلِّما مرَّ بأسباب مشابهة بالتي جعلته بين الجدران سجيناً تفكره بترابط عصبي في تلك الأعوام التي قضاها وهو مسلوب الإرادة.

ومن هنا فإنَّ كثير من السُّجناء وبخاصَّة السياسيين إذا سُجنوا عدَّة سنوات وتعرَّضوا إلى التعذيب والإهانات، وبخاصَّة إن كانوا أصحاب فكر ورأي، وساسة، فهم لن يخرجوا منه متوازنو العقل والفكر والرؤية والمعرفة كما أدخلوا إليه عنوة، ومع ذلك فلكلِّ قاعدة استثناء؛ حيث حالة الزعيم الجنوب أفريقي المثال: السيّد الرئيس نلسون مانديلا، الذي أُدخل إلى السِّجن كرهاً وهو الرافض للترقية العنصرية وعللها، ومع أنَّه في سجنه الذي قضى فيه 27 عاماً قد تعرَّض إلى ما تعرَّض إليه من التعذيب والإهانات، فإنَّه بقي متوازن العقل، وصاحب رأي وطني (هو كما هو) قبل السِّجن، وأثناء السِّجن، ومن بعد اطلاق سراحه، حتى انتخب رئيساً لجمهورية

جنوب افريقيا فكان المصلح بين الفرقاء ولا تفرقة عنصريّة بينهم من بعده رئيسًا.

2- في كل مرّة يحدث فيها ترابط عصبي، يبحث عقل الإنسان عن السبب الذي جعله يشعر بالألم أو المتعة، ويُسجّله في جهازه العصبي، بحيث يتمكن من اتخاذ قرارات أفضل حول ما سيفعله في المستقبل؛ فعلى سبيل المثال: الفرد الذي قام بفعل السرقة وعُوقب على فعله، يحدث له ترابط عصبي قد يمنعه من تكرار حدوث هذا الفعل.

3- أمّا الفعل أو السلوك الذي يسلكه الإنسان لأوّل مرّة، ولم يقم بتكراره، يُولّد عنده رابطة عصبية سرعان ما تضرر وتفشل في إرسال إشارات عصبية تُحفّز على تكرار السلوك والفعل، وهنا يكون التغيير في السلوكيات والأفعال المنحرفة بصورة أكثر فاعليّة.

لذا يأتي دور الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي، الذي يسعى إلى إحداث تغييرات في سلوكيات الفرد أو الجماعة المنحرفة انحرافًا سالبًا؛ إذ عليه أن يدرك أنّ أي تغيير في السلوكيات المنحرفة التي تسلك لفترة طويلة من الزمن، تحتاج إلى طريقة فعّالة لإحداث التغيير؛ ذلك لأنّها كوّنت روابط عصبية قويّة في العقل البشري، مما يجعل الضّرورة تُلح لاستحداث أساليب التغيير، ولهذا لا ينبغي أن يغفل المنهج عن تغيير الأساليب وتبديلها وتعديلها وتنوعها وتطويرها.

قاعدة

الممكن تيسير

قواعد البحث العلمي مهما عظمت فلا تكون إلا في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، ولأنّ دائرة الممكن لا مستحيل فيها ولا معجز، وأنّ العلم في دائرة النسبيّة يملأها، فلم لا نبحت وننهل كما بحث أهل العلم الذين تقدّموا عنا بمراحل وأعوام، ومع ذلك هم لا يزالون يبحثون نهضة تقيّة من بعد نهضة وقد نهضت؟!!

ولأنّ دائرة الممكن فكلّ شيء فيها مُتاح أمام الجهود المبذولة التي فيها يتقدّم البُحّاث على إنجاز الأهداف الصّعبة كما يتقدّمون على إنجاز الأهداف المتيسّرة، ومن بعدهما تحدّ يبلغون تلك الخوارق، وهي بلوغ ما لم يكن متوقّعا بالنسبة إلى الذين تقولبت عقولهم من تلك المناهج، ومن تلك العقول المحترّة للمعلومات.

وتكوّن دائرة الممكن من المتغيّرين الرّئيسيين: (المتوقّع وغير المتوقّع) اللذين تؤسّس عليهما التساؤلات أو الفروض والقوانين الممكن إثبات صحتها أو بطلانها، وباستخدام الطرق الإحصائيّة يمكن التمييز بين ما هو متوقّع وما هو غير متوقّع ومعرفة أثره الإحصائي. وباستخدام خماسي عقيل لتحليل القيم تتّضح الاستخدامات المتعدّدة لما هو متوقّع ولما هو غير متوقّع

في دائرة الممكن، بما يمكن من التمييز الإحصائي الذي يتم به قبول الفرضية العدمية أو رفضها⁵.

والممكن: هو الذي (لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلما توافرت معطياته أو شروطه).

ولهذا لا يعد الممكن مستحيلاً، بل أنه ميسراً، وبما أنه ميسراً وغير مستحيل إذن بالضرورة سيقع وفقاً لما نتوقع أو وفقاً لما لا نتوقع.

وتتكون دائرة الممكن من: (المتوقع وغير المتوقع) التي تتساوى فيها فرص ظهور كل منهما وفقاً للفرض الصفري بنسبة ثابتة قدرها (50%).

والمتوقع: هو الذي: (بحدوثه أو ظهوره أو وجوده لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب).

ولهذا فالمتوقع معطيات حدوثه أو ظهوره متوافرة بين أيدي الباحثين، ما يجعل صحة إثباته (هو كما هو) وإذا ما وقع لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب، والمتوقع يمكن أن يكون سالباً، ويمكن أن يكون موجباً.

أمّا غير المتوقع فهو الذي لا تتوافر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره بين أيدي الباحثين، ومع ذلك يقع ما يجعله في حالة تساوي نسبي مع المتوقع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب.

5 عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004،

ص 36.

ولذا يقع (غير المتوقع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ما يجعله يقع (كما هو) إثباتاً.

وعليه: ينبغي على الباحث العلمي التعرف على غير المتوقع وعلى علله ومسبباته لاحقاً؛ ليتم التعرف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحساب المسبق⁶.

ومع أنّ الممكن ليس بمستحيل، فإنّ فيه من الصّعب ما فيه، وعلى الرّغم من ذلك يتحقّق على أيدي البعض ارتقاء، ويتحقّق على أيدي البعض الآخر دونيّة وسفليّة؛ ولهذا فالممكن فيه من الموجب، وفيه من السالب ما يساويه، وفيه من المتوقع، وفيه من غير المتوقع ما يساويه.

ومع أنّ الممكن بين متوقّع وغير متوقّع، فإنّه ليس كلّ شيء ممكناً؛ فهناك المستحيل الذي لا يخرقه إلاّ معجز، وهناك المعجز الذي لا يخرقه إلاّ ممكن، أي: إنّ المستحيل لا يتحقّق إلاّ مستحيلاً كما هو حال خلق الأكوان، وفتح الأرض منها، وهبوطها والأزواج على ظهرها إلى الحياة الدّنيا.

ولذلك فالخلق صنع الخالق، ولا إمكانيّة للتمكّن منه فعلاً أو عملاً، أمّا النّشوء؛ فهو المعجز الذي يخلق من الشّيء أشياء، كما هو حال الأرض

6 عقيل حسين عقيل، البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للنشر

والتوزيع، 2019، ص 49.

وخلق كثير من الأزواج منها، ثم النشوء التزاوجي ومعجزة الخلق من النطفة، ثم الإظهار على علم الغيب، وهو المعجز الذي أصبح في دائرة الممكن نبأ ورسالات بين أيدي من اصطفاهم الخالق أنبياءً ورسلاً عليهم الصلوة والسلام.

ومن هنا، أصبح علم الغيب في دائرة الممكن بين أيدي الناس معجزة تبشّر بما يجب، وتنهي عمّا لا يجب، وترشد للحق، وتحرّض عليه.

فكان الارتقاء تطوُّراً من الجهل إلى العلم، ومن محاكاة الطبيعة وحياة الفطرة والأساطير والخرافة، وحياة المحاكاة تقليداً بلا حُجّة عن غير بيّنة، إلى حياة المعرفة الواعية، والفكر المستنير الذي تلاقح بالعلم المعجز من عند الله على أيدي الأنبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام، فأنتج عصرًا جديدًا، فيه تُولّد الفكرة من الفكرة، وفيه أصبحت الحاجة بين الناس المختلفين والمتخالفين بيّنةً ودليلاً، وفيه العبر والمواعظ تؤخذ من التاريخ، وفيه الحقوق بين الناس تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليات تُحمل عن إرادة؛ ومع ذلك فالصدام والحصام والاقتيال بين الناس ظل في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع.

ولهذا فالحياة البشريّة لم تؤسّس على الاتفاق، بل تأسّست على الاختلاف، وسيظل الناس على الاختلاف إلى النّهاية، إلّا من رحم ربك: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ

رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ⁷ ومن ثمّ فلا اتفاق بين النَّاسِ، بل الاتفاق لم يبق بينهم إلاّ أملاً، ولا يسعى إليه إلاّ الواعون الذين لا تأخذهم الغفلة كما أخذت أباهم (آدم) عليه السّلام في لحظة الإغواء والشهوة، عندما عصى ربّه، وأكل من تلك الشّجرة المنهي عنها.

ولذلك وجب التذكّر؛ حتى لا تتكرر الأخطاء، ووجب التدبّر دون غفلة عن العبر وما يوعظ، ووجب التفكّر فيما يمكن من معرفة الكيفيّة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلاً، ومعرفة المعجز معجزاً، ومعرفة الممكن ممكناً⁸.

الممكن في دائرة الزّمان: بما أن الممكن امتداد متوّقع وغير متوّقع في دائرة الزّمان، وأنّ الزّمان يمتد في الماضي والحاضر والمستقبل، إذن بالضرورة ستباين صوره من وقت لوقت آخر.

في الماضي: بالنّسبة إلينا ونحن في هذا الزّمن الحاضر، ما كان متوّقعا أو غير متوّقع قد وقع بالفعل أو لم يقع بالفعل، ولهذا يعد الممكن مثبتاً ولن يعد متوّقعا من حيث الحدوث من عدمه، ولكن مع أنّه أصبح مثبتاً إلاّ أنّه في حاجة لبرهنة تُمكن المتحاورين أو البحّاث أو الدّارسين من معرفته دليلاً وحقيقةً.

7 هود: 118، 119.

8 عقيل حسين عقيل، نحو النظرية ارتقاء، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع،

القاهرة، 2020، ص 9 – 11.

فعلى سبيل المثال: قيل لأحد الأصدقاء أنّ الشيخ الفلاني أو العلامة الفلاني أو عالم علوم الفقه والدين الذي تعرف عنه كل خير قد قدّم على أفعال لا أخلاقيّة (هتك عرض) مع أحد أقاربه قبل خمسة سنوات من هذا العام، فأجاب على الفور وبكل سرعة؛ هذا ليس ممكناً، أنا لا أصدق. وطلب الدليل والبرهان.

مع أن الأمر قد وقع قبل خمسة سنوات من هذا التاريخ إلا أنّ صديقنا ما زال لم يُصدّق، وبالنسبة إليه وكأنّ الأمر لم يقع بعد، وعندما أُثبت له دليلاً وبرهاناً قاطعاً دخل في دائرة الاستغراب وكأنّه لم يُصدّق.

ومع أن الفعل قد حدث قبل خمسة سنوات، إلا أنّ الاستغراب لازال يلاحق الممكن في غير زمانه، وهذا هو الاستثناء، الذي يجيد عن القاعدة التي تنصّ على أنّ (المتوقّع وغير المتوقّع في دائرة الممكن) يسبقان حدوث الفعل.

وعليه: لا تُصدِر أحكاماً مسبقةً على الأشياء السّابقة على أحكامك، ولكن تبين، ثم احكم.

والمتوقّع وغير المتوقّع المتعلق بالزمان الماضي هو في حاجة للبحث عن دليل إثبات أو برهنة تُثبت وقوعه بالفعل أو عدم ثبوته لأجل أن تطمئن القلوب.

أمّا في الزّمن (الآن) الحاضر، فالمتوقّع وغير التوقّع يسبقان حدوث الفعل أو وقوعه، ويضل الانتظار إلى أن يحدث أو لا يحدث، أمّا الفعل أو الحدث المتوقّع أو غير المتوقّع سيضل في الزّمان المستقبل، ويكون المتوقّعون وغير المتوقّعين في دائرة الممكن هم في حالة انتظار إلى أن يأتي الزّمان الذي فيه الفعل أو البرهان أو الدليل المثبت.

التعليق:

في الأمر الواقع أنّ الممكن يرتبط بالزّمان، ولهذا فكل ممكن يسبق وقوع الفعل أو يسبق المترتب على ما هو متوقّع أو غير متوقّع (أي نتوقّع أوّلاً، ثم يقع ما توقعنا، أو لا يقع)، وهذا ما لا ينطبق على الزّمان الماضي الذي فيه وقع الفعل أو الحدث، ومن هذه الزّاوية نقول: لو لم يكن الزّمن ممكناً الحدوث ما كان على قيد الحياة وجوداً.

وحتى لا نكون على حالة من الاستغراب أقول: إنّ الممكن لا يكون إلاّ بين مطلق الحدوث ونسبي الحدوث؛ ذلك أنّه بالنسبة لله تعالى كلّ شيء ممكن، أمّا بالنسبة إلى المخلوق فليس كل شيء ممكن؛ حيث وجود المعجز الذي لا يظهره الله إلاّ على أيدي الأنبياء والمرسلين عليهم الصّلاة والسّلام، وكذلك وجود المستحيل الذي لا يكون أمره إلاّ بيد الله وحده.

بناء على ما سبق فالقاعدة هي:

أنَّ دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) يسبقان الفعل والسُّلوك.
والاستثناء أن يقع الفعل أو يحدث السُّلوك قبل توقُّعه أو عدم توقُّعه في
دائرة الممكن.

ولهذا:

فالممكن يُلاحق الماضي.

ويتزامن مع الحاضر.

ويسبق المستقبل.

وعليه:

. فكَّر في المتوقَّع.

. فكَّر في غير المتوقَّع.

. خطط في دائرة الممكن.

. لا تستغرب.

. تطلَّع فإنَّ كل شيء ممكنًا.

الممكنُ مُيسَّرٌ: نقول نعم لو لم يكن الممكن متاحًا للمخلوق ما كان
بين الأيدي ميسَّرًا، أمَّا بالنسبة إلى الخالق تعالى فكلُّ شيء على الاطلاق
ممكن؛ ولهذا فإنَّ الخالق يخلق ما يشاء، كيفما يشاء، متى ما يشاء، وأينما

يشاء)، أمّا بالنسبة إلى المخلوق فكل شيء داخل دائرة النسبية؛ ولذا فنحن بنو الإنسان لا نخلق مستحيلاً، ولكننا نخلق ممكناً.

وعليه فالمستحيل يُخلق من الخالق الأعظم، والنظر إليه والتفكير فيه وبلوغه يحدث في دائرة الممكن من قبل المخلوق الأفضل؛ ولهذا يقول الله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} ⁹

ولذا لا ينبغي أن يغفل المخلوق عن دائرة الممكن والتفكير فيها، والعمل وفقاً للقواعد التي تحتويها أو تتضمنها أو تشير إليها؛ حيث لا مستحيل في دائرة الممكن.

وعلى الباحث أن يعرف، أنّ علاقة قويّة تربط بين الممكن والقدرة.

ولهذا فالممكن في نضج القدرة.

وغير الممكن في قصورها.

وعليه:

فالإنسان يتوقّع ما هو ممكن، ولكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته. فما يشاهد أو يلاحظ أو يُحس به أو ما يتم تذوقه

أو شمه أو سمعه فهو الواقع في حدود الممكن، وقد يحدث الاختلاف في درجات التمييز بين ما يوضع في مجال الممكن بالنسبة إلى المدركات والقدرات والأحاسيس؛ حيث هناك البعض يميّز بين الأشياء أكثر أو أقل من البعض الآخر؛ فعلى سبيل المثال: الوصول إلى القمر كان في الزّمان الماضي ينظر إليه مستحيلًا وفقًا لقدرات الإنسان وعلومه، وفي زماننا أصبح أمره واقعًا، ولهذا خُلق القمر بقوة من يملك الأمر (كن)؛ إذ لا مستحيل أمامه، وبملاسة دائرة الممكن للمستحيل يتم التعرّف، ويحدث التمكّن وفقًا للقدرة، مما يستوجب التسليم والإيمان بأنّه الحقّ.

ولهذا كلما ظهرت الأشياء أو المخلوقات، إلى حيّز المشاهدة أو الملاحظة، دخلت إلى دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع)؛ ولذا فلا ظهور للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن، وكذلك فلا كمون للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن.

كل شيء ممكنًا ولا استغراب:

الممكن على الرُّغم ومن جوده فمنه ما يوضع في الحسبان (المتوقّع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقّع)، وهو الذي كلّما توافرت شروطه تم تحقيقه أو بلوغه.

وبما أن كل شيء ممكنًا.

إذن فلماذا الاستغراب؟

الاستغراب لا يكون إلا بحدوث غير المتوقَّع في الزَّمن الذي لا يُنتظر فيه إلا ظهور المتوقَّع، وهو ظهور ما لم يكن في الحسبان، وعليه يجب أن يضع الباحث في حسبانهِ كل ما هو ممكن حتى لا يفاجأ.

والممكن على الرُّغم وجوده المتجزئ إلا أنَّ منه ما يوضع في الحسبان (المتوقَّع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقَّع)؛ فعلى سبيل المثال: البحث عن العمل، لو لم يكن ممكناً، ما كان البحث عنه، ولهذا البحث عن العمل ممكناً، والحصول عليه ممكناً، وعدم الحصول عليه أيضاً ممكناً وهذا الأمر هو المتوقَّع (ما يوضع في الحسبان)، ولكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان، وأنت تبحث عن فرصة عمل، فهذا الأمر بالنسبة إليك غير متوقَّع.

وعليه: فالحب متوقَّع، والزَّواج متوقَّع، والطلاق كذلك، والانحراف متوقَّع، والإنجاب متوقَّع، وأيضاً عدم الإنجاب متوقَّع، والخيانة متوقَّعة، والطاعة والعصيان متوقَّعان، والكذب والصدق متوقَّعان، وأيضاً أن يُعطى لك موعد ويُخَّل به متوقَّع، فعلى سبيل المثال: إذا أردت أن تشتري زياً لبيئاً عربياً رائعاً من المتوقَّع أن تشتريه في عصرنا من السيد ياقوت وأبنائه أهل الصنعة والجودة، أمَّا إذا أردت زياً فقط فمن المتوقَّع أن تشتريه من غيره.

أمَّا غير المتوقَّع، هو أن تقدِّم الأم على ارتكاب فعل الفاحشة مع ابنها فهذا غير متوقَّع، أو أن يقدِّم الأب على فعل الفاحشة مع ابنته، فهذا

غير متوقَّع أيضاً، لأنَّه لم يوضع في حسابان القيم والأخلاق البنائِيَّة للأسرة؛
كونه المحرَّم.

ولهذا معايير المتوقَّع هي التي على ضوءها تكون القواعد، وعلى معايير
غير المتوقَّع تكون الاستثناءات؛ ولذا فالاستثناء، هو الذي يقدِّم الباحث
على دراسته، والبحث عنه؛ لأجل التعرُّف على العلل والمسببات التي تظهره
من الكمون إلى الفعل والسلوك بغرض تقديم المساعدة أو العلاج أو
الإصلاح (العودة إلى القاعدة).

وعليه: فإنَّ غير الممكن هو المستحيل، الذي لا يمكن الإقدام على
فعله، أو بلوغه مهما فعلنا عبر الزَّمن.

مثال:

. من غير الممكن أن نأتي بالشَّمس من المغرب.

. من غير الممكن أن ندمج الشَّمس في القمر.

. من غير الممكن أن يطير الإنسان من غير جناحين.

. من غير الممكن أن نفكِّر إنَّ فقدنا عقولنا.

. من غير الممكن أن نحیی الموتى بقدراتنا هذه.

وقد يتساءل البعض: ماذا تعني بقدراتنا هذه؟

أعني: إنَّ إحياء الموتى عبر الزمن كان ممكنًا لبعض الرُّسل والأنبياء إظهارًا للفعل المعجز، ولكن في زمننا هذا فهو غير ممكنًا، قال تعالى: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي} ¹⁰.

الممكن ما لم يكن مستحيلًا:

بما أن كل شيء ممكن؛ إذن فما هو الفرق بين الممكن والمستحيل؟

* الممكن: قابل للإثبات أو الاكتشاف، أي إنَّه في حاجة لمن يثبته ويبرهن على معطياته ومبرراته؛ ولذا فهو: قابل للإثبات والتفني والرفض، والاكتشاف، والظهور، والكمون، والشك، والمقارنة، والترابط، والثبات، والاهتزاز، والتوافق، والتطابق، والتشتت، والتمركز، كما أنَّه قابل للبحث والدراسة والتصحيح، والتقييم والتقويم.

ولهذا لو لم يكن ممكنًا ميسرًا ما تم إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشك فيه، ومقارنته ومعرفة ترابطه وثباته واهتزاز.

* أما المستحيل: فمثبت وهو الذي نعلم به ولا نعرفه؛ فعلى سبيل

المثال:

. نعلم بيوم الحساب، ولكننا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنّه موجود إلا أنّه لا ينفى.

. عندما يكون اليوم السَّبْت فإنّ الأحد سيأتي غدًا وفقًا لعلمنا، ولكن

قد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه.

إذن فالمستحيل هو الذي لا يمتلك الفرد ولا الجماعة ولا المجتمع ولا

الإنسانية كاملة أن تقوم به أو تفعله، وإنّ الشيء الخارج عن دائرة الممكن

وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا.

إذن: المتوقَّع وغير المتوقَّع هما اللذان يقعان من قِبَل أو من طرف

المخلوق.

المستحيل هو الذي يُخلَق من قِبَل الخالق أو يحدث ويقع؛ ولذا

فكلاهما يحدث، وفقًا لتوقّعاتنا، إلا أنّ الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل

ما لم نستطيع أيدينا على فعله.

وعليه: المستحيل نتوقّعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمّا الممكن فنوقّعه

ويحدث من داخلنا.

لذا على الباحث أن يضع في حساباته بأنَّ ظهور غير المتوقع ممكنًا
وإذا لم يضع ذلك في حساباته فسيفاجأ به.

الصَّعب في دائرة الممكن:

الصَّعب فعل يُنفى ويثبت، ولهذا فهو ممكنًا، وعلى الرُّغم من أنَّه
ممكنًا، فإنَّه ليس سهلًا؛ ولذلك فإنَّه في حاحه لبذل الجهد، مع إعطاء
الزَّمن الكافي والإمكانات الكافية.

وعليه: من المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، ومن الصَّعب
أن يصبح الإنسان عالما.

وبما أنَّه من الصَّعب أن يُصبح الإنسان عالما، فإنَّه فبالإمكان أن
يكون؛ ولذا فالقاعدة:

. تحدَّى الصَّعب إذا أردت أن تكون عالما.

والاستثناء: إذا انسحبت من التحدِّي ليس لك إلا أن تبقى جاهلاً.

ولهذا فإنَّ تقدّم العلوم قاعدة، وفي المقابل تأخرها استثناء. فعلى سبيل
المثال: الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي الذي لديه فرضية
تقول: (الحالة ميؤوس منها) هذه فرضية غير مقبولة وفقًا لقاعدة الممكن؛
حيث لا يوجد شيء مستحيل في دائرة التعامل المهني، لكن قد يكون على
درجة من الصُّعوبة؛ لذلك على الباحث أن يُقدِّم فرضًا بديلًا للفرض

السَّابِق، وليكن: (مع أنَّ الحالة على درجة من الصَّعوبة فإنَّ كل شيء ممكنًا).

ولذلك فالباحث أو الأخصائي يعرف أنَّه في مواجهة صعوبة، وإن لم تكن عزيمته متحدية لتلك الصَّعوبة التي تواجهه، تكون الحالة ميؤوس منها فعلاً، وعليه أن يقبل بتحدِّي الصَّعاب.

وعليه:

فالقاعدة هي:

. تحدى الصَّعاب.

والاستثناء هو:

. الانسحاب والخوف من المواجهة.

ولذا فالقاعدة أن يعمل البَحَّاث والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين على الاستثناء وكأنَّه القاعدة؛ وذلك لأجل إعادة المدروسين أفراد أو جماعات إلى ما يُمكنهم من تأدية وظائفهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، وبما يُمكنهم من أحداث النُّقلة.

وقد يتساءل البعض:

لماذا النَّظر والعمل على الاستثناء؟

لأنَّ من يقعون في دائرته هم في حاجة للبحث والدِّراسة وفي حاجة للمساعدة الهادفة، أو إنَّهم في حاجة للعلاج والإصلاح؛ ولهذا من لا يغفل عن الاستثناء، يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل.

وعليه:

. أنظر إلى المثبت واعمل على الممكن.

. تحدِّ الصِّعاب، فإنَّ تحديها ممكناً.

. خطِّط وفقاً لما هو متوقَّع، ولِمَا هو غير متوقَّع، حتى لا تفاجأ.

. لا تستغرب أن يحدث أو يقع غير المتوقَّع.

. لا تصدر أحكاماً مطلقة على ما هو ممكن.

. شك حتى ترى اليقين (الحقيقة).

. تحدِّ الصِّعاب، فإنَّ تحديها يأتي بالجديد.

. خطِّط لمستقبل أفضل، واعمل على صناعته قبل قدوم زمنه.

. انتبه إلى الاستثناء، تتفادى الأضرار والمخاطر.

. انتبه إلى الاستثناء، تعيد المنحرفين إلى القاعدة المنحرفين عنها.

قاعدة

التواصل الاجتماعي

قواعد البحث العلمي متماسكة ومتراصة ومترابطة الحلقات مثلما يتماسك الزمن حركة وسكون وتمدد وانكماش؛ ولهذا فذلك الإنسان الأوّل آدم عليه السّلام لو لم يكن وزوجه معًا في وقتٍ واحدٍ ما كان من بعدهما التكاثر والتواصل تاريخ يكتب بما فيه من حسنات وسيئات (موجبات وسالبات).

التواصل قاعدة قيمية اجتماعية وإنسانية ذات حلقات مترابطة من الفضائل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، تُرسّخ أفعال وسلوكيات استيعابية تجعل الإنسان في حالة تطلّع للآخرين في ضوء ما يفيد وينفع، وبما يُسهم في صناعة التّاريخ، ويحافظ على الهوية، وبناء الحضارات بعمليات التواصل الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والنفسي، والدّوقي، والثّقافي من ماضٍ بعيد إلى يومنا هذا مع التطلّع إلى مستقبل أفضل؛ ولهذا كلّما زادت قيمة الطموح قوّة بين الأجيال عبّر التّاريخ تتطوّر المجتمعات وتتقدّم.

ولأنّ الإنسان كفرد يتربّى في أسرة، ويتشرّب القيم الاجتماعية، والإنسانية منها، ويمتد في علائقه مع محيطه البيئي؛ لذا ينطبع بمورثها

الثقافي، والحضاري، وتشكّل شخصيته التي بها يتميّز عن غيره من الأفراد الآخرين الذين ينتمون إلى مجتمعات، أو حضارات أخرى.

ولأنّ التقدّم البشري والإنساني لا يُبنى إلاّ بجهود مشتركة من مختلف الشعوب والأمم فإنّ التواصل بين بني الإنسان بمختلف أعراقهم وأديانهم وثقافتهم يثري حركة التغيّر والتقدّم الاجتماعي والإنساني؛ وذلك استنادًا إلى القاعدة التي تنصّ على أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، ومن ثمّ يتواصل الأفراد والجماعات والمجتمعات قيمياً مع بعضهم البعض في دائرة الأنا والآخر؛ إذ الضرورة والوجوب.

فالضرورة: من حيث الحاجة للرعاية والعناية.

أمّا الوجوب: فمن حيث الحاجة للإشباع المعرفي والثقافي¹¹.

ولهذا فالتواصل الاجتماعي والترابط يؤدّيان إلى اللّحمة والوحدة ويمكّنان من الاستيعاب الذي يظهر القدرات والاستعدادات والإمكانات، ويؤدّيان إلى امتلاك مقاليد القوّة، وفي مقابل ذلك فإنّ التفكك والانغلاق يؤدّيان إلى الانسحاب من ميادين المعرفة ويؤدّيان إلى التخلف والضعف والوهن أيضاً.

وبما أنّ التّواصل يقوّي الرّوابط الاجتماعيّة؛ إذن فالتواصل مكوّنًا قيمياً علائقيًا؛ ولهذا كلّما تواصل الأفراد قويت الرّوابط الاجتماعيّة بينهم، وكلّما

11 المصدر السابق، ص 52.

انطوا وانسحبوا ضعفت روابطهم الاجتماعيّة، مما يجعلهم في حالة من الضعف الذي يهدّد حياتهم الحاضرة، ولا يرسم لهم مستقبلاً، وقد يؤدّي بهم إلى الانعدام أن لم يفيقوا من غفلتهم ويتواصلوا مع الآخرين الذين يمتلكون زمام القوّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة.

وعليه:

. كلما ضعفت الرابطة الاجتماعيّة تصدّع البناء الاجتماعي.

. كلما تواصل الأفراد بما هو موجب ازدادوا قوّة ورابطة.

. كلما انغلق المجتمع على ذاته ضعفت علائقه الاجتماعيّة والإنسانيّة.

. التواصل يؤدّي إلى المزيد المعرفي.

. التواصل يؤدّي إلى التطلّع الأفضل.

. التواصل يؤدّي إلى ربط حلقات التّاريخ المستمرّة.

. التواصل يؤدّي إلى طي الهوة بين الأجيال المتلاحقة.

. التواصل كما ينمي الرّوابط الاجتماعيّة ينمي الثّقافة والعلوم والمعارف

وينمي المقدرة الدّائيّة للمجتمع.

ومع أنّ الإنسان حُلِق من طين، فإنّه حُلِق معدّاً للتفكير؛ فكانت

الفكرة نتاج عقله ومن إعماله، وأوّل فكرة كانت هي من عقل أوّل من

حُلِق في أحسن تقويم (آدم)، ثمّ تعددت الفِكر بتعدد البشريّة وتعدد ما

تفكّر فيه؛ ولهذا أصبحت فكراً بعد أن كانت فكرة، أي: في هذا المسار الأمر يتعلّق بالفكرة التي أصبحت بتكاثرها فكراً، ولكن هذا لا يعني أنّ الأمر لا يتعلّق بالفكر الذي هو مكن التفكير؛ فالفكر من معطيات العقل، وفي المقابل الفكرة لا تكون إلا من التفكير وإنتاج العقل، وفيما يُفكّر فيه؛ ولذلك يؤسّس التطوّر على قاعدتين:

الأولى: تطوير الفكر بما يمكن الإنسان من التفكير، وهو يُفكّر فيما يُفكّر فيه قبل أن يتخذ القرار تجاه ما فكر فيه بداية حتى يُجسم الأمر تطوّراً.

الثانية: تطوير الفكرة بفكرة أكثر ارتقاء؛ حتى تتولّد الرّؤى المتجاوزة للمألوف والمعتاد التفكير فيه.

وعلى هاتين القاعدتين تطوّرت روى البشريّة وهي على التخيير بين اختلاف وخلاف، ولا حاسم للأمر إلا المحاجة والمجادلة، أي: لا حاسم للأمر إلا الالتقاء الذي فيه تُدحض الحجّة بالحجّة، وحتى إن امتلأت الحجج والجدل شدّة، لكنّ الشدّة الجدليّة ضرورة؛ فهي لا تكون إلا من أجل الحرص، وهي كذلك لا تكون إلا بغرض التسوية لما سلف من انحدار وسفليّة، وهي بغاية الارتقاء عن كلّ ما يؤدّي للفرقة والخصام؛ ولهذا فمن أجل التطوّر والارتقاء لا يجادلك إلا من هو حريص عليك، ويأمل ألا تظل تائها عن ممارسة وتأدية ما يجب أن يكون من أجلك وأجل من تربطك به علاقات.

ولذا فأصحاب الحجج تطوّراً يسعون إلى إحداث النُّقْلة، والارتقاء بالنَّاس إلى ما يجعلهم قَمَّة، وفي المقابل من يخالفهم بغير حُجَّة يشدُّ إلى الخلف إعاقه، وبين هذا وذاك فلا استقرار، ولا أمن، ولا ارتقاء ولا تطوُّر لأحد ما لم يؤخذ بالحُجَّة ارتقاءً واستيعاباً، ولا استثناء لأحد بأية علة، إلا إذا كان أحد علة في ذاته، ولا استغراب من هذا الأمر؛ حيث لكل قاعدة شواذ، ومع ذلك الحجّة الجدباء لا تصمد أمام الحجّة الحلّ التي تعلو بأصحابها تطوّراً وارتقاءً إلى ما يمكن من المعرفة، التي بها سترتق الأرض والسَّمَاوَات كما كانت أوّل مرّة.

ولأنّها المجادلة تطوّراً وارتقاءً؛ فهي لا تكون إلاّ بالتي هي أحسن: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ¹²؛ أي: لا ينبغي أن تكون المجادلة بالتي هي أسوء؛ فالأسوء لا يقود إلاّ للخلاف والصّدام والافتتال، ومن هنا، يلد الألم ألماً.

وحتى لا يسود الألم بين النَّاس، ينبغي الأخذ بمبدأ المجادلة حرصاً وتطوّراً وارتقاءً، ويجب أن تبدأ المجادلة مع المختلفين من حيث هم عليه اختلافًا، لا من حيث ما يجب أن يكونوا عليه اتفاقًا، فما ينبغي أن يكونوا عليه اتفاقًا هو المأمول الذي من أجله تجري المجادلة بالتي هي أحسن، أمّا المجادلة غِلْظَةً؛ فلا تكون إلاّ مع من يستغلّظ على الحقّ بغير حقّ، وهنا

12 العنكبوت: 46.

يصبح المستثنى من جنس المستثنى منه (غلاظة بغلظة)، ومع ذلك فللعفو والصّفح مكانة لا يبلغها إلا من تدبّر أمره حكمة.

ولأنّ الجدل بالتي هي أحسن وسيلة للارتقاء؛ فينبغي أن تكون أساليبه على الترغيب والتشويق والنهي والرّهبة والتحذير والإنذار مع مراعاة الفروق الفرديّة بين المجادلين ارتقاء؛ ففي الجدل الرسائل تُرسل بين المجادلين لكلٍّ حسب ما هو عليه من معرفة، وثقافة، ومعتقد، ومنطق، مع عدم الإغفال عن أهمية الحكمة في إدارة الجدل؛ فالإنسان مع أنّه خُلِق من نطفة، فإنّه خصيم؛ ولهذا فهو مجادل؛ ولأنّه كذلك فمن حقّه أن يجادل، ولكن حرصاً وتطوراً وارتقاءً ينبغي أن يجادل بالتي هي أحسن؛ فهو كلّما جادل بالتي هي أحسن كسب قلوب النّاس، وفي المقابل متى ما استغلظ عليهم استغلظت قلوبهم عليه.

ولذلك فالجدل تطوّراً وارتقاءً لا ينفصل عن الحجّة، مع أنّ الحجّة أساساً معلومة مستقلة بذاتها، وستظل إلى أن تُستخدم أو تُوظّف جدلاً، بما يقرّ حقاً أو يؤدّي واجبا، أو يُمكن من حمل مسؤوليّة، ومن ثمّ، فالحجّة تُفجّم أو تُلزم من كان على غير حُجّة حتى يُعيّر ما بنفسه، ومن هنا تلد الموعظة والعبرة ارتقاء، وفي المقابل الجدل غلظة يدخل المجادلين في حلقة الصّدام الذي كلّما انتهى بدأ¹³.

13 عقيل حسين عقيل، نحو النظريّة ارتقاء، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع،

القاهرة، 2020، ص 95 – 98.

ولأنَّ الجدل بالتي هي أحسن جدل حُجَّة؛ فينبغي أن يكون على
الذين مع تبيان الدليل والبرهان شاهداً بين أيدي المتخالفين، ولنا في إبراهيم
عليه الصَّلَاة والسَّلَام القدوة الحسنة حينما جادل أباه آزر وهو يخاطبه
بقوله: { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ
شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا
يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ
أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا }¹⁴؛ فقوله وهو يجادله
رأفة ووداداً: (يا أبت) وهو يكررها مرات: (يا أبت)، هي بهدف صحوة أبيه
آزر من الغفلة التي أملت به، والجهل الذي استحوذ على عقله، وبخاصة أن
إبراهيم لم يخفِ علمه وحرصه ومحبتته له؛ ولذلك كان ارتقاء إبراهيم مؤسساً
على عدم الإكراه؛ فالإكراه حجة من ليس له حجة: { وَكَوْشَاءَ رَبُّكَ لِأَمَنَ
مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }¹⁵.

إذن: التواصل سنة حياتية بين الأفراد والجماعات والمجتمعات سواء
أكان تواصل مع ذي القربى والجيرة، أم تواصل معتقدات، وأعراف، ولغات،
ومعارف، وعلوم، وثقافات، وخدمات، وحضارات؛ ذلك لأنَّ التواصل

14 مريم: 42 .45.

15 يونس: 99.

الاجتماعي تفرضه الظروف التي تحركها الحاجة للإشباع النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والدوقي والثقافي.

ولأنَّ المجتمع الإنساني مكوّن من تجمّعات متعدّدة من الأمم والشعوب، ولأنَّ لكل أمة شرعةً ومنهاجًا، إذن فلكلِّ أمة من الأمم والشعوب خصوصيةٌ تميّزها عن غيرها كما يتميّز غيرها عنها بخصوصيته؛ ولهذا فإنَّ التّواصل بين الأمم والشعوب يُظهر المزيد من التفوّق بأسباب أخذ ما يمكن أخذه من التميّز وإضافته لما تمتاز به الأمم والشعوب الأخرى، حتى تستطيع أن تبني حضارة وتتواصل مع حضارات الآخرين بقوة التميّز التي استطاعت معرفتها وتكوينها أو بنائها؛ ومن ثمَّ فالتواصل الحضاري يمكن من المزيد العلمي، والمعرفي، والقيمي، والمادّي، الذي يؤسّس اقتصادًا منافسًا ومتقدّمًا في العمليّات المؤدّية إلى إشباع الحاجات.

قاعدة

الكلمة حُجّة

الحُجّة دليل وبرهان قاطع للظنّ أو الشكّ، فيها يُحتكم فيما يُختلف عليه، وبها يتم الاستئناس يقينًا؛ ولذا فعندما تحدث الخلافات بين الناس فلا حاسم لأمرها عدالة إلاّ الحقّ وإحقاقه بالكلمة الحُجّة.

إذن: الأمر الذي جعل من الكلمة (حُجّة) أنّها دون غيرها هي الحاسمة للأمر عند كل خلاف أو اختلاف، ولا شيء عدالة يرضي

المتخالفين غيرها، ولهذا فمتى ما غابت الكلمة الحُجَّة عن المشهد عمَّت المشهد الفوضى.

ومن هنا فإنَّ المعلومة الحُجَّة مرنة تميل إلى الآخرين وتستدعيهم إرادة بما تحمله تجاههم من تفهُم لظروفهم وهمومهم وما يواجههم من صعاب، وإن لم تكن المعلومة بين النَّاس حُجَّة ومرونة فلن تستدعي أحدًا، وإن دعتهم الكلمات بغير ذلك أصبحت الكلمات مدعاة لزيادة اتخاذ المواقف حتى بلوغ التطرُّف موقفًا وسلوكًا، وقد يترتَّب على التطرُّف أن تكون هناك دموية بين الأنا والآخر، تهلك البشر والعلاقات الاجتماعية، فإن لم يتم استيعاب الآخرين بالحُجَّة والمرونة يصبح التطرُّف متعدِّدًا، فيكونُ كتلتين أو أكثر.

ولذا فالاشتراطات في كثير من الأحيان تصدر فوقية لمن هم أسفل درجة على درجات السلم القيمي الهرمي؛ فهي إملاءات مانعة للاستيعاب ودافعة للتطرُّف، تطلب تنازلات ثم تطلب تقديم المزيد كلما تمَّ قبول اشتراطٍ من اشتراطاتها، ما يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلا ما يقطع كلَّ جذور الاتصال التي يمكن أن تتحقَّق.

ففي دائرة الممكن لكلّ فعل ردّة فعل تضاده في الاتجاه وقد لا تساويه في القوّة، مما جعل التطرّف قوّة تساوي أو لا تساوي الفعل الذي تمّ بلوغه بعد تهيؤ واستعدادٍ وتأهّبٍ واستخدام وسيلة مشروعة أو غير مشروعة¹⁶.

فالمعلومة تُفكّك بالمعلومة وتُرَكَّب بمعطياتها الفكرية وفقاً للمتغيّرات المكوّنة لها؛ ولأنّها معلومة فهي المركّبة من النصّ الحامل للفكرة التي توجّه العقل، وبها يوجّه أو يصقل عقول آخرين، وهكذا تمتدُّ إلى النهاية التي عندها يتوقّف التطرّف أو تكون نهايته، وبما أنّ الابتداء لا بدّ له أن ينتهي سلبيًا أم إيجابيًا، فالتفاوض والتحاو والتجادل والتناقش معطيات لفكّ الفتيل من الاشتعال؛ فلماذا يغضّ البعض النظر ويتأخر عن فكّ الفتيل!

ومن يصل إلى قبول الآخر بأهداف مؤقتة دون أن يستوعبه هو كما هو؛ فليعلم أنّ نار الانتكاسات أشدّ وأعظم، وعندما تنتكس الأمور يصبح التطرّف أكثر تنوعًا وتفرضًا؛ مما يجعل العنف الدّموي بين الأقارب والأبعد اعتدالًا على كفتي الميزان.

ومع ذلك فالأقوياء لا يقنطون؛ فالحلّ في دائرة الممكن وإن تعسّرت الأمور وعظمت ممكن، ويمكن أيضًا أن يكون التوقّف ذاتيًا إذا اقتنع الأنا بما ترتّب على أفعاله من ردود أفعال عندما يعرف أنّه قد حاد عما لا يجب الحياد عنه، وقد يكون ذلك أيضًا في مقابل اقتناع الآخر بأنّه قد حاد عما

16 عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار

ألبا، الطبعة الثانية، 1995، ص 32.

لا ينبغي الحياد عنه، أو أنّ كلاً منهما قد يئس وتعب فقدّر جهده وإمكاناته في مقابل تقدير الآخر لذلك؛ مما يؤديّ بهما إلى البحث عن حلٍّ بوسطاء أو من دونهم.

ولذا فالمعلومات التي كان يُعتقد بأنّها مسلّمات موثوق بها في زمنٍ من الأزمان قد لا تكون كذلك في زمنٍ آخر إذا ما تمّ إخضاعها لقاعدة: (تفكيك المعلومة بالمعلومة) وقاعدة: (تركيب المعلومة بالمعلومة)، مما يستدعي عدم التمسك بالأفكار والقضايا وجعلها مسلّمات مطلقة إن لم تكن من المطلق الأعظم.

ولأنّ الحجّة فكريّة عقليةّ فهي المؤثّرة عندما تكون بين أيديّ تملؤها المرونة بمستهدفات تقدير الآخر واستيعابه، مما يجعل الفكرة في حالة امتداد من عقلٍ إلى عقلٍ، وفي مقابل ذلك تتعرّض المعلومة للانكماش والرفض عندما لا تؤسّس حُجّة بحجّة.

ولأنّ كلّ شيء يترتّب على معطياته وسماته وأغراضه وغاياته ومستهدفاته؛ فإنّ المعطيات تُسهّم في تأسيس الحجّة على الحجّة، والمعلومة بالمعلومة حتى وإن رُفضت بداية من الأنا أو من الآخر، فالحجّة الحقّ قادرة على أن تبقى إلى أن تتمّ العودة إليها من جديد؛ لتكون المتغيّر الرئيس في تحقيق الإزاحة إلى ما يؤديّ إلى حلول ومعالجات وإصلاحات.

وعليه: ينبغي أن نحلّ المعلومات الصّائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثمّ تُدعم المعلومات الصّائبة بأخرى أكثر صواباً؛ حتى يتمّ تثبيت القول السليم

والفعل السليم والسُّلوك السليم بالحُجَّة التي يحتكم النَّاسُ بها ويحتكمون إليها¹⁷.

إذن: الكلمة الحجَّة أساس كل شيء يُمكن أن يكون، فيها صدر الأمر الإلهي كن فكان، وبها يتفاهم الإنسان مع أطرافه، وبها تتخذ القرارات وتصدر الأوامر والنواهي، وبها يتقدّم الإنسان أو يتأخر؛ ولذا فالكلمة الحجَّة فاعلة عندما تمتد في القول والفعل والسلوك وتترك أثرًا موجبًا؛ ولذا فعلى الباحث أو الأخصائي الاجتماعي عند دراسة الحالات الفرديّة أو الجماعيّة أو المجتمعيّة أن يراعي الآتي:

. أن يكون لسانه لسان صدق مع لباقة ولطف معاملة مع العملاء وبكل موضوعيّة.

. أن يقدم على حلّ المشاكل بحُجّة.

. ألا يجلّ مشكلة على حساب أخرى.

. أن يضع في اعتباره عملية الإصلاح ضرورة مهنيّة تستوجب الاستمرار بحثًا وتقصيًا.

. أن لا يتوقّع الاستجابة المرضية منذ البداية.

17 17 عقيل حسين عقيل، قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير، 2010، ص 81.

. أن لا يطلب من العميل ما لا يقدر عليه بإرادة.

. أن يحدّد الأولويّات عند القيام بعملية الإصلاح.

. أن ينمي مهاراته بالتفكير والتدبّر الموضوعي.

. أن يكون مرناً قدر الاستطاعة.

. أن يعترف بوجود الصّعب، وأن يقبل بمواجهته وكلّه ثقة حتى يقهره.

قاعدة

الاستيعاب مشاركة

الاستيعاب قيمة أخلاقيّة وفقاً لقاعدة الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليّات تُحمل؛ ولهذا فالاستيعاب قيمة امتدادية تُرسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر وفقاً لقاعدة النسبيّة؛ حيث لا مُطلق إلا من عند الله تعالى؛ ولذا تتراتب قيم الأفراد والجماعات اجتماعياً على السُّلم القيمي من المستوى القيمي الأناني، إلى المستوى القيمي الإنسحابي، إلى المستوى الذّاتي، ثم إلى المستويين القيمين التطلّعي والموضوعي.

وبناءً على هذه المستويات القيميّة الخمس تمتدُّ قيمة الاستيعاب أو تنكمش، ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، فإنّ استيعاب البعض للبعض هو الذي يؤدّي إلى توسيع دائرة القبول والرّفص التي تؤسّس قاعدة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أنّ الاستيعاب قيمة احتوائية تطوي الهوة بين الأنا والآخر، إذن
فالقاعدة هي:

استيعاب المختلف يطوي الهوة بين المختلفين والمتخالفين.
والاستثناء هو:

إقصاء المختلف يزيد الهوة بين المختلفين أتساعاً.
ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك، علينا أن نجيب على السؤال:

كيف يصبح الاستثناء هو الاستثناء؟

عندما تستثني جماعة ما عضواً من أعضائها من المشاركة، أو يستثني
مجتمعاً ما جماعة من جماعاته من المشاركة، فإنّ هذا الاستثناء يخالف
القاعدة التي تستوجب مشاركة كل أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابية، وهذه قاعدة.

والاستثناء اقصائي، وهذا استثناء.

إذن فقاعدة الاستثناء المهني مشاركة تعني: أنّ الاستيعاب لا يكون
إلاّ على الإيجاب فعّالاً، ومن هنا فلا يكون إلاّ لمن له الحقّ سواء أكان
فرداً، أم جماعةً، أم مجتمعاً.

ومع أن قاعدة الاستيعاب مشاركةً تقرُّ أن يبدأ الأخصائي الاجتماعي أو الباحث في مجال العلوم الاجتماعيَّة مع المبحوثين من حيث هم، فإنَّها تقرُّ أيضًا أن يظل الاستيعاب مشاركة حتى بلوغ الغايات التي من ورائه ونيل المأمول المستهدف الوصول إليه أو الفوز به.

ولأنَّ قاعدة الاستيعاب مشاركة تملأها الإيجابيّة، وفيها النَّفس تأخذ فُسحتها وتطمئن؛ فإنَّ أيَّ استيعاب بلا مشاركة موجبة يعدُّ خاليًا من أيِّ فسحة ولا تجد النَّفس فيها ما يطمئنها.

إذن: الاستيعاب مشاركة هو الاستيعاب المهني المقصود، الذي به الأهداف تُنجز، والأغراض تتحقَّق، والغايات تُبلغ، والمأمولات يتمُّ نيلها أو الفوز بها.

وعليه: فإنَّ قاعدة الاستيعاب مشاركة لا تكون إلَّا متجاوزة للمختلف عليه بما هو أهم استيعابًا؛ وهي تفتح آفاق التقبُّل والتفهّم أمام الجميع هم كما هم، وليس كما يجب أن يكونوا عليه؛ ذلك أنَّ قاعدة الاستيعاب مشاركة لا استثناءات فيها ولا حرمان، كما أنَّها تمنح حيزًا أخلاقيًا يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل، مع تقدير ما يختلف به واحترامه، والاستيعاب كونه قيمة حميدة لا يكون إلَّا بقرار مسبق، به يتمُّ قبول الغير، وتفهم ظروفهم، وتقدير أحوالهم، وتقبُّل ما يختلفون به، أو بما هم به يتميِّزون.

والاستيعاب قيمة تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائماً الغاية من ورائهما نيل المأمول الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلاّ بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الغير. والاستيعاب مشاركة يُمكن أصحابه من الإلمام بالموضوع، كما يمكنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن الآتي:

. استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكنهم من التعرف عليها، وتحفّزهم على العمل بها مشاركةً.

. استيعاب السّلبات، وتحديدّها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

- استيعاب المختلف والمخالف مشاركة وبلا انحياز، ولا عصبية، يرسّخ قيمة الإنسان ويمجّد تاريخه؛ انطلاقاً من أنّ الفروق الفرديّة بين الناس مكّمة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف مشاركة، يمكن من التفاهم، والتفهم، ومن ثمّ يمكن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف مشاركة ينهي التآزّمت، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكن من تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف مشاركة يجعلهم في دائرة (نحن معاً).

. استيعاب المختلف والمخالف يمكن من توليد القوة وجمعها وتسخيرها
لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا يجب أن يكون الاستيعاب مشاركة بلا تردد، والتقبل حتى
النهاية التي بها تُدرك الأمور، وتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول؛ ولكن عندما
تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاهما، يحدث التفرّق والصدّام والصراع،
وتتجدّر العداوات بين الناس بأسباب التدافع عن غير حق¹⁸.

مستويات قاعدة الاستيعاب مشاركة:

قاعدة الاستيعاب مشارك ذات أثر قيمي على شخصيات الأفراد
والجماعات والمجتمعات بدرجات غير متساوية، ونظرًا لوجود الفروق الفرديّة
من حيث القدرات والاستعدادات والثقافات والتعليم، فإنّ هذه المتغيّرات
تجعل قيمة الاستيعاب على السّلم القيمي في مراتب ومستويات متباينة،
ولكلّ مستوى قيمي درجة قياسيّة تختلف من حيث الاختيار والتقدير من
شخص لآخر ومن جماعة لأخرى ووفقًا لحماسي عقيل لتحليل القيم فإنّ
المستويات القيميّة للاستيعاب هي:

أولاً . المستوى القيمي الموضوعي ويتمركز على:

18 المصدر السابق، 57.

- . تقبُّل الآخر كما هو بغض النظر عن لونه أو جنسه أو دينه أو
- انتماءه أو خصوصيته الاجتماعيَّة، وتقديره واحترام آراءه بما يُمكن الأفراد
- من التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني.
- . التفهُّم المتبادل بين الأنا والآخر يعد أساسًا لبناء مجتمع الفكرة الذي
- يؤسِّس على تبادل القيم الفاضلة.
- . التعامل بكل شفافيَّة مع الآخر بما يحقِّق الاستيعاب والتفاعل
- والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيَّات.
- . الوعي بممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليَّات.
- . تقدير الآخر والاعتراف به.
- . غرس التَّقة في الغير.
- . التملُّك وفقًا للحاجة، والعمل وفقًا للتَّخصُّص والخبرة، والإنتاج وفقًا
- لمواصفات ومعايير الجودة النوعيَّة.
- . المساواة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته.
- . التجرُّد من الانحياز غير العادل.
- . أدراك الحقائق كما هي لا كما يجب أن تكون عليه.
- . التمسُّك بالمصادر الطبيعيَّة كالعرف والدين في تقويم السُّلوك والفعل.
- ثانيًا . المستوى التطلُّعي ويتمركز على الآتي:

. الانفتاح على الآخر من اجل ما يفيد مع عدم التفريط في الذات
التي ينتمي الأفراد أو الجماعات إليها.

. أدراك ما يجري ومحاولة تكوين علائق على أكثر من مستوى موجب.

. التهيؤ للتغيير النافع.

. الاعتماد على المنطق في الحاجة.

. المقدرة على الاستنباط المجرد للحقائق.

. الطموح بما لا يطمس الهوية.

. الاعتدال والاتزان الانفعالي مع القيم الذاتية والقيم المتطّلع إليها.

ثالثًا . المستوى الذاتي ويتمركز على الآتي:

. حبّ الذات الاجتماعية.

. التعصّب إلى مقومات الخصوصية حتى ولو كانت على غير صواب.

. التمسك بالمرور حتى وان كان في حالة عدم اتزان مع واقع العصر.

. التباهي بالذات حتى وان لم تكن مواكبة لحركة التغيير المفضّل.

رابعًا . المستوى الانسحابي ويتمركز على الآتي:

. الانسحاب من القيام بالأفعال الموجبة أو المشاركة فيها.

. الميل إلى الأنانية.

. عدم تحمّل المسؤولية.

. عدم الإسهام في بناء الشخصية الوطنية.

. التمسك بمطالبة الحقوق والانسحاب من أداء الواجبات.

. لا تُعدّ السلبية من الأعمال المعيبة.

خامسًا . المستوى الأناني ويتمركز على الآتي:

. الأنانية وعدم تقبُّل الآخر.

. تغليب مصلحة الأنا على مصلحة الذات.

. تجاوز الحدود على حساب الآخرين.

. المعيار: (أنا كل شيء).

. المقياس: (الأخذ بدون عطاء).

. الرؤية الشخصية ولا شيء يماثلها.

وعليه:

. لا تكن أنانيًا فالأنانية نقيصة.

. لا تكن إنسحابيًا فالانسحاب من المواقف الموجبة لا يعدّ إلا عيبًا.

. احترم ذاتك يحترمك مجتمعك ويُقدِّرك الآخرون.

. تطلّع إلى ما هو أفضل تحدث لك الثُّقْلة وتصنع لك مستقبلًا.

.كن موضوعيًا تنال الاحترام والتقدير وتكسب الهيبة.

قاعدة

التربط العلائقي

التربط قيمة لا يكون إلا بوجود علاقة تربط المختلف مع المختلف والمتنوع، في سياقٍ مندمجٍ، وفي وحدةٍ وتعاونٍ واشتراكٍ، والتربط لا يكون إلا بأسباب التجاذب الذي لا يكون الانكماش من بعده إلا افتراقًا.

والتربط العلائقي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات لا يكون قويًا إلا بقوة الحاجة إليه، وبقوة الخوف المتوقعة في حالة ما إذا حدث انفكاكًا وبأيّ علة.

إذن: التربط تماسكٍ وظيفيٍ وبنائيٍ، فوظيفي كونه لا يكون إلا لغاية، وبنائي كون لا يكون إلا على العناصر ذات العلاقة وذات الحاجة. مع أنّ للتربط مفهومًا واضحًا فإنّ تربطه لا يكون إلا نتاج أشياء متداخلة فيما بينها اتصالًا بنائيًا كما هو تداخل مفهوم التماسك والتوافق تربطًا.

والتربط: ظهور علاقة بين متغيرين أو أكثر، يؤثر كل منها في الآخر تأثيرًا موجبًا، أو سالبًا، كما ترتبط الحجّة بالحجّة وتؤثر فيها، سواء أكان التربط والتأثير من حيث الفكرة، أم المفهوم، أم الدلالة، أم المعنى، وهكذا تربط الفكر في الموضوع الواحد حتى تظهر نصًا متماسكًا.

والترابط كما يكون ظاهرًا في العلاقات الاجتماعية والإنسانية يكون ظاهرًا في منظومة القيم، والمثال على ذلك: ارتباط قيمة الإنسان بقيم الحرية، والعدالة، وممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسؤوليات؛ وهذا الترابط لا يكون إلا ناظمًا لحلقات منفصلة في سلسلة متصلة.

أما التماسك فهو انتظام المتجزئ في الجزء المتكّون منه، ثم انتظام الأجزاء في الكلّ المتكوّنة منها، ما يجعل الشيء وحدة واحدة متماسكة في شكلها البنائي كليًا، ولا يكون التماسك إلا بين الأشياء المتجاذبة؛ إذ وراء كلّ تماسك قوّة تظهره شكلاً، وصورة، ونهضة بنائية، وعلمية، وثقافية، وبالتالي لا يكون الشيء شيئاً مترابطاً على القوّة إلا بتماسكه.

ولو أخذنا الوثيقة التاريخية مثلاً للترابط فلا يمكن لنا أن نتجاهل الماضي الذي كتبت فيه، ولا يمكن لنا قراءتها وتحليلها بمنعزلٍ عمّا يجب أن يكون في المستقبل عبرة واتعاضاً؛ ولهذا لا يمكن أن يكون التحليل مترابطاً إذا تجاهلنا الخط الذي كتبت به، واللغة التي اعتمدها، وعلاقتها بالزمن، وعلاقتها بمن نسبت إليه، ومن ثمّ ينبغي أن يكون تفحصها متسلسلاً وفقاً لتغيّراتها (متغيّراً بمتغيّر عبر الزمن) وكذلك الأحداث المتضمّنة فيها دون الغفلة عن اللغة التي كتبت بها، ومثال لذلك: عندما تُكتب المخطوطة باللغة الفرنسيّة، وصاحبها الذي نسبت إليه لم يكن يعرف التّحدث ولا الكتابة باللغة الفرنسيّة؛ فهذه حُجّة تضع الوثيقة موضع الظنّ والشكّ؛ وبالتالي تسقطها وتجعلها خارج دائرة الاهتمام، وهكذا تسقط أيّ وثيقة

إذا كان تاريخها على سبيل المثال: قبل الميلاد، وصاحبها الذي نسبت إليه مولود بعد التاريخ الميلادي.

إذن: لا يمكن أن يكون الترابط إلا بدليل وحجة، سواء ترابط اجتماعي، أم اقتصادي، أم سياسي، أم نفسي، أم ذوقي، أم ثقافي؛ وذلك وفقاً للترابط الموضوعي ومجالات امتداده كما هو حال:

- الترابط الاجتماعي: الممتد بين الأفراد، والجماعات، والمجتمعات الإنسانية.

- الترابط الاقتصادي: الممتد بين الثروة، والإنتاج، والاستهلاك، والملكية.

- الترابط السياسي: الممتد بين حقوق تمارس، وواجبات تؤدى، ومسئوليات تُحمّل.

- الترابط النفسي: الممتد بين النفس، والقلب، والعقل، والضّمير، والحواس.

- الترابط الذّوقي: الممتد بين المشاعر، والأحاسيس، وملكات التمييز الرفيع.

- الترابط الثّقافي: الممتد بين الكلمة، والحجّة، والنّصّ، والبرهان¹⁹.

19 المصدر السابق، 60.

ولهذا فالترابط يتعدّد ويتنوّع داخل المفردة الواحدة؛ كما هو حال ترابط السّمع مع البصر، والدّوق واللمس، والمشاهدة والملاحظة؛ ولهذا نلاحظ ترابط الكلمة مع مخرجاتها وصورها البيانيّة والبلاغيّة، ومع طريقة عرضها لكي تصل إلى الآخرين.

وعليه: تُصبح المعلومة حُجّة بترابطها وترابط معطياتها؛ فعلى سبيل المثال: الترابط بين النّظر والسّمع وبقية الحواس والعقل، فما تسمعه الأذن تشتاق العين لرؤياه، وتبتهج النفس إليه رغبة، فتتحسس ملمسه حتى تتبيّن ما لحقّ به من نعومة أو خشونة.

ولذا فلولا ترابط السّمع مع النطق ما صغينا.

ولولا ترابط الدّوق مع الطّعم ما تلذذنا.

ولولا ترابط البصر مع الحركة ما لاحظنا.

ولولا ترابط ملكات تفكيرنا ما تذكّرنا وما تفكّرنا، وما استنبطنا وما

استقرينا.

ولذلك ترابط الكلمة مع الفكرة قبل خروجها على الألسن، وترابط

مع صياغتها أثناء خروجها، وترابط مع صورها البناييّة والبلاغيّة والمنطقيّة

والوظيفيّة بعد خروجها.

وعليه:

. في البناء المتماسك قوّة، وفي البناء المفكك ضعف.

. يسقط الجدار عندما تزداد فواصل التفكك فيه.

. يصمد شامخاً كلما زادت درجة التماسك بين لبناته.

. الأفراد والجماعات بتماسكهم تظهر القوّة، وبتفرّقهم يظهر الضّعف.

ولأنّ الإنسان في خلقه قوّة.

إذن: من طبعه أن يكون متماسكاً، وإذا لم يكن كذلك، يصبح في مواجهة مع القواعد الطبيعيّة، ما يجعله في حالة ضعف ووهن؛ والمثال التالي رياضياً يبين لنا قوّة العلاقة وضعفها:

$$2 = 1 + 1$$

$$4 = 2 + 2$$

$$3 = 9 - 12$$

ولكن ماذا يعني هذا الأمر، أو على ماذا يدل؟

يدلُّ على وجود رابطة متماسكة قيمياً. أي إنّ قوّة (1) بالترابط مع

الآخر تتضاعف.

لذا: $1 + 1$ تعني: قوّة + قوّة = قوّة مضاعفة.

$2 + 2$ تعني: قوّة مضاعفة + قوّة مضاعفة = قوّة أكثر مضاعفة.

12 - 9 = 3 وتعني: قوّة كبرى أصبحت تقل بكثير عمّا كانت عليه، ولهذا قوّة ألاني عشر حصاناً تساوي أربعة أضعاف قوّة الثلاثة حصان.

وعليه: تزداد القوّة أو تنقص من حيث الكم، بنسبة الترابط الذي عليه حالة الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وقد يتساءل البعض:

مع أنّه بالتماسك تزداد القوّة قوّة، إذاً لماذا لا يصحو الضّعفاء من غفلتهم، ويتماسكوا حتى يخرجوا من حالة الضّعف التي هم فيها، أو التي هم عليها؟

والحل هو: إيقاظ الغافلين ومساندتهم على هزيمة الضّعف، ثم تمكينهم من التّخلي عن مسبباته، وكشف عيوبه، حتى يتمكّنوا من تجميع عناصر بناء القوّة.

أي إنّ حل الإشكالية يتمركز على: العودة إلى القاعدة، والتخلي عن الاستثناء.

ولمزيد من الإيضاح، نأخذ الفرضية القيمية الآتية: (التفكك العائلي إشكالية)، وهذه الإشكالية تتطلّب استبدال مسببات التفكك بمسببات الترابط لأجل الإسهام في معالجة الحالة، فعلى سبيل المثال:

. تشتت الأبناء في أماكن الانحراف، وعدم مبالاة الأب والأم بذلك،
يجعل الأسرة في حالة وهن وضعف، لأسباب التفكك التي ألمت بها.
. تركز الأبناء والوالدين على قيم المجتمع وأخلاقياته المفضلة، يجعل
أفراد الأسرة في حالة ترابط وقوة.

ولهذا على الباحث الاجتماعي أن يتعرّف على كل متغير ذو علاقة
بالحالة قيد البحث أو الدراسة، وأن يتذكر التاريخ، ولا يغفل حتى لا يكرر
الأخطاء، وعليه أن يميّز بين الماضي الذي يتذكره والحاضر الذي يعيشه،
وبين المستقبل الذي لا يخضع ولن يخضع للتذكّر؛ كونه الزمن القابل للتفكير
فقط، ومن ثمّ فعليه أن يفكر ويتفكر حتى يسهم في إحداث الثقلة دون
أن يغفل عن دائرة الممكن.

قاعدة

المقارنة تمييزاً

المقارنة قيمة تشبع رغبة الراغبين أو الآملين بما يرغبون ويأملون، وهي
القيمة المحفزة على الاختيار الصواب أو الفوز بما هو أكثر قيمة وأكثر أهمية
أو الأكثر ايجابية؛ ولذا فالمقارنة وعي علمي ومعرفي وقانوني وليست بمنهج،
بها يتمّ التمييز بين المشاهد والملاحظ، وبين ما يجب، وما لا يجب؛ ومن
هنا تعتمد المقارنة على تبيان نقاط الاختلاف أو الخلاف، ونقاط الاتفاق
والتنوع، وإبراز درجات النزوع إلى التمرکز، أو درجات التشتت عنه.

وعليه:

. قارن قبل أن تقرّر.

. ميّز بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

. دقّق فيما تشاهد.

. لاحظ ردود الأفعال.

. تذكّر القول، ولاحظ الفعل، ثمّ قارن.

. فكّر في المتوقّع وغير المتوقّع ثم ميّز.

. حدّد نقاط التمرکز، ونقاط التشتت ثم قرّر.

. انتبه للنصّ والوثيقة؛ حيث النسخ والتزوير يسري في كثيرٍ منها.

. استمع جيّدًا لأقوال الشاهد؛ فهو بين صدقٍ وافتراءٍ، أو بين دراية

ولا دراية.

. تجنّب الميل العاطفي؛ فهو مقبرة الحقيقة.

ولذا فما يُمكن من التمييز يُمكن من المقارنة؛ ذلك لأنّ التمييز

يتضمّن حكمًا يُدخل الشّخص المميّز في دائرة الموضوع حتى يجعله وكأنّه

جزءٌ منه، فالشّخص الذي يميّز بين الحقّ والباطل ويرتكب فعلاً من أفعال

الباطل جعل نفسه جزءًا من الباطل، وفي المقابل من يميّز بينهما ويتخذ

موقفًا حقًا جعل نفسه جزءًا من الحق؛ ولذلك يحدث الصدام والخصام والخلاف بين الناس (بين حقٍ وباطلٍ)²⁰.

أمّا المقارنة فتحتوي قرارًا لا يجعل الشخص المقارن جزءًا من الموضوع قيد المقارنة؛ فالذي يقارن بين زرافة وزرافة، أو شجرة وشجرة، يقارن بين صفات وخصائص لا يمكن أن يكون جزءًا منها.

ومع ذلك فلا تمييز ولا مقارنة من دون سلامة المدركات العقلية والحسية؛ ومن ثمّ هناك منطقة تداخل بين مفهوم التمييز والمقارنة؛ من حيث إنه لولا سلامة الحواس ما قارنًا، ولولا المقارنة ما ميّزنا؛ ولذا فما يُمكن من التمييز يُمكن من المقارنة؛ وعندما تجرى المقارنة بين المشاهد والمشاهد، يصبح التمييز بين الجيد والأجود.

وعليه قارن بين هذا وذاك:

. محبة الوالدين ومعصيتهما.

. الأمانة والخيانة.

. الصدق والكذب.

. شهادة الحقّ وشهادة الزور.

20 عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار

ألجا، الطبعة الثانية، 1995، ص 141.

. الحقّ والباطل.

. فعل الخير وفعل الشرّ.

. ممارسة الحقوق والحرمان منها.

. أداء الواجبات وعدم أدائها.

. حمل المسؤوليّات والتخلّي عنها.

. الإرادة والإكراه.

. التعاون والانفراد.

. الاعتماد على النَّفس والاعتماد على الغير.

. العدل والظلم.

. الوفاء والنقيصة.

. الحلال والحرام.

. الحبّ والكراهة.

ولذلك إذا تمت المقارنة بوعي يتم التمكُّن من معرفة ما يجب والتمكُّن من فعله أو القيام به أو الامتناع عنه موضوعياً، وعن دراية في دائرة النسبيّة والممكن.

ولذا لكي يعرف الباحث الخاصية من الصفة، عليه أن يقوم بعملية المقارنة التي تُمكنه وتمكن الأفراد من الاختيار عن وعي وإرادة.

ولكي يتمكن كل منهم من معرفة الخاصية والصفة عليهم ألا يغفلوا عن المقارنة بين ما هو دقيق وما هو أدق منه.

وعليه:

. قارن ما هو خفي بما هو أكثر اخفاء.

. قارن الكبير بما هو أكبر منه في الحجم.

. قارن ما هو بليغ بما هو أبلغ منه في اللغة والقوة.

. قارن الحسن بما هو أحسن منه في الذوق.

. قارن الإيقاع بالإيقاع تكتشف النغمة الموزونة من النغمة المهتزة.

. قارن الإنسان بالإنسان (الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة).

. قارن الحيوان بالحيوان (الغزالة بالغزالة، وليس الغزالة بالزرافة).

. قارن الطائر بالطائر، والنبات بالنبات، والجماد بالجماد.

. قارن النوع بالتنوع والجنس بالجنس.

. قارن الحركة بالحركة.

. قارن الشكل بالشكل.

. قارن الحجم بالحجم.

. قارن الممكن بالممكن.

. قارن الذّوق بالذّوق.

. قارن المهارة بالمهارة، والخبرة بالخبرة.

وعليه: فإنّ عملية المقارنة ليست منهجًا كما يظن البعض، بل هي قاعدة منطقيّة وعلميّة للانتباه الواعي قبل الإقدام على القول، أو الفعل، أو العمل، أو السلوك، ومن ثمّ فإذا قمت بهذه العمليّة عن وعي تستطيع أن تميّز وتحدد الاختيار وفقًا للخاصيّة والصّنفه، وإذا غفلت عنها تقع في المحذور، وقد تندم في وقت لا ينفعك النّدم؛ ومن ثمّ قارن بلا تردّد حتى لا تقع في الفخّ.

ومن هنا يعتمد التحليل المقارن على المعلومات المتوافرة وفقًا لمعطيات ذات خصائص وصفات أو كمّيّات، وتكون المقارنة بين المشاهد والمشاهد، وبين المجرد والمجرد، وبين المحسوس والمحسوس، مع مراعاة الطّرف الزّماني والمكاني والخصويّة عند تحليل المعلومات والبيانات؛ ولذا يُقارن المبدأ بالمبدأ، والهدف بالهدف، والموضوع بالموضوع، والنّوع بالنّوع²¹.

21 المصدر السابق، ص 95.

وتعتمد المقارنة على تبيان نقاط الاختلاف والاتفاق، بين النوع والنوع (بين الإنسان والحيوان والطيّائر والنبات) وداخل كلٍّ منها (بين وردة وشوكة، وصقر وبومة).

ومن هنا يتضح الاتفاق والاختلاف بإبراز درجات النزوع إلى المركز والتشتت عنه، مع أنّ كل نزوع يحتوي على تشتت، وكل تشتت يحتوي على نزوع، أي: إنّ النزوع نحو النوع يحتوي على تشتت بينه، فإذا قارنًا حلو المذاق بمرّه، فهذا لا يعني بالضرورة أن يكون حلو المذاق خاليًا من المرارة، أو خاليًا من نسبة منها، وكذلك المرّ ليس بالضرورة أن يكون خاليًا من نسبة الحلو فيه؛ فحتى العسل حلو المذاق من بينه مرٌّ؛ ولذا فعند مقارنة المرّ بما هو أمرّ منه، يصبح المرّ السّابق حلواً بالنسبة إلى المرّ اللاحق؛ وهكذا السّالب والموجب، إذا قارنا درجة البرودة والحرارة بقياسات درجة تحمّل الإنسان لها، نجد كلّما انخفضت درجة الحرارة تحت الصّفر ازداد الطقس برودة، وكلّما ارتفعت درجة الحرارة فوق الصّفر ازداد الطقس حرارة، فإذا وصلت درجة الحرارة إلى 30 درجة مئوية تحت الصّفر، ووصلت بعد فترة إلى 50 درجة مئوية فوق الصّفر، تكون النتيجة واحدة بالنسبة إلى الإنسان، درجة الحرارة السّالبة ودرجة الحرارة الموجبة سالتان على حركة الإنسان ونشاطه الطّبيعي، وما يبدو سالبًا للبعض قد يكون موجبًا للآخر، فإذا كانت درجات الحرارة المشار إليها سابقًا غير مقبولة بالنسبة إلى الإنسان فإنّها قد تكون مفضّلة لنشاط وحركة كائنات وحيوانات أخرى،

مما يجعل الدرجة السالبة عند الإنسان، قد تساوى موجبة عند غيره من بعض الكائنات الأخرى.

وحتى داخل النوع الواحد تختلف المقاييس ودرجات الرضا؛ فإذا كانت الحياة موجبة عند البعض، قد تكون سالبة عند الآخر، فالذي يعاني من العذاب، والذي لا يجد من يهتم به رعاية وعناية، قد تكون الحياة بالنسبة إليه سالبة، والموت أرحم، ومن هنا فالموت بالنسبة إليه أصبح المنقذ الموجب.

وعليه: يتوحد السالب مع الموجب في الحياة ويتمركز السلب مع الإيجاب ويتشتتان في الفرد الواحد؛ فعندما يتحد الحب مع الكراهية يصبح الإنسان الذي يحب هو الإنسان الذي يكره في دائرة النسبية، ومن ثم فلا مكان للمطلق في المقارنة، فما هو منطقي ومقبول أو مفضل في مكان من الأماكن، وفي زمن من الأزمنة، قد لا يكون كذلك في أماكن وأزمنة أخرى؛ ولذلك عند التحليل المقارن ينبغي ألا يغفل الباحث عن مقارنة المشاهد بالمشاهد، والمحسوس بالمحسوس، والموضوع بالموضوع، والمبدأ بالمبدأ، والدور بالدور، والصفة بالصفة، والخاصية بالخاصية، والنوع بالنوع، والجنس بالجنس، والحجم بالحجم، والكم بالكم، والكيف بالكيف²².

22 المصدر السابق، ص 177.

قاعدة

الثَّابِتْ اهْتِزَازًا

الثَّابِتْ والمهْتَزْ مع أَتَّهما على مفهوميْنِ مختلفيْنِ، فإِتَّهما يتجسَّدانِ في الشَّيْءِ الواحدِ حركةً أو قِيَمَةً، ومع ذلك فقد يكون الثَّابِتْ بالأَمْسِ هو المهْتَزْ هذا اليَوْمِ، أو أَنَّ الثَّابِتْ هذا اليَوْمِ هو الذي كان مهْتَزًّا بالأَمْسِ.

ومن هنا فالثَّابِتْ هو حيويَّةُ الشَّيْءِ حركةً أو سكونًا، أمَّا الثَّابِتْ فهو الشَّيْءِ ذاته؛ ولهذا فالثَّابِتْ يشاهد، أمَّا الثَّابِتْ فيلاحظ، فعلى سبيلِ المِثَالِ: إذا حدَّدنا أَنَّ الشَّيْءِ هو اليَدِ (الثَّابِتْ) فاليدُ قابلةٌ للمشاهدةِ العينيَّةِ (البصريَّةِ)، أو اللمسِ حسًّا، ولكن هل يستطيع أحدٌ رؤيةَ حركةِ اليَدِ؟

بالتأكيد حركة اليَدِ لا تُرى، بل الذي يخضع للرؤية هو الشَّيْءِ المشاهد (اليَدِ)، وإذا قال أحدٌ نرى الحركة، فليُرسَمِ لنا الحركة، إنَّه لن يستطيع رسمها مع أنَّه يستطيع رسم المتحرِّكِ (اليَدِ) ووصفه؛ ولهذا فالثَّابِتْ حيويَّةُ الحركةِ والسَّكونِ، أمَّا الثَّابِتْ فهو المتحرِّكُ أو السَّاكنُ.

وعليه:

في مقابل مفهوم الثَّابِتْ يأتي مفهوم المهْتَزْ، وهو الذي لا يستقر ثباتًا، ولا سكونًا؛ قال تعالى: { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ²³، أي: تغيّرت الأرض من هامدة (لا حيويّة) إلى رابية حيويّة ونباتاً²⁴.

ومن ثمّ فما يُعتقد أنّه على الثبات حركة واستمراريّة، قد يفاجئك سكوناً، وما يُعتقد أنّه على حالة من السكون، قد يفاجئك امتداداً؛ لأنّه لا ثبات إلّا بقوّة، ولا اهتزاز إلّا بقوّة.

ولهذا فالقوّة قيمة قاعدية للثبات والحركة؛ فمن يصمد ثبات قوّة، لا يقارن بمن يستسلم ثبات وهنٍ وضعفٍ، ووفقاً لدائرة الممكن فالثبات والمهتر كلاهما في حالة حركة، سواء اكانت الحركة سالبة أم موجبة.

وإذا أخذنا القيم والمبادئ مثلاً للتوضيح لعرفنا أنّ الثبات عليها ثبات أخلاقيّ، والحياد عنها حياد عن المفضّل والمقدّر اجتماعيّاً وإنسانيّاً؛ ما يجعل للمصلحين والأخصائيين الاجتماعيين أدوراً متنوّعة، ومتعدّدة في سبيل المعالجة والإصلاح الاجتماعيّ.

ولذا استمدت المبادئ قوّتها من الثبات، واستمدت ضعفها من الاهتزاز، ومع أنّ كل شيء في حالة حركة، فإنّ كلّ شيء قابل للتغيّر

23 الحج: 5.

24 عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيّة قواعد ومبادئ قيمية، القاهرة: 2019، ص 149.

والتغيير، والحركة قد تكون مشمولة، وقد تكون محمولة؛ فهي مشمولة بحركة الكون كله، وهي محمولة في حركة المتحرك بذاته²⁵.

إذن: علينا أن نفكر في الثابت كما نفكر في المهتز؛ ذلك لأنه لا ثبات مطلق في دائرة الممكن والنسبية؛ ولهذا حتى القيم هي ذات ثبات نسبي، ومع أنها القابلة للتطوير والتغيير عبر الزمن، فإنها الأكثر استقراراً؛ ولهذا فلا فرق بين الثبات والاهتزاز من حيث أن كل منهما نسبي، والذي جعل كل منهما على حالة من النسبية، هو التداخل بين الحركة والسكون، ولهذا الثبات على حالة من الاهتزاز، والاهتزاز على حالة من الثبات، ولو لم يكن الثبات نسبياً ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا، وكذلك لو لم يكن الاهتزاز نسبياً ما أصلحت أحوال المنحرفين وعادوا لأداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعية والإنسانية.

ولأن كل شيء نسبياً، إذاً كل شيء ممكناً، فلا تستغرب أن يحدث ما لم تتوقع أن يحدث، وعليه إذا وقع ما لم تتوقع فعليك بالتعامل معه وفقاً للأبعاد القيمية الآتية:

1 . البعد المهني.

2 . البعد الاجتماعي.

3 . البعد الإنساني.

25 المصدر السابق 179.

4 . البعد الأخلاقي .

وعليك أن لا تغفل أن كل ذلك لن يخرج عن دائرة الاحتمالات،
وعليك أن تعرف وفقاً لدائرة الممكن أن كل شيء قابل لأن يتغير كلما
توافرت معطياته أو اشتراطاته.

وعليه ففكر في الثابت كما تفكر في المهتز، فكل شيء يتغير، وأعرف
أن الزمن كفيلاً بذلك إذا توافرت العزيمة ورسمت الخطط، ووضع المستقبل
هدفاً رئيساً لإحداث التُّقْلة.

ولأن كل ثابت قابل للاهتزاز، إذن وجب التفكير فيهما قبل اتخاذ
القرار؛ ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقع وغير المتوقع،
من حيث: أن 50% من الدائرة هو ثابت أو متوقع، وأن 50% من
الدائرة هو المهتز أو غير المتوقع، وأيضاً قد يكون الثابت سالباً، وقد يكون
موجباً، وهكذا المهتز يمكن أن يكون سالباً ويمكن أن يكون موجباً.

ولذا فإن المتغير المتداخل يربط الثابت والمهتز في علاقة دائرة واحدة
مثلما يربط المتوقع وغير المتوقع في علاقة دائرة واحدة وهي دائرة (الممكن)،
ولهذا تتداخل الحركة مع السكون، ويتداخل السكون مع الحركة.

وبما أن نسبة من السكون في حالة حركة، ونسبة من الحركة في حالة
سكون؛ إذن لا وجود للقوة المطلقة بالنسبة للمخلوق؛ ولذا ففكر في الثابت
حتى تتيقن، وفكر في المهتز مثلما أنت متيقن.

وبما أن هناك حركة، إذن بالطبيعة لا وجود للثبات المطلق، ولا وجود للاهتزاز المطلق.

وعيه: لو لم يكن الثبات نسبيًا، ما تعيّرنا وما تغيّرت أحوالنا، ولو لم يكن الاهتزاز نسبيًا ما أصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن البُحّاث الاجتماعيون من إعادتهم للقاعدة (الإنسان قوّة)؛ وبذلك يتمكنوا من أداء وظائفهم الاجتماعيّة والإنسانيّة، وفقا لقاعدة (كل شيء ممكنًا)؛ ولهذا فحركة الثبات من الحالة السالبة إلى الحالة الموجبة، تُحدث نُقلة وتترك أثرًا قيمياً موجباً على المستوى النفسي والاجتماعي والإنساني؛ فعلى سبيل المثال:

1- تحوّل المنحرفين من ثباتهم على حالة السرقة والانحرافات السالبة، إلى حالة الثقة والإيجابية، يُحدث لهم النُّقلة التطلعية، التي تجعلهم وتجعل المحيطين بهم، يمدون الله ويشكروه على أنّ الثبات على السالب ليس بمطلق؛ ولهذا يقوم الباحث الاجتماعي، بدوره المهني في عمليّة الإصلاح، ويقوم الطبيب بعمليّة العلاج، وتقدم مؤسّسات الخدمة الاجتماعيّة والرعاية الاجتماعيّة، المساعدة الهادفة.

2- تطلّع الفرد أو أعضاء الجماعة إلى ما هو أفضل قيمياً، وتحركهم تجاهه، يحقق لهم النُّقلة المفيدة والنّافعة، حتى وإن كان ثباتهم على القيم السابقة موجباً؛ ولذا فلو لم يكن كل شيء نسبي ما استطعنا أن نصحّح

المعلومات الخاطئة التي تشرَّبها المنحرف وأثرت في أقواله وأفعاله وسلوكه سلبيةً.

وعليه فالقيم ثوابت؛ ذلك أنَّها تستمدُّ من مصادر ثابتة (الدين والعرف)، ولهذا يحتكم النَّاسُ بها، إنَّها مكمِنُ القوَّةِ في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع، وبدون القيم لا تجد المحبَّة تربة صالحة لنموها، وبدون صلاح تربتها لا تجد المحبَّة من يحافظ عليها، ولا تجد من يكن لها التقدير والاحترام.

ولذا فإنَّ التبدُّل لا يُسهم في بناء الحياة الأسريَّة والاجتماعيَّة والإنسانيَّة ولا يؤسِّس عنوناً، ولا يصنع تاريخاً ويحقِّق مستقبلاً، ولا يُسهم في تنظيم المجتمع وعلائق أفرادهِ وجماعته.

ومع ذلك ليس دائماً التمسُّك بالقيم فضيلة حميدة؛ ذلك أنَّ القيم البالية التي لا تُسهم في صناعة المستقبل ولا تحدث التُّقْلة فإنَّ التمسُّك بها يؤدِّي إلى التخلُّف الثقافي والحضاري، ويطمس الشخصية التي يجب أن تتطلَّع تجاه الأفضل، بل التمسُّك بالقيم الباليَّة لا يسهم إلَّا في إظهار الشخصية الإنسحابيَّة الضعيفة التي لا تستطيع تحدي الواقع وأسبابه وعلله التي تشد إلى الخلف في زمن الاندفاع إلى الأمام.

والقيم التي يشب النَّاسُ عليها عبر الزَّمن قد يعتقد البعض أنَّها مسلمات لا يُقبل المساس بها حتى وإن لم تواكب حركة التغير الاجتماعي والإنساني، ولهذا القيم ثوابت عنيدة، فالتمسكون بها لا يطيقون فراقها أو الحياد عنها، ولهذا فأمرها ليس هيناً، وعلى الباحث الاجتماعي مراعاة

ذلك والعمل على تجاوزه بمنطق وْحُجَّة وليس بإكراه، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، ثم العمل معهم في اتجاه ما يجب، لأجل إحداث الثُّقلة بإرادة.

وعلى الباحث الاجتماعي أن يضع في حسبانهِ أهميَّة القيم بأهميَّة ما تحقِّقه من منافع ومكاسب للأفراد والجماعات والمجتمعات، وبمدى أهميَّتها في تقوية الوحدة الاجتماعيَّة وصنع المستقبل رقعة وقمَّة؛ ولهذا فالثَّوابت العنيدة قواعد، والحياد عنها ليس بالأمر الهين، مع أنَّه ممكناً؛ ذلك لأنَّ الزَّمان كفيلاً بمتغيراته أن يغيِّر أو يؤثِّر في الثَّوابت وإن كانت عنيدة.

قاعدة

الظَّاهر كمونٌ

الظَّاهر هو ما ليس بباطن ولا بمخفي الأثر، والكامن هو الذي بيننا وبين ظهوره حِجاب، أو ستار، أو حائل، ومن وراء كمونه عللٌ وأسبابٌ ومعطياتٌ؛ ولهذا فالظَّاهر قابلٌ للمشاهدة والملاحظة، أمَّا الكامن فمن ورائه ساكنٌ.

أي: كلُّ شيء خاضعٌ للمشاهدة أو الملاحظة هو ظاهر، سواءً أكان قولاً، أم فعلاً، أم سلوكاً، أم عملاً وأثراً، وكل ما خُفي عن ذلك في حيزِ الوجود كامنٌ؛ ولهذا فعندما تكون الفرحة ظاهرة على وجوهنا، يكون الحزن

فينا كامناً، وعندما تتوافر اشتراطاته، أو معطياته يفور من حينه ليعلن أنّه قوّة قادرة على مداهمة واختراق كلّ الحواجز التي سترته قبل الظهور.

ومن ثمّ فالحواس ممكّنة من الإدراك العقلي لما هو ظاهر في دائرة الممكن، وما هو كامن فيها، ولكن دائماً عندما يكون الظاهر في الصّدارة متحرّكاً يكون الكامن من ورائه ساكناً، وقد يتماثل الظاهر مع الكامن، وقد لا يتماثل، فعندما يكون القول كاذباً بطبيعة الحال يكون مخالفاً للحقيقة، وعندما يكون صادقاً يصبح مماثلاً لها، وهكذا في كل أمر، وعندما تُترجم الأقوال الظاهرة في سلوكيات وأفعال تمرّ شخصيّة الإنسان حسب مواقفها من الحقيقة بخمسة مستويات قيمية هي:

1. الاتزان الانفعالي: لا سالب ولا موجب (ذاتية حيث التمرکز على قيم المجتمع).

2. الميل لأخذ المواقف السّالبة: (الميل إلى ما لا يُرضي الآخرين؛ حيث الانسحاب من بعض القيم الاجتماعيّة).

3. بلوغ قمّة المواقف السّالبة: (الشخصانيّة؛ حيث ظهور السُّلوك الأناني، والتفكير في الأنا فقط).

4. الميل لأخذ المواقف الموجبة: (التطلُّع للمرضي؛ حيث المنطق والحجّة).

5 . بلوغ قمة المواقف الموجبة: (الموضوعية؛ حيث العقل سيد الميدان مع الرقي في حسن التصرف).

وعليه: مع أنّ الكامن ليس بظاهرٍ فإنّه يشغل حيّزًا، وهو قابل للظهور، ومع أنّ الكامن غير متيسر للمشاهدة مع أنّه يشغل حيّزًا، فإنّه السّابق على القول والفعل، فلو لم يكن الكامن ما كان الظاهر، أي: إنّ الفكرة أولاً، وإظهارها والعمل بها ثانيًا، وهكذا تكون الهيئة أولاً والصورة على هيئتها تأتي ثانيًا.

ولهذا فظهور الكامن وجودٌ يسبق ظهور الظاهر مشاهدًا، ومن هنا فالكمون هو أصل الظاهر، كما تكمن النخلة في النواة، ويكمن الزيت في ثمرة الزيتون، وهنا يكون الظاهر نواة، والكامن نخلة أو زيتونة؛ ومن ثمّ فالكامن قابل للظهور إذا توافرت اشتراطاته، وقابل للاستقراء والاستنباط كلّما لوحظت ردود أفعاله، وقابل للإثبات والمقارنة كلّما تلمّسنا الأثر وشاهدناه.

ومن ثمّ يتداخل الظاهر مع الكامن في علائق قيمية مثلما يتداخل المتوقّع وغير المتوقّع في دائرة الممكن، ويسبق الكامن الظاهر كما يسبق الإيمان السلوك والفعل المترتب عليه، وكما تسبق الخيانة أو الردّة السلوك، أو الفعل الذي يرتكبه الخائن، أو المرتد²⁶.

26 المصدر السابق، 152.

والظاهر قد يكون قابل للمشاهدة، وقد يكون قابل للإدراك والملاحظة، ومع ذلك ليس كل ظاهر بواضح، فتلك الأفعال الظاهرة فيها من الغموض ما فيها، ومن ثمّ فلا يغرّك الظاهر.

ولسائل أن يسأل: بما أنّ الأفعال الظاهرة بيّنة، إذاً كيف تُخف بالغموض؟

بطبيعة الحال ليس كل ما يُقال حقيقة، فبعض ما يقال يحفّه الخطأ أو يتعرّض له، والبعض يحفّه الصواب أو يتوحد معه، ففي الوقت الذي يميل فيه البعض عن قول الحقّ، في الوقت ذاته يميل البعض إلى التمسك به، ولهذا دائماً بعض القضايا صادقة وبعضها دائماً كاذبة.

ولهذا فالقول بعد الاستماع إليه تترتب عليه استجابة، قد تكون مُعلنة، وقد تكون غير مُعلنة، وفي كلتا الحالتين، تقع الاستجابة في دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) ما يجعلها في أربع احتمالات:

1 . أن تكون متوقّعة صادقة.

2 . أن تكون متوقّعة كاذبة.

3 . أن تكون غير متوقّعة صادقة.

4 . أن تكون غير متوقّعة كاذبة.

وفي مقابل ذلك يمكن أن تكون:

ولذا فليس كل ظاهر بيّن وأن وقع تحت حاسة المشاهدة؛ فعلى سبيل المثال: عند مقابلة الباحث الاجتماعي لمن يتولى حالته بالدراسة والبحث يوليه اهتمامًا كبيرًا فيستمع وينصت إليه عندما يتحدث أو يعبر أو يشرح ويفسر، ومع ذلك يعرف أنّ ما استمع إليه في حاجة للتقصّي؛ إذ أنّ العميل قد يُظهر ما لا يُظن، فقد يخفي متعمدًا حقائق كثيرة، وقد يزور بعض منها، وقد يبالغ فيما يقول، ولهذا يضع الباحث الاجتماعي حالة الفرد تحت المتابعة المهنية بالمشاهدة والملاحظة وبإجراء مقابلات مع الآخرين ذوي العلاقة بالموضوع أو الحالة قيد البحث، ولهذا يعدّ التّبين ضرورة لأجل التأكيد من سلامة ما يقال أو ما يُفعل.

وعليه:

- اظهر حسن النية للمبحوث يستأنس إليك.
- أنصت له بعناية يلتفت إليك انتباهًا.
- اشرح له صدرك يشرح لك صدره.
- أفسح له المجال ليظهر ما لديه تنفيسًا.
- تأكد من المعلومات التي يدلي بها إليك دون تسليم مطلق.
- تبين وفقًا لقاعدة الممكن؛ إذ كلُّ شيء بين المتوقّع وغير المتوقّع.
- تعامل بكل شفافية ووضوح تستمد الثقة منه.

. لا تغفل عن أهميّة السريّة وحسّسه بحرصك عليها.

قاعدة

التحاجُّ دليلاً

التحاجُّ قيمة يُمكن من المجادلة صواباً، والتجادل بها لا يكون إلا عن قناعة بالموضوع، أو القضية التي من وراء حُجَّتِها حُجج أعظم.

ومن ثمّ فأصحاب الحُجج تطوَّراً يسعون إلى إحداث التُّقْلة، والارتقاء بالنَّاس إلى ما يجعلهم قَمَّة، وفي المقابل من يخالفهم بغير حُجَّة يشدُّ إلى الخلف إعاقه، وبين هذا وذاك فلا استقرار، ولا أمن، ولا ارتقاء، ولا تطوُّر لأحد ما لم يأخذ بالحُجَّة ارتقاءً واستيعاباً، ولا استثناء لأحد بأية علة، إلا إذا كان أحد علة في ذاته، ولا استغراب؛ إذ لكلِّ قاعدة شواذ، ومع ذلك الحُجَّة الجدباء لا تصمد أمام الحُجَّة الحلّ، التي تعلو بأصحابها تطوُّراً وارتقاءً إلى ما يمكن من المعرفة التي بها سترتق الأرض والسَّماوات كما كانت أوّل مرّة.

ولإنَّها المحاجَّة، وفيها من المجادلة ما فيها؛ فهي لا تكون إلا بالتي هي أحسن: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }²⁷؛ أي: لا ينبغي

27 العنكبوت: 46.

أن تكون المجادلة والتي هي أسوأ؛ فالأسوأ لا يقود إلا للخلاف، والصدام، والافتتال؛ ومن ثمَّ يلد الألم أما²⁸.

ولأنَّ الحاجة لا تكون قاعدة إلاَّ بدليلٍ شاهدٍ؛ لذا تفقد الحاجة موضوعيتها بفقدانها الدليل الشاهد، والدليل قد يكون وثيقة، أو شاهد عيان، أو نصًّا مقتبسًا من مصدره، أو حكمة من عرفٍ، أو سنَّة فعلية وسلوكية، أو عادة اجتماعية يحتكم المجتمع بها أو يحتكم إليها.

وحتى لا يسود الألم بين الناس ينبغي الأخذ بقاعدة الحاجة دليل (حُجَّة في مواجهة حُجَّة)، ولهذا فالمجادلة لا تكون إلاَّ حرصًا وتطورًا وارتقاءً، ويجب أن تبدأ الحاجة مع المختلفين من حيث هم عليه اختلافًا، لا من حيث ما يجب أن يكونوا عليه اتفاقًا؛ فما ينبغي أن يكونوا عليه اتفاقًا هو المأمول الذي من أجله تجرى الدراسات والبحوث العلمية، أمَّا المجادلة غلظة فهي خارج دائرة المنطق العلمي، وهي التي لا تكون إلاَّ مع من يستغلظ على الحقِّ بغير حقِّ، وهنا، يصبح المستثنى من جنس المستثنى منه (غلظة بغلظة) ومع ذلك فللعفو والصَّفح مكانة لا يبلغها إلاَّ من تدبَّر أمره حكمة.

ولأنَّ الجدل والتي هي أحسن وسيلة للارتقاء؛ فينبغي أن تكون أساليبه على الترغيب، والتشويق، والنهي، والرَّهبة، والتحذير، والإنذار مع

28 عقيل حسين عقيل، المعلومة الصائبة تصحح المعلومة الخاطئة، القاهرة: مكتبة

الخانجي للطباعة والنشر، 2018، ص 46.

مراعاة الفروق الفردية بين المتجادلين ارتقاءً؛ ففي الجدل الرسائل تُرسل بين المتجادلين لكلِّ حسب ما هو عليه من معرفة، وثقافة، ومعتقد، ومنطق، مع عدم إغفال أهمية الحكمة في إدارة الجدل؛ فالإنسان مع أنه خلق من نطفة، ولكنه خصيم؛ ولهذا فهو مجادل، ولأنه كذلك فمن حقه أن يجادل، ولكن حرصاً وتطوراً وارتقاءً ينبغي أن يجادل بالتي هي أحسن؛ فهو كلما جادل بالتي هي أحسن كسب قلوب الناس، وفي المقابل متى ما استغلظ عليهم استغلظت قلوبهم عليه²⁹.

ولأنها الحاجة دليلٌ فهي في معظم الأحيان لا تكون إلا في المعلومة الحاملة للحجة الموثوق فيها؛ كونها شاهدة من شواهد الحقيقة، أو أنها الدالة عليها إثباتاً، أو المرسخة لها وجوداً.

والمحاجة المتبادلة هي المتاحة والمتوفرة بين الناس حجة؛ كونهم الراغبون على استدعائها مطلباً ورغبة كلما واجهتهم الحاجة إليها حكماً بينهم أو بين المتخالفين منهم؛ ولهذا فمن لا يُستدعى منهم بالمرونة حجة متبادلة يُدفع إلى اتخاذ المواقف الرافضة أو المتطرفة.

ولذا فالمحاجة توفر الوقت وتختصره، وتجعل الثقة بين الناس متبادلة من خلال ثقتهم في الحجج التي يحتكمون بها ويتبادلونها حرصاً على العلاقات، وحرصاً على سيادة العدالة بينهم، ومن ثم فلكل خلاف

29 المصدر السابق، 68.

واختلاف نهاية حُجَّةٍ بحجةٍ، مما يجعل تلك الخلافات التي بدأت لا بدَّ لها وأن تنتهي.

ولأجل غرس الثقة بين النَّاس أو بين الأخصائيين الاجتماعيين وعملائهم مهنيًا ينبغي أن يتم تبادل الحُجج التي تُؤدِّي إلى الإصلاح وتُمكن منه، والتي تُحدث النُّقلة بغاية الحلِّ وبلوغه، ثمَّ من بعده يتمُّ نيل المأمول والفوز به بحثًا ودراسة وجهودًا تبذل وفقًا لأهداف قابلة للإنجاز.

وعليه: إنَّ المحتكمين بالحجة المتبادلة لا يقنطون من التفاهم، وتفهم ظروف الغير والحالة التي هم عليها، ومن هنا فهم على الأمل واثقون من بلوغ الحلِّ، والحلِّ في دائرة الممكن وإن تعسَّرت الأمور وعظمت فهو ممكنٌ. إذن: تبادل الحاجة قيمة مقدَّرة بين النَّاس، أو بين الباحث والمبحوث، أو بين الأخصائي الاجتماعي وعملائه يُعيد الثقة المفقودة بينهم جميعًا، ومن ثمَّ يشكل قناعة متبادلة بأنَّ الحياء أو الانحراف عن القيم يستوجب أن لا يدوم؛ كونه لا يكون في ديمومته إلا على حساب الغير بغير حق.

وعليه: بالمراجعة الذاتية والتقييم الموضوعي يمكن أن يتمَّ تصحيح الاتجاهات والانحرافات وتصويب النوايا، وتغيير الأهداف والاستراتيجيات، وتقويم الحالات؛ إذ لا شيء في دائرة الممكن إلا وأن يكون ممكنًا.

ولذا فالمعلومات المتحاجُّ بها في الزَّمن الآن، وهي المأخوذة من ذلك الزَّمن الماضي، والتي كان يُعتقد بأنَّها مسلَّمت موثوق بها في زمنٍ من

الأزمان قد لا تكون كذلك في زمنٍ آخر في حالة ما إذا تمَّ إخضاعها إلى قاعدة (تبادل الحجّة بالحجّة) مما يستدعي عدم التمسُّك بالأفكار والقضايا وجعلها مسلّمات مُطلقة وكأَنَّها منزّلة من السَّماء.

ولأنَّ التَّحاجَّ المتبادل لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودراية ومعرفةٍ إذن: فلا تحتاج إلَّا بمعلومات يتمُّ تبادلها، وهي المعلومات المحصَّنة؛ كونها لا تخرج عن موازين العقل والقيم وعالم المعتقدات والأفكار، وكذلك لا تخرج عن قواعد المنهج والبرهان؛ ولهذا فالْحُجَّة المتبادلة إن لم تكن شاهدةً محسوسة وملموسة، فلا شكَّ ستكون محاجّة فكريّة عقلية، مما يجعل الفكرة في حالة امتداد من عقلٍ إلى عقلٍ، وفي مقابل ذلك تتعرَّض المعلومة للانكماش والرَّفْض عندما لا تُبادل الحُجَّة بالحجّة.

ولأنَّ كلَّ شيءٍ يترتّب على معطياته وسماته وأغراضه وغاياته ومستهدفاته، فإنَّ المعطيات تُسهم في تأسيس الحجّة على الحجّة، والمعلومة بالمعلومة حتى وإن رُفضت بداية من الأنا أو من الآخر، فالْحُجَّة الحقّ قادرة على أن تبقى وتصمد متحدّة إلى أن تتمَّ العودة إليها من جديد؛ لتكون المتغيّر الرّئيس في تحقيق الإزاحة إلى ما يؤدّي إلى حلول ومعالجات وإصلاحات موضوعيّة يتمّ تقبُّلها من الأنا والآخر³⁰.

30 عقيل حسين عقيل، المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب)

مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م، ص 15 – 18.

قاعدة

الشكُّ تيقُّنًا

الشكُّ لا يكون إلا بغاية المعرفة والتبيّن حُجّة بحجّة، ومن ثمّ فالشكُّ لا يصمد امام اليقين والتعرّف عليه، ودائمًا الذي يشك في نفسه وجوب التبيّن لكل معرفة؛ ولذا لا يمكن أن يكون الشك ساذجًا، بل لا يكون إلا على درجة من الوعي وحُسن التفكير بغاية حُسن التدبُّر.

ومن هنا فالشك عملية عقلية واعية، ووسيلة علمية في البحث والتقصي الفطن والتتبّع الدقيق، من أجل التعرّف بقناعة وانتباه، ولهذا لا يمكن استخدام هذه الوسيلة عند ضعف القدرات العقلية، مما جعل الواعين بها متميزين، وجعل البحّاث بها مهتمين وعنهما غير غافلين.

ومن ثمّ يستمر الشك العلمي إلى أن يصل الشكُّ أو الباحث المتفحّص إلى الثقة في المعلومة التي يتقصى حقائق وجودها، أو إثبات عدم وجودها أو بطلانها.

ولذا فعلى الباحث أن يحلل ويتعرّف على العلل والأسباب ييقين لا بسذاجة؛ وذلك لأنّ التحليل العلمي هو الذي يعتمد على الشك من أجل اليقين، لا من أجل الشك في حد ذاته، ولهذا يشكُّ الباحث في المعلومة المنقولة أو المسموعة إلى أن يتأكد بإثبات وبرهنة علمية، مما يجعله يقبل أو يرفض بقناعة وموضوعية.

هذا ويجب أن لا يغفل الباحث الاجتماعي في دراساته للحالات الفردية والجماعية والمجتمعية عن المنطق المعتمد للحجة والبرهان؛ حيث من المنطق أن تحلل المعلومة في زمانها لا في زمان لاحق عليها، ومع ذلك ليس كل من يعتمد المنطق يعتمد الأسلوب العلمي في البحث والتقصي الموضوعي؛ ولذا لم يكن المنطق هو كل شيء في التحليل العلمي إن لم يكن له مصادق.

ولذا فالمنطق إذا فقد المصادق فقد البرهنة العلمية وأصبح تعبيراً بلا حجة تسنده، فإذا أخضعنا على سبيل المثال: منطق أرسطو للقياس حسب القولية الجاهزة التي توضع فيها المقدمتان والنتيجة نلاحظ أن المقدمتان قد تؤديان إلى نتائج شكيّة أو خاطئة مما يجعل الباحث يشكّ في كل مقدّمة إلى أن تثبت بالمصادق.

فإذا تفحصنا القضية الآتية، نلاحظ الخلل الذي تحويه:

كل الحيوانات تخاف الأسد.

اللبؤة حيوان.

إذن اللبؤة تخاف الأسد.

نلاحظ أن هذه القضية كاذبة لعدم وجود مصادق لها، لأنّ اللبؤة

هي التي أنجبت الأسد، بعاطفة الأمومة والأبوة، والمحبة الفطرية الغرائزية.

ولهذا ترتبط اللبؤة مع الأسد بعلاقة استثناس ومودّة، مما جعل بينهما مداعبة غرائزيّة.

وهكذا المثال التّالي يدعم المثال السّابق في مقدمتيه والنتيجة التّالية:

كل من وقف بعرفات كُتبت له حجّة

سارية وفتت بعرفات

إذن كُتبت الحجّة لسارية

هذه القضية هي الأخرى شكّيّة، مما يجعل الضّرورة العلميّة تستوجب ملاحظتها وتفصيّلها، حتى يتم الكشف عنها بمصادق الإثبات أو بمصادق النفي.

فإذا كانت سارية طيبة تؤدّي مهمة مع الحجيج أو شرطية تُسهم في تحقيق الأمن لهم، أو كانت عاملة تُقدّم الخدمات المساعدة أو بائعة مع البائعين أو المتبرعين بالمياه الباردة أو غيرها ولم تكن ضامرة على أداء الفريضة؛ فلن يكتب لسارية حجّة، حتى وإن وفتت بعرفات يوم وقوف الحجيج بها؛ وهكذا يمكن أن تقف سارية في موسم غير موسم الحج بعرفات وهي في زيارة أثناء اعتمادها اقتداء بسنة الرّسول مُحمّد عليه الصّلاة والسّلام، ولم تُكتب لها حجّة.

وكذلك يمكن أن تكون القضية المنطقيّة كاذبة، وإيكم المثال التّالي

للتبيّن:

كل الحيوانات تحرك الفك السفلي

التمساح حيوان

إذن التمساح يحرك الفك السفلي.

وفقاً للمقدمتين السابقتين والنتيجة عرفنا أنّ الحيوانات تحرك الفك السفلي، وبالمنطق إذا سلمنا بذلك، وسلمنا بأنّ التمساح حيوان فلا بد من أن يحرك فكه السفلي كغيره من الحيوانات، ولكن في حقيقة الأمر إنّ التمساح هو الحيوان الوحيد حسب معارفنا الذي يحرك الفك العلوي، ولهذا لكل قاعدة استثناء.

وعليه: ليس بالضرورة أن يكون المنطق متماثلاً مع الحجّة والبرهان العلمي المثبت، مما يجعلنا نعتمد العلم مسلّمة يُحتكم بها أو يُحتكم إليها.

اشكّ كي أتأكد:

بما أنّنا نشكّ بغاية التأكد، إذن نحن نهدف إلى المعرفة الواعية، وهذا يعني: أنّ عمر الشكّ ينتهي بلحظة التأكد؛ ولهذا فالشكّ متعلّق إدراكي يتم به التمييز بين ما هو كائن بالفعل، وبين الذي تصاحبه الظنون، والذين يشكّون هم الذين ترافقهم الفطنة والحذر معاً، وبه يتمّ فكّ اللبس وإزالة الغموض، حتى التمكن من معرفة الحقيقة كما هي لا كما يراد لها أن تكون عليه علّة.

وعليه: عندما تحدث الأشياء أو تظهر فإنَّ الشكَّ لا يصاحب وجودها، بل يصاحب مدى مصداقيَّتها، فأَيُّ شيء قد وقع أو حدث هو مثبت لا شكَّ فيه، لكن الذي توجَّه له سهام الشكَّ هو مدى علاقة ما حدث أو وقع بالموضوع قيد البحث أو الدِّراسة التي تستهدف كشف الحقيقة.

ولهذا لا شك فيما قد حدث، بل الشك لا يلاحق إلَّا ما سيحدث، أي إنَّ الشيء الذي حدث أو وقع لا يندرج تحت الشك، بل يندرج تحت طائلة الظنِّ؛ ولذلك ليس دائماً الظن صادقاً، الظنُّ في بعض الأحيان يخلو من برهنة الإثبات، ولهذا بعض الظنِّ أتم، ولأنَّ بعض الظنِّ إثماً، إذن فبعضه الآخر يقع في المكان الصائب، ويأتي بنتيجة موجبة، وبالبحث والدِّراسة يتم التأكد من سلامة الذي قيل أو كُتب من عدمه، وفي كثير من الأحيان الذي قيل هو حكماً، وبالتَّقصي والمتابعة والمراجعة يتم التأكد من مصداقيَّة الحكم أو بطلانه؛ ولذا فإثبات الحكم باطلاً يصبح ذلك الحكم المسبق لا يزيد عن كونه ظناً.

ولهذا فالقاعدة هي:

. الشكُّ للتأكد.

. الشكُّ تمييزي.

. الشكُّ فطنة.

. الشكّ حذري.

الشكّ من أجل اليقين:

بطبيعة الحال لو سألنا الشاك عن وعي: لماذا تشكّ؟

فسيقول: لأنني أرغب في المعرفة البيّنة، والتي بمعرفتي بها وعيًا يصبح اليقين شُعلة في رأسي وليس تاج فوقه.

ولهذا فإنّ قواعد المنهج لا تغفل عن الشكّ الذي به يتأكد اليقين، وتطمئن القلوب، والشكّ عن وعيٍ يُمكن من:

. التعلّم عن وعي.

. نيل المعرفة الواسعة بإرادة ورغبة.

. لا فعل ولا سلوك إلا بعد تسليم.

. إزالة اللبس والغموض عن كل قضيّة أو برنامج.

. التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

. مطابقة القول مع الفعل.

. تبني ما يتم الاتفاق عليه.

– أمّا ما يقع أمام المشاهدة والملاحظة معًا فهو مثبت لا شك فيه، فقط في حاجة لمن يُقدّمه أو يُعرّف به من لا يعرفه من الآخرين الذين لم يسبق لهم أن تعرّفوا عليه؛ ومن ثمّ فلا شكّ في شيء وقع.

- الشيء الذي وقع، لا يندرج تحت الشكّ، ولكن قد يندرج تحت الظنّ، وليس دائماً الظن صادق.

وعليه: الشك من أجل اليقين قاعدة، والظن من أجل الظن استثناء؛ قال تعالى: {يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} ³¹.

. الظن يخلو من برهنة الإثبات، ولهذا (بعض الظن إثم).

. الفرق بين الشك والظن أنّ الشكّ يتطلّب دليل إثبات (برهان) مع استعداد سابق لقبوله، أما الظن فيحتوي على فقدان الثقة في الآخر، حتى وأن توفّرت لديه حسن النية.

ولذا فإن الشكّ قاعدة علميّة، تعتمد المنطق والحجّة حقائق للإقناع والافتناع، والظن استثناء لا يؤخذ به إلا في حالات غير المتوقع السّالب، كأن يقسم لك أحد بالله وأنت تعلم أن له سوابق في الكذب، فهنا يصبح الظن في حالة استدعاء معرفي ليس إلا.

ولذا فالباحث الاجتماعي الذي لا يشكّ في سلوكيّات وأقوال وأفعال المبحوث والمعلومات التي يعطيها أو يدلي بها، فأنه قد يقع في الفخ، ولهذا عليه أن يشكّ فيما يُسمع، وفيما يُكتب، وأن يتأكد موضوعياً من تجميعه وتحليله للمعلومات، وأثناء تشخيصه لكلّ حالة، وأن يتيقن بأنّ الحقيقة بين يديه.

31 آل عمران 154.

المبادئ المهنية للخدمة الاجتماعية

تستمد مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعية من النظريات الاجتماعية والنفسية، ومن القواعد الإنسانية التي لا ترى الإنسان إلا قيمة في ذاته، ومن تلك القوانين الأخلاقية الضابطة لقيم الممارسة المهنية؛ وذلك وفقاً لأهداف مرجوة، وغايات يُراد بلوغها، ومأمولات يتم نيلها؛ ومن هنا فإن أهداف المهنة في هذا المؤلف جاءت مستندة على تلك القواعد السابق ذكرها، والتي هي الأخرى جاءت مستندة على النظريات في العلوم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

ولذا فالمبدأ اتفاق قيمي فضائلي معياري تؤسس النظم عليه، وبه يقاس السلوك البشري، ويحتكم به على الأفعال والأعمال والسلوكيات. إنّه تعبير عن قوانين الظواهر، من حيث الدلالة والبناء، وهو الأساس لأيّ نظام ما يجعل الخروج عنه استثناءً وشدوذ عن اتخاذ مواقف موجبة. ووفقاً للمبادئ يتم تأصيل الأفكار والمضامين والنصوص والخطابات والحالات، أو المواضيع والمشاكل، وكشف علاقات متغيراتها وإخضاعها للقياس المعياري حتى يتمكن من الحكم عليها بالسلب أو بالإيجاب؛ فالمبادئ تُمكن الباحث من المعرفة المستأنس بها، وتمكنهم من قياسها والحكم عليها.

وعليه: تؤسّس المبادئ على قواعد، وتؤسّس القوانين على فروض وتؤسّس النظريّات على قوانين، ومع أنّ القواعد هي الأساس القيمي للمبادئ والنظم فإنّ لكل قاعدة استثناء.

وبالمبادئ القيميّة تؤصّل الأفكار وتُرسّخ وتخضع للقياس الكيفي وفقاً لقواعد المنطق، وتخضع للقياس الرّياضي وفقاً لقواعد الإحصاء؛ وذلك بما يُمكن من التعرف على مبررات التطابق والتعرف على متغيراته، أو علله ومعطياته وأسبابه، أو يتم كشف معطيات الاختلاف بمبررات موضوعيّة.

والمبدأ في مهنة الخدمة الاجتماعيّة قاعدة لضبط السُّلوك وتوجيهه إلى ما يجب بمبررات موضوعيّة، وعلى ضوءها يقاس السُّلوك الفردي والجماعي والمجتمعي ويتوازن، وبالخروج عنها يظهر الاعتلال والاختلال في القول والفعل والسُّلوك.

ومن ثمّ حدّدت مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعيّة إنسانياً بعد تجريب على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي عبر الزّمن، حتى أصبح على أساسها يُعد الأخصائيين الاجتماعيين بمهارات وأساليب فنية متنوّعة؛ لأجل تقديم المساعدات الهادفة لمن هم في حاجة إليها نتيجة لما يعانونه من مشاكل، أو ما يواجهوا من أزمات وصعاب.

ويمارس الأخصائيون الاجتماعيون مهنة الخدمة الاجتماعيّة وهم منطلقون من مبادئها في اتجاه تحقيق أهدافها الإنسانيّة، حتى يتم العلاج

والإصلاح ويُتَّوَم السلوك وتُقَدَّم المساعدات الهادفة في أوجهها ولمن هم في حاجة إليها.

ولذا فالمبدأ: اتفاق إرادي يُقرّه من يتعلّق الأمر بهم، فيلزمهم اتباعاً وفقاً لنصوصه التعاقدية، من أجل مستقبل يأملونه، وهو لا يؤسّس إلا على قاعدة موضوعية، ولا يستمدّ إلا من قيمة؛ وقد يكون مبدأ عاماً (مستمدّ من قيمة عامة) مثل: قيمة العدل، وقد يكون مبدأ خاصاً (مستمدّ من قيمة خاصة) مثل: المصلحة، ممّا يجعل المبدأ مقيداً بالعائد المشترك مصلحة سواء أكانت اجتماعاً، أم اقتصاداً، أم سياسةً.

ولهذا فالمبدأ لا يكون إلا على قيمة مقدّرة من قبل الكلّ أو الجزء، أو المتجزئ منه، وعلى ضوئه تُقيّم الأفكار والاتجاهات ويقوّم السلوك، ومن هنا فلمهنة الخدمة الاجتماعية الناهضة مجموعة من المبادئ الأخلاقية والإنسانية وهي:

مبدأ

تحدي الصّعب

الصّعب هي ما ليس بالسهل، ومع أنّها صعب فإنّ تحديها ممكناً؛ ولذا فالصّعب تستوجب مزيداً من الجهد لتحديها دون أن تكون مستحيلة التحقق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبراً ومزيداً من الثبات وبذل الجهد الممكن من إنجاز

الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن، حتى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعب كي تيسر الأمور ارتقاءً؛ فالصّعب إن لم تداهم ارتقاء لا بدّ وأن تداهم من لم يداهما، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدي الصّعب تهيؤاً، واستعداداً، وتأهباً، وعملاً راقياً تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالماً بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالماً بالرغم من الصّعب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدي الصّعب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنّ الممكن ارتقاءً يُمكن من تحدي الصّعب، فلم لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيؤ للعمل لا مكان فيه للتردد في نفس المتهيئ لأدائه، ومن يتوقّع أنّ أداء العمل ميسر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا فالتهيؤ لتحدي الصّعب يُمكن من أداء العمل ارتقاءً؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدياً تُرسم أيضاً لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيؤون لارتكاب أعمال التطرّف بإرادة في معظم الأحيان هم

يُقَدِّمُونَ عَلَى تَنْفِيزِهَا دُونَ تَرَدُّدٍ، وَالَّذِينَ يَقَاوِمُونَ أَعْمَالَ الْمُتَطَرِّفِينَ بِإِرَادَةِ هُمِ الْآخَرُونَ يَقَدِّمُونَ عَلَى مَقَاوِمَتِهِمْ وَمَقَاتِلِهِمْ بِكُلِّ قُوَّةٍ، أَمَّا أَوْلَئِكَ الْمُوظَّفُونَ الَّذِينَ تُصَدَّرُ لَهُمْ أَوَامِرُ تَنْفِيزِ التَّطَرُّفِ، أَوْ أَوَامِرُ مَقَاوِمَتِهِ فَلَنْ يَكُونُوا فَاعِلِينَ، بَلْ سَتَكُونُ أَيْدِيهِمْ عَلَى الزَّنَادِ مَرْتَعِشَةً، وَهِنَا تَكْمُنُ الْعَلَّةُ.

وَمِنْ تَهْيَأٍ وَاسْتَعْدَادٍ لِتَحْدِي الصِّعَابِ وَأَقْدَمَ عَلَيْهَا فَلَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيْنِ أَنْ يَتَهَيَّأَ لِمَا يُعَيِّرُهُ عَنِ الْاسْتِمْرَارِ فِيهَا، إِلَّا إِذَا فَكَّرَ وَتَذَكَّرَ وَقَبِلَ إِرَادَةَ أَنْ الْمَعْلُومَةُ فِي دَائِرَةِ الْمُمْكِنِ الْمَتَوَقَّعِ وَغَيْرِ الْمَتَوَقَّعِ لَا تُصَحِّحُ إِلَّا بِالْمَعْلُومَةِ الْحَامِلَةِ لِلْحُجَّةِ، وَمِنْ هُنَا؛ فَكَلَّمَا تَوَقَّرَتِ الْأَفْكَارُ وَالْحُجَجُ تَجَاهَ الْقَضِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ مَثَارَ الْإِتْبَاهِ وَالْإِهْتِمَامِ، كَانَتْ اسْتِجَابَةُ التَّهْيِئِ لِلْحَدِثِ أَسْرَعَ، وَكَلَّمَا تَضَاءَلَتِ الْأَفْكَارُ أَوْ انْعَدَمَتْ، كَانَتْ عَمَلِيَّةُ التَّهْيِئِ مُتَبَاطِئَةً لِحِينَ اسْتِجْمَاعِ الْأَفْكَارِ عَنِ الْحَدِثِ الْخَارِجِيِّ الَّذِي يُؤَدُّ الْوَقُوفَ عَلَيْهِ.

وَعَلَيْهِ فَالتَّهْيِئُ لِلْقَوْلِ الصَّعْبِ يُؤَدِّي إِلَى الْاسْتِعْدَادِ لِأَنَّ يُقَالُ بِإِرَادَةِ، وَكَذَلِكَ التَّهْيِئُ لِلْعَمَلِ يُؤَدِّي إِلَى الْاسْتِعْدَادِ لِأَنَّ يُفْعَلُ بَعْدَ تَأَهُّبٍ.

وَمَعَ أَنَّ الْمُمْكِنَ ارْتِقَاءً لَا اسْتِحَالَةً فِيهِ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَعْقِبِ التَّهْيِئُ اسْتِعْدَادًا؛ فَلَا إِمْكَانِيَّةَ، حَيْثُ لَا إِرَادَةَ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ غِيَابَ الْإِرَادَةِ يَغَيِّبُ كَلًّا مِنَ التَّهْيِئِ وَالْاسْتِعْدَادِ، وَمِنْ ثَمَّ تَقْوَى دَرَجَةُ الْاسْتِعْدَادِ الْمُرْتَبِّةَ عَلَى الْإِرَادَةِ وَالتَّهْيِئِ بِقُوَّتِهِمَا وَتَضَعُفُ بضعفهما وَحِينَهَا لَا إِمْكَانِيَّةَ لِتَحْدِي الصِّعَابِ؛ أَي: لَا تَحَدُّ بِإِرَادَةِ، وَلَا تَهْيِئًا، وَلَا اسْتِعْدَادًا، وَحَتَّى وَأَنْ اجْتَمَعَتْ

في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمة.

وعليه:

إذا أردت تحدّي الصّعب فعليك:

. أن لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميّة على المتوقع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. اصمّد فالصّعب لا يصمد، أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة، فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجهه بغيرها أي: لا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلا أن يقدرك صلحًا وتصالحًا وعفواً: { وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ }³².

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فلم لا يواجهه إلا

من البعض؟

³² الأحزاب 25.

أقول:

لأنَّ البعض دائماً أفضل من البعض، أي: دائماً الواعون والصّابرون
والمؤمنون بأنَّ الحقَّ يُحقِّق عملون على إحقاقه تحديّاً وقهراً للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت
معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلا
على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثّمّن جهداً ووقتاً وإمكانات تنل أضعافها مكاسب
وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهراً.

. تحدّ الخوف الذي يقنعك كسلاً، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد
نفسك منتجاً، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسوِّلاً مع
المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدي
تجد نفسك متحديّاً، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعب تجد الصّعب
مستسلماً.

فالتأهّب لتحدي الصّعب يوجب في النفس حرارة الاندفاع تجاه
الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة
بعد تهيؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنقذ ما يشاء،
وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنَّ لكلِّ فعلٍ ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاءً لا بدّ وأن يكون متأهّباً لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطّة والحذر عند تحدّي الصّعب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، حتى تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحاً مسانداً؛ ولذلك فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاءً بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم ينهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

ومن هنا تعد الصّعب مجموعة من المعوقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلاّ بالإزاحة، أي: لا إمكانية لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تراح العوائق من السبيل المؤدّي إلى ذلك.

ولأنّها عوائق؛ فهي قابلة لأن تراح، ولأنّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومن يتأخّر عن إزاحتها في شبابه، سيجد نفسه متأخراً عمّن أراحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصّعب لا تخيف، بل المخيف عدم الإقدام على

تحديها. ومع ذلك فالصعاب لا تواجه الكسالى، بل تواجه المتطلعين لصنع المستقبل، فالصعاب إن لم تداهم تحدياً، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدي الصعاب تهيؤاً، واستعداداً، وتأهباً، وعملاً راقياً تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

فالتهيؤ للقول الصعب يؤدي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة، والتهيؤ للعمل المنتج يؤدي إلى الاستعداد لأن يفعل بعد تأهب، ومن ثم فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدي إلى نيله.

ومع أن الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنه إن لم يعقب التهيؤ استعداد فلا إمكانية؛ ولذلك فإن غياب الأمل يغيب كلاً من التهيؤ والاستعداد، ومن ثم، تقوى درجة الاستعداد المترتبة على الإرادة والتهيؤ بقوتها وتضعف بضعفها وحينها لا إمكانية لتحدي الصعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه:

إذا أردت تحدي الصعاب أملاً فعليك بالآتي:

. أن لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به
علاقة وأهميّة على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن
كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. أضمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا
للـبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي
حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجهه
بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي
يملكه تقنيّة. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلا أن يقدرك
ويحترمك ويعترف بك مساويا له على كفة العدالة.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيّلة، فلم لا يواجه إلا من البعض؟

أقول:

لأنّ البعض أفضل من البعض، أي: دائمًا أصحاب الآمال العريضة
والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدّي بتحدّي.

. اقبل بدفع الثّمن جهدًا ووقتًا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب

وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدّ الخوف الذي يقنعك كسلًا أو يخالجك جنبًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلاً مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحديّ تجد نفسك متحدّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعب تجد الصّعب مستسلمة.

ولذلك فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته والرّغبة من ورائهما حافز ودافع.

ولذلك فتوفّر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهّل من عمليات الإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فقد لا يحقّق ذلك، فعلى سبيل المثال: الشاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النّجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردّ عليه الحكيم "من

رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟
وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملىء بالماء
وطلب من الشاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشاب إلى
الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشاب ووضعها
داخل وعاء الماء ومّرت عدة ثوانٍ بدأ الشاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم
بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم
وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلّمته من التجربة؟
فقال الشاب: لم أتعلم شيئاً.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلّمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت
أن تُخلّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد
ذلك كنت دائماً راغباً في تخليص نفسك فبدأت في التحرك والمقاومة ولكن
بيطء حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيراً
أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا وجب غرس الثقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا
بلوغ المأمول، وإلا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلاّ الأمنيات التي لا
يمكن أن تصنع لنا مستقبلاً، ولهذا لا ينبغي لنا أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النفسيّة والبدنيّة والماليّة لما هو متوقّع ومأمول ولما

هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثّقة في النفس؛ حتى يتم التمكن من تحدي الصّعب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعية الموجبة.

. غرس الثقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كله وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية والذوقية وفقا للخطط والاستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلع بهم إلى ما يُحدث التُّقْلة.

. غرس الثقة في أفراد الشعب من خلال مؤسسات الدولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوُّر والتقدُّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشَّعب على المشاركة الفعَّالة، ودفع مؤسَّسات الدَّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجا.

. استثمار الإمكانيات البشرية والمادِّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئَة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانيات المتاحة والبحث عن إمكانيات أخرى أو إمكانيات بديلة في حالة نقص الإمكانيات أو شُحِّها، واستثمار ما يتوفَّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهميَّة المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النَّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوَّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات الدَّولة ومؤسَّساتها إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشُّكوك والمخاوف وكلِّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفِّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِمَا يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ ولهذا فكلّ ما لم يكن مستحيلا ممكّن، وكلّ مستحيل مثبت وهو الذي نعلمه ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم يوم الحساب ولكنّنا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنّه موجود ولكنّه لا ينفى كغيره من الموجودات في دائرة الممكن، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السبت فإنّ الأحد سيأتي غدا وفقا لعلمنا، ولكن عندما يقع المستحيل فقد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه. إنّ الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقتنا؛ ولذا فكل من الممكن والمستحيل يحدثان وفقا لتوقعاتنا، ولكن الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا

على فعله، أي: المستحيل نتوقعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمّا الممكن فتوقعه ويحدث داخلنا³³.

تحدّي الصّعاب تحدّي المخاطر:

التحدّي لا يكون إلا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمة مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوك يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناءً وإصلاحاً وإعماراً مع ارتقاء الأخلاق قمة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعاً، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذاً.

ولأنّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلا بالعمل؛ فلم لا يقدم المتأخّرون عنهم على العمل الممكن من طي الهوة بينهم والمتقدّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنيّةً وحسن إدارة؟

ولأنّ التحدّي لا يكون إلا عملاً؛ فينبغي لمن يرغب التحدّي ارتقاء أن يقدّم على العمل النّافع، وينبغي أن يجود منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكاناً في أسواق المستهلكين.

³³ عقيل حسين عقيل، الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي، القاهرة، ص

وهذا يعني: إن لم تقدم الشعوب وبكل طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلفة وتابعة لمن يمتلك القوة المنتجة وسيطر على السوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع الندم.

فالعمل تحدٍ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويجرّض من تربطهم به علاقة على العمل تحدٍ؛ لتكون المكانة للجميع، {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ} 34.

العمل تحدٍ يصعد بأصحابه من تحت الصفر إلى الصفر تحدٍ دون أن يتوقف عنده أملا، بل يتجاوزه بالعمل حتى يصعد إلى القمر، ثم يتجاوز القمر لكونه لم يكن النهاية، فيغزو الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم يبأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلا بلوغ الجنة، إنَّها رسالة الأنبياء عليهم الصلوة والسلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقق لإشباع الحاجات المتطورة والمتنوعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصناعاتها إلى صناعة الأجداد.

34 الأنعام 135.

ومع أنّ الإنسان حُلِقَ على الارتقاء خَلَقًا، فإنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأهبط به من علوِّ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حقّزه على العمل ودفعه إليه تحدّي. إنّ الإنسان لو لم يكن مؤهلاً للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قبله بالعمل تحدّي تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا فعليه بالعمل وتحدي الصّعب، ولا يخش شيئا سوى الحقّ الذي يمكنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

مبدأ

إحداث النُّقْلة

مبدأ إحداث النُّقْلة متمركز على قيمة النُّقْلة وأهمّيّتها لحياة الأفراد والجماعات والمجتمعات، بل والإنسانيّة بشكلٍ عام، أمّا بشكلٍ خاص فإنّه يتعلّق بإعطاء الأولويّة لمن هم في حاجة إليها رعاية وعناية سواء أكانوا قصر، أم من ذوي الحاجات الخاصّة، أم أسرة، أم نسوة وشباب، أم إنهم كبار السن والمعاقون.

والنُّقْلة ذات مفهومٍ يعبر عمّا حدث من تغيرٍ وتغييرات كان لها الأثر الرّفيع في تحسين الأحوال وتجويدها، ونقل أصحابها من المستويات والخانات الدنيا إلى مستويات عليا، وبالمقارنة بين ما كان وما أصبح الإنسان عليه

يلاحظ الفرق الشاسع؛ والثقل من المعنويات كالتطور والطفرة؛ لأنها الاسم نفسه.

والثقل غير النقلة؛ لأنّ الثقل تطلق على الأثر الرفيع الذي ظهر على من أصبح معرفيًا وثقافيًا على غير ما كان عليه سُفليّة ودونيّة.

أمّا النقلة: فهي ترتبط بالمحسوس المادّي، كنقلة بضاعة، أو نقلة ركاب، أو أيّ شيء يمكن أن يُشحن؛ وهي اسم مرّة من النّقل، يقول العسكري: النّقلة لا تكون إلّا عن مكان، وهي التحول منه إلى غيره³⁵

ولهذا يلاحظ استخدام كلمة النّقلة في غير مكانها، أي: إنّها تستخدم من الكثيرين فيما ينبغي أن تستخدم فيه كلمة النّقلة النوعيّة.

وأقول لمن يرغب بلوغ النّقلة: إنّ تحدي الصّعب يحقّق النّقلة النوعية، ويمكن من تجاوز المستويات القيمة الثلاثة: (الذاتية والانسحابية والأناية) إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسيّة وبالعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

³⁵ أبو هلال العسكري، الفروق اللغويّة، دار العلم والثقافة، القاهرة، تحقيق محمّد

إبراهيم سليم، ص 147.

ولأنّ تحدّي الصّعاب يمكن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصّعاب من أجل مأمول عظيم.

أمّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك، فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمية التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفّزهم على تحدّي الصّعاب وتحقيق لهم النُّقلة.

فدفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخلية أو خارجية، أم أمر سلم أو حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعية يمكنهم من بلوغ النُّقلة النوعيّة، وهكذا بالتمام تفتين المجتمعات والفئات الاجتماعية إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل يمكنهم من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنّ إحداث النُّقلة ليس مستحيلاً ولا معجزاً، بل إنّ في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع ممكن، فلم لا يتم الإقدام على كلّ ما من شأنه أن يحدث النُّقلة ويحقّق الرّفعة ارتقاءً؟

وعليه:

.كن إيجابياً؛ لتنال التقدير والاعتراف.

.كن متفهِّماً؛ لتحدث التُّقْلة.

.اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

.قدّر الآخرين تنال التقدير منهم.

.ثق أنّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبُّل.

.ثق أنّ الجحود مفسدة.

.ثق أنّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

.استوعب الغير يستوعبك.

.شارك الغير تحدي الصّعب تيسّر لك الأمور حتى ترى غايتك بين

يديك.

وعليه: فمن أجل تحدي الصّعب وإحداث التُّقْلة ينبغي لنا عدم

الإغفال عن:

. تفعيل منطق النّحن بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل

والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة

والاقتصاد والذين يشتركون في رسم الخطط والاستراتيجيات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنّهم

مفردات أساسية في الدّولة ولهم حقوق يجب أن تمارس وواجبات ينبغي لها

أن تؤدّي، ومسؤوليات ينبغي لها أن تحمل، حتى يصبح منطق الجميع نحن معًا.

. التركيز على القيم الاجتماعيّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفتين الأفراد بأهمية هذه القيم الاستيعابية، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُعدهم عنها، فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدّهم بالدفع والطمأنينة.

. حت أفراد المجتمع وجماعته وفئاته على استيعاب بعضهم بعضا، وتقبلهم كما هم يُمكن من تكوين علائق قيمية ذات أبعاد إنسانية.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبة والموائمة الاجتماعيّة والإنسانية بين العاملين والمتعلمين وأفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وأصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعددة؛ ذلك لأنّ الرّب واحد ولا شريك له.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الديمقراطيّة بما يحقّق المعاملة الحسنة

بين الذين تربطهم علائق قيمية أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقتة.

. غرس قيم الشفافية واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم
والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسؤولياتهم.

. تفتّين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمرية للأبناء
وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيّة أو في القرية الصغيرة، حتى
يتمّ الاستيعاب الموضوعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع
الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية
أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أ خارجية أم أمر سلم أم حرب
أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيّة.

. تفتّين المجتمعات والفئات الاجتماعيّة إلى أهمية الاستيعاب في تبادل
المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب
المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة
عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرّون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي
للأحكام المسبقة التي تقول: (إنّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهمية ممارسة الديمقراطية بشفافية، يزيل الشكوك التي
تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى
أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصنّع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهمية الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكنوا من تحقيق مجتمع القوّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهمية كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة إلى الآخر وحاجته إليه.

. التخطيط لكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسؤوليات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيات؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلمية والسياسيّة والاقتصاديّة؛ للتعرف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلاقات الاجتماعيّة والاستفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيات التي تحقق الثّقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّولية؛ تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

. ترسيخ لغة ومفهوم (نحن) حتى لا تسري الشخصية والانانيّة في سلوك بني الوطن وأفعالهم؛ لأنّ كلمتا أنا وأنت تسمح بمسافة امتداد فراغي؛ لتجذب مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسك الأنا بأناته اندفع الأنت

لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظنون وتقلل من الثقة التي ينبغي لها أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة: (إنا الفرد ينبغي لي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرية ينبغي لي أن أعم الناس، وأنا الشفافية ينبغي لي أن أكون في السلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي لأحد أن يُجرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرمت به الآدمية. وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا الناس كلّ الناس الذين لهم حقوق تمارس وواجبات تؤدي ومسؤوليات تُحمّل، وأنا كلمة حق لا بدّ أن أقال. وأنت الباطل لا بد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن معًا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابية، التي تُمكن الأفراد من الالتقاء على الحُجّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتم الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافية تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجَّة حتى يصبح قاسما مشتركا.

ولأنَّ التمسك بالمنطق تمسك بالقواسم المشتركة، إذن: (التمسك

بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا ينبغي لنا العمل على تفتين أفراد المجتمع إلى أهميَّة التمسك

بالقواسم المشتركة حتى يتوحد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل

التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر .

. التقدير معياري النجاح .

. التواصل استمرارية علائقيّة .

. الشفافية وضوح في القول والفعل .

. تفهم الظروف اعتبار ذاتي .

. التعامل بالقيم الحميدة تنمية أخلاق .

وعليه: فإنّ تفعيل العلائق الاجتماعيّة والإنسانية يؤدّي إلى تحديّ

الصّعاب، أمّا إهمالها فيؤدي إلى التراجع والانسحاب والضعف الذي لا

يؤدّي إلا إلى الخسارة والانهزام³⁶.

مبدأ

استبصار الذات

الاستبصار قيمة التفاتية تستوجب الاهتمام بالإنسان ليلتفت إلى

نفسه؛ كونه أصبح قوّة غير مستثمرة في أوجهها، أو أنّها القوّة المهملة

والملتفت عنها؛ لتعود إلى ما يجب أن تكون عليه شخصيّة فاعلة ومشاركة

³⁶ عقيل حسين عقيل، تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 6 -

في حركة المجتمع من خلال ما تؤدّيه من وظائف، وما تلعبه من أدوار وفقاً للمقدرة والاستعداد والاستطاعة.

ولذا فإنّ مفهوم مبدأ استبصار الذات هو: (الإيمان بأنّ لأفراد المجتمع قدرات واستعدادات متنوّعة ومتعدّدة يستوجب تنميتها قيمياً، وتهيئتها لما يُمكنهم من إدراك الحالات التي هم عليها؛ ليتمكّنوا من النهوض إلى مستويات تجعلهم قادرين على مساعدة أنفسهم، وهم في حاجة للتعبير المقصود عن مشاعرهم الكامنة، وأحاسيسهم التي تُمكنهم من التفاعل، والاعتبار القيمي للذات، فلكلّ فرد وجماعة خصوصيّة يتميّزون بها عن غيرهم، ولكلّ منهم طريقة، وأسلوب، ومنهج في التعبير عن الخصوصيّة الذاتيّة التي تحوي المعتقد الدّيني، والعرفي، والثقافي، والحضاري في تكوين الهوية).

يحتوي مبدأ (استبصار الذات) القواعد القيمية الآتية:

. تنوّع القدرات الفرديّة وتعدّدها.

. تنوّع الاستعدادات الفرديّة وتعدّدها.

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. التفطين من الغفلة.

. التمكن من الإدراك.

- . التمكن من النهوض.
- . القدرة على المساعدة.
- . العودة إلى البيئة الاجتماعية.
- . الاندماج الاجتماعي.
- . التفاعل الاجتماعي.
- . التعبير عن الحاجة.
- . إظهار المشاعر الكامنة.
- . إظهار الأحاسيس.
- . التمكن من التفاعل.
- . اعتبار الذات.
- . تمييز الخصوصية.
- . كشف الأسلوب.
- . استنباط المنهج.
- . الدّين معتقد إلهي.
- . العرف مكوّن اجتماعي.
- . للخصوصيّة الاجتماعية ثقافة.

. الفكر الاجتماعي .

. الحضارة بناء .

. الذات مقوم للهوية .

وعليه:

إنَّ استبصار الفرد لذاته أو الجماعة أو المجتمع لذواتهم يمكنهم من معرفة علائقهم بالقيم الاجتماعية.

ولهذا القاعدة هي:

1 . استبصار الذات .

2 . إيقاظ القوى الكامنة .

والاستثناء:

1 . عدم استبصار الذات .

2 . عدم إيقاظ القوى الكامنة .

وعليه: فإذا لم تستطع أن تكون شلالاً من على قمة جبل، كن ينبوعاً في الوادي، كن شجرة زيتون على سفح الجبل، فإن لم تستطع أن تكون شجرة زيتون كن زهرة في قلب الوادي، وإن لم تستطع أن تكون زهرة في قلبه كن أفضل نبتة فيه ولا تيأس فإنَّ النبتة تزهر وتثمر .

2 . أكد ذاتك واعلم:

. أنَّ لديك قوَّة كامنة تستطيع أن تتحدَّى بها الصِّعاب.

. أنَّك قادر على إنجاز الأهداف.

. أنَّك كما قمت بالأعمال الصَّعبة في الماضي قادر على القيام بما هو

أصعب في الزَّمن الآن، واقبل بالتحديِّ الأكبر في الزَّمن المستقبل.

. أنَّ التفكير فيما تملك بموضوعيَّة قد يُسهم في تنميته فلا تغفل.

. أنَّ التعبير عمَّا يجول في نفسك قد يُمكنك من تصحيح ما يعلق بها

من أخطاءٍ.

. أنَّ مواصلة الحديث يُمكن من توليد الفكرة وتطويرها أو تصويبها.

. أنَّ الاستغراب يجعلك في المواقف المفاجئة فلا تستغرب إذ كل شيء

ممكن.

. أنَّ شرود الذهن يُضيِّع أفكارًا ثمينة فلا تشرد؟

. أنَّ القفز على الحقيقة معيبة فمن يقفز عليها لن يصيب هدفه.

. أنَّ التذكُّر بعناية يُمكن من استرجاع الماضي وتفحصه.

. أنَّ سقوط الجواهر على الأرض لا يحط من قيمتها.

. أنَّ التائهين في حاجة لإيقاظ وإلا سيظلون ضالين.

. أنَّ صناعة المستقبل تحدث النُّقلة.

وبما أنّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة.
إذن التعبير يُسهّم في إظهار الكامن بالقول أو الفعل أو الاثنين معًا.
ولأنّه لا ظاهر إلّا ومن ورائه كامن، ولا كامن إلّا ومن ورائه ظاهر؛
إذن: التعبير عن الذات يربط العلاقة بين الظاهر والكامن.

وعليه: فلكلّ ذات مضمون قيمي يتمركز على المعتقد الديني والعرف
الاجتماعي ومنظور الثقافة التي بها تتميز كلّ حالة عن غيرها من الحالات
الفردية والجماعية، ولأنّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس
الكامنة وعن الموروث الاجتماعي العام؛ إذن التعبير عن الذات لم يعد
مقتصرًا على إظهار الكامن الفردي، بل يتعدّاه إلى المكوّن القيمي
الاجتماعي (الدين العرف الثقافة التقاليد والعادات).

ولذا فالكامن من المشاعر والأحاسيس في أساسه مكوّن اجتماعي
ما يجعل الفرد الذي تكوّنت شخصيته على المستوى الذاتي، يرفض أو يقبل
قيميًا ما يرفضه المجتمع أو يرتضيه؛ ولذا عندما يضع رغباته وآراءه على
كفّته في مواجهة كفّة الذات (المكون الاجتماعي) يجد كفّة المجتمع
(الذات) أثقل قيميًا من كفّته الخاصّة؛ فيميل في مستواه القيمي الذاتي إلى
حيث رُجّحت كفّة المجتمع.

ولأنّ لكل فرد من أفراد المجتمع مشاعره الخاصّة وأحاسيسه الخاصّة؛
إذن: بالضرورة التعبير عنها يتنوّع ويتعدّد بتعدّد أفراد المجتمع.

ولذا لا يوجد أسلوب واحد للتعبير عن الذات الاجتماعية فلكل مفردة من مفردات المجتمع البشرية خصوصية تتميز بها عن بقية المفردات الأخرى، برغم أنّ الإطار المرجعي لأفراد وجماعات المجتمع واحد؛ ولهذا نجد ما يكوّن الذات الاجتماعية واحد سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي أم المجتمعي.

وعليه: مع أنّ الذات مفردة في اللغة فإنّها ذات تكوين جمعي (اجتماعي) في الدلالة والمفهوم والمصطلح؛ إذ لا يمكن أن تتكوّن الذات لو لم يكن للمجتمع لغة وعادات وأعراف وأديان وثقافات، فالذات نتاج مجموع الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

ولكن متى تنوع أساليب التعبير عن الذات؟

. عندما تختلف المواضيع.

. عندما تختلف المصلحة.

. باختلاف المعارف والثقافات.

. باختلاف القدرات والمهارات والاستعدادات والخبرات المتعدّدة.

. عندما يختلف الجنس والعمر.

. عندما تختلف المهنة والحرفة والوظيفة.

. عندما يختلف الأدوار والاختصاصات والصّلاحيات.

باختلاف الزّمان والمكان والمعتقد.

باختلاف القيم وتعدّدها.

ولهذا قد يتساءل البعض: عن الكيفيّة التي بها تتنوّع أساليب التعبير

عن الذات (كيف تتنوّع)؟

أقول:

. بالمراوغة والمهارة والمران.

. بالنكوص أو الانسحاب أو التطلّع.

. بدرجة الصّدق أو الكذب والمستوى القيمي الذي عليه الحالة.

. بدرجة الاستنتاج أو الاستنباط والإدراك.

. بقوة العزيمة أو ضعفها.

. بالشّجاعة أو الجبن أو الخوف.

. بالقوّة أو الضّعف.

. بدرجة الثّقة ومستواها.

. بالحجّة والبرهان والحوار.

. بالمصلحة والمنفعة أو الطمع.

. بأساليب القبول والرّفص.

بالفرح والغضب.

. بالمتوقَّع وغير المتوقَّع.

ومع أنَّ الدَّات تعمل على ضبط الأنا وفقًا لقيم المجتمع الذي تنتمي إليه الدَّات فإنَّها (وفي كثير من الأحيان) قد تفلت الأنا من الدَّات، وأيضًا قد تفلت الدَّات من مراقبة الضمير بالرَّغم مما يقوم به من محاولات ضبطية.

ولأنَّ الدَّات مكوَّن قيمي اجتماعي فهي نتاج قيمي من الأديان والأعراف والعادات والتقاليد السَّائدة في المجتمع؛ فالذي يجعل الفرد أو الجماعة تسأل أو تُجيب أو تعترض بلسان (التَّحَن) أو ترفع صوتها به، هو: المكوَّن القيمي الاجتماعي؛ ولهذا يتألَّم الفرد بالآلام الآخرين وبخاصة الذين تربطهم به علاقة قربي، أو علاقة معتقد ديني ما يجعله يغضب من أجل ذي القربي ويغضب من أجل الدين إذا ما حاول البعض انتهاكه والإساءة إليه كما حدث لكل مسلم عندما نشرت صحيفة دانماركية صور لا تليق بالرَّسول محمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلَام، ولا تليق بنا نحن المسلمين؛ ولذا عندما يتشرَّب الأفراد أو الجماعة دين الأُمَّة يصبح صوتهم هو صوت الأُمَّة بحالها مع أنَّهم أفراد منها؛ ولهذا يقبلون بالتضحية في سبيل الوطن ورفعة الكرامة.

ولذا تتعدَّد مجالات الامتداد الضميري اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا ونفسيًا وذوقيًا وثقافيًا بما يُكوَّن الأنا التي تعتزُّ بشخصها وتاريخها وتتغنَّى

بأمجادها، وبما كوّن ذاتها التي أظهرت وأبرزت شخصية الاعتزاز في النفس حتى نالت احترام وتقدير الآخرين.

إذن: تتجسد الذات في الأفراد فتجعل حال لسانهم جمعياً حتى وإن انفردوا أو تفرّدوا، ولهذا كان إبراهيم عليه السّلام أمّة قانتا لله؛ إذ كان حال لسان إبراهيم حال لسان أمته، مما يدلُّ على تجسّد الأمّة وفضائلها الخيرة وقيمها الحميدة في نفسه حتى أصبح حال لسانه لسانها وفعله فعلها وأمانيه أمانيتها، وهكذا إذا تجسدت في أي فرد ذات الأمّة أو المجتمع يصبح حاله حالها وأمله أملها ومستقبله مستقبلها وعزّته عزّتها وألمه ألمها وكرامته كرامتها. وعليه: فإنّ التعبير عن الذات يمكن من التنفيس الوجداني؛ ولهذا فالقاعدة هي:

التعبير الوجداني.

والاستثناء هو:

الكبت الوجداني.

وعليه:

. عبّر عن نفسك.

. نفّس عن وجدانك.

. فرّغ همومك.

. عبّر بحريّة تامّة عن مشاعرك.

. افرح مع الفرحين.

. اغضب من أجل كرامتك.

. تكلم وقت الكلام وإلا ستندم.

. اصمت وقت الصمت وإلا ستندم.

. تجاوز الندم بعدم تكرار مسبباته.

. تطلّع لكلّ مفيد ونافع، واشترك في السباق والمنافسة حتى ترضى

نفسك عنك.

ولأنّ استبصار الذات يُمكن من معرفة المقدره، إذن: من لا يستبصر

ذاته لا يتمكّن من معرفة مقدرته، وبالتالي لن يستطيع أن يتخذ قرارًا ناضجًا

وسليمًا.

ولأنّ الاستبصار يرتبط بالبصيرة، والبصيرة ملكة عقلية تُمكن الإنسان

من التمييز بين ما يجب الإقدام عليه، وما يجب الإحجام عنه، إذن:

. أيقظ قواك تكسب مقدره.

. فكر، فالتفكير قوّة.

. استنتج لتمكّن من التمييز عن وعي.

. أنصت إلى الكلمة حتى توقظ فيك الفكرة.

. شاهد لتقارن وتُمَيِّز .

لذا؛ فعلى الأخصائي الاجتماعي ألا يغفل عن أهمية استبصار ذوات العملاء حتى يتمكن من اكتشاف القوّة فيهم ويتمكّن من تسخيرها وتوجيهها لما يجب؛ ولهذا يعد استبصار الذات إدراكًا لمقومات النهوض؛ فأيقظ قواك تستبصر ذاتك.

مبدأ

تبادل التقبُّل

مبدأ تبادل التقبُّل هو مبدأ أخلاقي، به يُقدّر الباحث أو الأخصائي الاجتماعي المبحوث أو العميل الذي بدوره إن أحسَّ بأهميّة أيّ منهما بادلته تقبُّلاً، مما يجعل تبادل التقبُّل بينهما هو المفتاح الرئيس والميسر للدخول إلى دراسة الحالة بنجاح.

والتقبُّل استعداد نفسي وأخلاقي وإنساني ومهني لإعطاء الآخر حيّزاً من الاستيعاب، وفسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين المتقابلين؛ تقديرًا لقيمة الإنسان، وليس تقديرًا للانحرافات عن القيم والقوانين المصاغة والمعتمدة من أفراد المجتمع وجماعاته، وعندما يصبح التقبُّل حقّ للأنا والآخر يظل مبدأ لاستبصار الحقيقة وتبادلها تقبُّلاً. ويتمركز مبدأ استبصار التقبُّل على الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واحترام معارفه وثقافته والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب ثم التطلُّع به إلى إحداث النُّقلة.

فاستبصار التقبّل حالة تبادليّة بين ذوي العلاقة بالموضوع فكما هو حقّ على الأنا حقّ للآخر، ومن هنا فمبدأ تبادل التقبّل يتكون من قيمتين أساسيتين هما:

1 . قيمة المبادلة.

2 . قيمة التقبّل.

ولا يمكن أن يكون التقبّل مبدأ، ولا يمكن أن يكون تكون المبادلة مبدأ، ولكن بمكونهما القيمي المشترك يتكون مبدأ (تبادل التقبّل). فالمبدأ يتجسد في السلوك والفعل، والقيمة ستظل ذات معانٍ ودلائل وأبعاد فيما تحمله من مضامين ذات علاقة بالمصادر التي تستمدّ منها كالدين والعرف، وعندما تتجرّد السلوكيّات والأفعال من القيم تصبح الأقوال والأفعال والسلوكيّات بدون معانٍ وكأثما (أجساد بدون أرواح)، وعندما تحمل القيم معانيها القابلة للممارسة والتطبيق تصبح مبادئ قابلة لأن تترجم في سلوك وفعل يحقّق الثّقلة.

ولهذا لا تفاهم ولا تفهّم بدون تقبّل؛ لأنّه القيمة التي يجب الالتزام بها إرادة؛ ولذلك فالتفاهم يعتمد على الاتفاق الذي يصل إليه كل من الأنا والآخر.

أمّا التفهّم: فهو الذي فيه يتحقّق التقدير (تقدير الظروف الموضوعيّة والمكانيّة والزمنيّة المتعلقة بأمر الآخر والحالة التي هو عليها).

ولهذا؛ فتبادل التقبّل ضرورة لكلّ من الأنا والآخر، أي: إذا لم يشعر كلّ منهما أنّ شعورًا اتجاهه يفسح له مجالًا واسعًا للتفاهم والتفهّم من أجل مستقبل مشترك لا يمكن أن تسود بينهما علاقة مرضية؛ ولذلك فإنّ التقبّل يؤدّي إلى: التفاعل، والمشاركة، والتفاهم، والتفهّم، والتجاوب.

تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت:

بما أنّ الفرض المثبت ينصُّ على التقبّل المتبادل (تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت).

إذن: لا يمكن أن تعادل كفتي الميزان بين الأنا والآخر إلا بشرط القبول بتمائل.

لذا؛ على الأنا إذا أراد أن يتمّ تقبّله من قبل الآخر أن يعرف أنّ تقبّله لن يتمّ من قبله إلا إذا تمكّن هو من تقبّله كما هو.

إذن قاعدة مبادلة التقبّل هي: (تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت).

وبما أنّه إذا لم تتقبّلني كما أنا لن أتقبّلك كما أنت. فلماذا لا نعترف بقاعدة: (نحن معا).

ولهذا يجب أن يتقبّل الأنا الآخر تفهّمًا حتى يستبصره واعيا بما له وما عليه؛ ومن ثمّ يبادلّه تقبُّلاً؛ ولأجل ذلك ينبغي أن يبدأ الأنا مع الآخر من حيث هو؛ لأجل أن يسهم في نقله إلى ما يجب أن يكون عليه، وهو المستهدف من وراء تقبّله كما هو.

وعليه:

تبادل التقبّل شعور تجاه الآخرين يُمكنّ النفس من الانفتاح تجاههم سواء بمبررات المحبّة، أم بمبررات المهنة التي تستوجب تقبّل العملاء هم كما هم دون أيّ اشتراطات علائقية.

فالتقبّل لكونه منبع أمل فهو قيمة لا تكون متحققة إلا عن تراضٍ، ولا تكون إلا بين المختلفين، واستبصار التقبّل لا يكون إلا بالتجاوز عما يُقلق، وقبول النَّاس هم كما هم عليه وليس كما يجب أن يكونوا، فما يجب أن يكونوا عليه هو المأمول.

ولأنّ الحياة متكوّنة من المختلف والمتنوّع؛ فمن أجل الحياة الطبيعية للإنسان، وجب تقبّل المختلف المتنوّع، ومن يخالف ذلك يجد نفسه خارج دائرة التقبّل التي تتّسع للمختلفين والمتخالفين دون استثناء ولا تحييز.

فدائرة التقبّل استيعابيّة استدعائيّة، فهي استيعابية؛ لكونها لا تقصي ولا تستثني أحدا، أمّا كونها استدعائية؛ فهي الدائرة التي تحفّز المختلفين على المشاركة، والتفاعل؛ فتستدعيهم نفسياً وذوقياً، كما أنّها تستدعيهم خبرة وتجربة ومعرفة، وبكلّ المغريات الأخلاقية، وتفسح بينهم المجالات الواسعة من أجل أن يمتدّ البعض تجاه البعض امتدادا متبادلا، دون أن يكون امتداد أحد الأطراف على حساب آخر.

التقبّل قيمة إنسانيّة اعترافيّة: وفقًا لحقوق تمارس، وواجبات تؤدّي، ومسئوليات تُحمل؛ ولأنّه كذلك؛ فهو المؤسّس على قاعدة (نحن معًا) التي تشترط أن يكون التقبّل بين المختلفين والمتخالفين قائما على تقبّل كلّ للآخر وفقا لقاعدة (هو كما هو)، وليس على قاعدة (كما ينبغي له أن يكون عليه)؛ فما ينبغي أن يكون عليه، هو هدف قابل للتحقق دون إكراه، وبذلك يتمركز مبدأ حقّ التقبّل على الاعتراف بالآخر، وتقديره، واحترامه، واحترام معارفه، وثقافته، والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب أن يكون عليه، ثمّ التطلّع به إلى إحداث النقلة التي تمكّنه من معايشة المستقبل الذي يأمله.

فمبدأ استبصار التقبّل مؤسّس على قيمة الاختلاف؛ فلو لم يكن الاختلاف سابقا على التقبّل ما كان للتقبّل أهمية وضرورة، ولأنّه المترتب على الاختلاف، والاختلاف حقّ، إذن، التقبّل هو الآخر حقّ بين من تربطهم علاقات أخلاقية، واجتماعية، وإنسانية. ولهذا عندما تتوافر لديك رغبة تقبّل الآخر فعليك بمنحه الفرصة التي تمكّنه من استبصار مشاعرك تجاهه، أي: إنّ الاستبصار قيمة تفحصيّة استببانية استطلاعية بغاية التبيّن قبل اتخاذ القرار إقداما أو إحجاما؛ ولذلك فهو حقّ ينبغي له أن يمارس.

ولأنّه حقّ؛ فالحقّ يؤخذ، ويطلب به، ويعطى، ويمارس؛ ولهذا تقبّل الإنسان للإنسان حقّ؛ ولأنّه كذلك فهو حقّ تبادلي بين المختلفين، أي: كما هو حقّ على الآخر، فهو حقّ له أيضا.

إنَّ حقَّ التقبُّل فعل إرادي تكفله القيم الإنسانية، والديانات السماوية، والأخلاق الاجتماعية. ومن ثمَّ توجد علاقة تلاحق مستمرة بين الاختلاف والتقبُّل ولن تنفصل مصداقا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} ³⁷، أي إنَّ الله خلق النَّاس على الاختلاف؛ لهدف واضح وهو التعارف وتقبُّل البعض للبعض، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} ³⁸.

والتقبُّل غير القبول، فالتقبُّل قد يكون عن رغبة وقد يكون للضرورة والحاجة، أمَّا القبول فلا يكون إلَّا عن إرادة ورغبة، ولذا؛ فالتقبُّل قيمة معيارية يؤسِّس على استعداد النَّفس لإعطاء الآخر قيمة وحيِّزا من الاستيعاب، وفُسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين المختلفين على الموضوع المشترك؛ تقديرا لقيمة الإنسان وحقوق المواطنة.

ولأنَّ الإنسان مكوّن تركيبي معقّد؛ فله من الأنفس ما يجعل البعض على الطّمأنينة، ويجعل البعض على غيرها اضطرابا، وخوفا، وقلقا، وشحّا، ولأنّه كذلك؛ فيجب تقبُّل المختلفين (همّ كما همّ)؛ لأجل نقلهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه من الفضائل، والقيم، والأخلاق، والعمل النافع.

³⁷ هود 118، 119.

³⁸ الحجرات 13.

ولهذا؛ فالتقبُّل قيمة أخلاقية وإنسانية تتمركز على الاعتراف بالآخر، وتقديره، واعتباره، وتفهم ظروفه وحاجاته، واحترام معارفه، وثقافته، وحضارته، ومعتقده، والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب، والتطلع به إلى إحداث التُّقْلة التي بها يُصنع المستقبل المأمول.

ولهذا؛ فإنَّ استبصار التقبُّل مبدأ معياريّ تبادلي بين ذوي العلاقات؛ فكما أنَّ التقبُّل حقٌّ على الأنا؛ فكذلك هو حقٌّ على الآخر، وحقٌّ لهما معا، وإنَّ تقبُّل الأنا الآخر (هو كما هو) وجب على الآخر أن يتقبَّل الأنا (هو كما هو) أيضا؛ ليعملا معا من أجل مصالح، وأهداف مشتركة، سواء أكانت المصالح المشتركة بين أفراد الشَّعب، أم بينهم وبين الآخرين من الأمم والشَّعوب الأخرى.

فمبدأ تبادل التقبُّل أو استبصاره فعل إرادي تكفله الفضائل الخيرة والقيم الحميدة لكلِّ إنسان حتَّى يتمكَّن من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمل مسؤولياته برغبة قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ³⁹.

بناء على هذه الآية الكريمة؛ فإنَّ قيمة التقبُّل تُعدُّ التزامًا تامًّا بتقبُّل من يؤمن بآيات الرِّحْمَن؛ فمن يقول للنَّاس سلام عليكم ليس لهم بدُّ إلَّا أن يردُّوا السَّلام بوَدٍّ وبأحسن منه، وهذا دليل على ترسيخ قيمة التقبُّل في

³⁹ الأنعام 54.

نفوسهم، وأخلاقهم المستمّدة من الفضائل الخالدة، المستمّدة من كتاب الله تعالى. ثمّ، أكّدت الآية الكريمة أهميّة قيمة التقبّل للآخر الذي تاب وأصلح من بعد ارتكابه أفعال سوء بجهالة، وأكّدت على أنّه سينال المغفرة. ولأنّ تبادل التقبّل مبدأ أخلاقي، لإظهار حُسن النية بهدف إصلاح، ولأجل غاية إنسانية هي التعارف الممكن من المشاركة وحمل المسؤولية الجمعية؛ فلا ينبغي لتبادل التقبّل أن يكون حاملاً في أحشائه شيء من الرّفص، أو غض النظر، أو الإقصاء، والتغييب، والتحقير، والاستعلاء، ولهذا؛ فمن يرى نفسه مصلحاً، أو أنّه يريد إصلاحاً؛ فلا ينبغي له أن يغفل عن أيّ طرف من أطراف العمليّة الإصلاحية، من أجل تغيير أحوالهم من سلبية، إلى إيجابية⁴⁰.

مبدأ

الاتزان الوجداني

الوجدان إحساس داخلي فإن لم يكن صاحبه متوازٍ النفس؛ فلن يكون سويّاً، مما يجعله بين الاضطراب والقلق وعدم الانضباط السلوكي، ولهذا فإنّ مبدأ الاتزان النفسي يستوجب جهداً رفيعاً من قبل الأخصائي

⁴⁰ عقيل حسين عقيل، مبادئ فك التآزمات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص

النفس والاجتماعي في حالة ما إذا تولوا دراسة حالة من الحالات الفاقدة لهذا التوازن الوجداني.

ومن هنا فإنَّ مبدأ التوازن الوجداني لا يكون إلاَّ بغاية إعادة التوازن لمن فقد توازنه بأيِّ علَّة من العلل؛ ولذا: (الاتزان الوجداني إدراك عن حكمة وموضوعيَّة لكلِّ ما يؤثِّر سلبياً أو إيجابياً على ما يحقّق التفاعل المتزن بين أفراد المجتمع وجماعاته وهو يصقل الشخصية، ويتوج سلوكها بالثبات على كل مفيد ونافع، مع إظهار الحُسن الإرادي في القول والفعل؛ تهدياً للذات والضمير، وتقديراً لمن هم في مركز البيئة الاجتماعية ومن في محيطها الإنساني).

يحتوي مبدأ (الاتزان الوجداني) القواعد القيمية الآتية:

- . الإدراك عن حكمة.
- . الإدراك بموضوعيَّة.
- . تقصي الأثر السَّالب.
- . تقصي الأثر الموجب.
- . التمييز بين ما يجب وما لا يجب.
- . التفاعل المتّزن.
- . إعداد الشخصية قيمياً.

. ثبات السُّلوك على المفيد.

. ثبات السُّلوك على المنافع.

. إظهار الحُسن في القول.

. إظهار الحُسن في الفعل.

. تهذيب الذات.

. تهذيب الضمير.

. التقدير المتبادل.

. تقصّي الأثر السَّالب والموجب.

. تحقيق التفاعل.

. تقدير الفعل.

. تقدير السُّلوك.

وعليه:

- حَكِّم عقلك وتحكِّم في عواطفك.

. كُن لين القلب.

- لا تكن سريع الغضب.

- لا تكن عصبيًّا ومفرطًا في الحساسية.

- لا تكن جاف العاطفة.

- لا تكن متطرف الرأي.

- لا تثر لأتفه الأسباب.

- لا تكن أنانيًا فالأنانية عيب.

- كن واثقًا من نفسك.

- عامل الناس باحترام.

- بادلهم المحبة والود.

- كُن متزنًا فيما تقول وما تسلك وتفعل.

ولأجل ذلك:

. جمّع قواك لتعبر النهر، فالعبور يحقق لك النقلة للمستقبل.

. شئت قواك تغرق في النهر، والغرق يفصلك عن بلوغ المستقبل.

. اعمل على صناعة المستقبل يتحقق لك العبور.

. فكر فيما أنت تفكر فيه وأنت فيه تفكر.

وبما أنّ جميع القوّة يُمكن من عبور النهر، فإنّ الذين غرقوا في البحار

هم الذين لم يتمكنوا من تجميع قواهم؛ ولذا فمن يستطع أن يجمع قواه

يتحدّى الصّعب ويعبر النهر، ومن لا يستطيع يركن إلى الضّعف ويغرق.

ولكن من الذي يستطيع أن يجمع قواه إذا ما واجهه غير المتوقَّع؟
هو الذي يتمالك نفسه باتزان حتى يتمكن من اختراق دائرة الممكن
في الزمن غير المتوقَّع.

ولهذا لا يمكن أن يحدث الغرق إلا في حالة الضعف.

ولسائل أن يسأل:

كيف أصنع المستقبل لأعبر النهر؟

إذا أردت أن تعبر النهر عليك بالآتي:

1 . فكِّر بقوة.

2 . خطط عن وعي.

3 . جمع إمكاناتك الممكنة.

4 . شارك الآخرين بقوة.

5 . حدّد الخطر الذي يعترض طريقك.

6 . أقدم على إزالته من أمامك.

7 . اقتل الخوف بلا تردّد.

8 . تحدّ الصّعب.

9 . لا تنم أكثر مما لا يحتاجه البدن.

- 10 . قدّر الوقت واجعل له قيمة.
 - 11 . استثمر إمكاناتك.
 - 12 . نمّ طاقاتك.
 - 13 . هيئ استعداداتك.
 - 14 . نوّع مهاراتك.
 - 15 . عدّد خبراتك.
 - 16 . اخش ضميرك قبل أن تخشى الآخرين.
 - 17 . اصنع بيديك من الخشب قاربًا.
 - 18 . أقدم على النّهر تدفعك مياهه إلى المستقبل الذي صنّعه.
 - 19 . تقدّم بقوّة والهدف نصب عينيك، ولا تنس أنّ من ورائه غاية من ورائها مأمول لا بدّ لك من نيله.
- وعليه:

العميل الذي قام بجمع الخشب صنع قاربًا وعبر النّهر.
أمّا العميل الذي لم يَقم بجمع الخشب، فلن يصنع قاربًا ولن يعبر النّهر؛ ولذا من لا يعبر النّهر ليس له إلاّ الغرق، ومن يعبره يطوي المسافة بين ماضيه والمستقبل الذي كان مجرد أمل بالنسبة إليه.

مبدأ

اعتبار الخصوصية

مع أنّ مبدأ اعتبار الخصوصية مركّب من قيمتين لمفهومي (الاعتبار والخصوصية)، ومع أنّ لكلٍ منهما قيمة، فإنّ التقاء القيمتين ولّد قيمة ثالثة تستوجب التقدير من الآخر، ولهذا لا قيمة لاعتبار الخصوصية إلّا من قبل الغير المتفهم لذلك والمقدر له.

وعليه: فإنّ للاعتبار قيمة، وأنّ للخصوصية قيمة، وأن لمبدأ الاعتبار قيمة لمن يُقدّر به غيره؛ ولهذا تزداد قيمة الأخصائي الاجتماعي متى ما قدّر خصوصية عملائه؛ ومن هنا فإنّ: (اعتبار الخصوصية يعد اعتباراً للشخصية التي تتميز عن غيرها كما غيرها يتميّز عنها بخصوصيته قدرة، واستطاعة، ودينًا، وثقافةً، ومهارةً، وتعليمًا، وغاية، مع تقدير ما يميّز كل خصوصية عن غيرها، وبما يؤكد على أهميّة استيعاب البعض للبعض).

يحتوي مبدأ (اعتبار الخصوصية) القواعد القيمية الآتية:

. اعتبار القيم.

. اعتبار القدرات الخاصة.

. اعتبار الاستعدادات الخاصة.

. اعتبار الإمكانيات الخاصة.

. تقدير مميزات الخصوصية.

- . تقدير العرق.
- . تقدير الدين.
- . تقدير العرف.
- . تقدير الثقافة.
- . تقدير الحضارة.
- . مراعاة الظروف.
- . تقدير الغايات.
- . تحقيق الطمأنينة.
- . تحقيق الرّضاء النفسي.
- . تحقيق الرّضاء الاجتماعي.

ولأنّ الحالات قيد البحث والدراسة من قبل الأخصائي الاجتماعي وإن اتحدت أو اشتركت في النوع تختلف باختلاف قدرات واستعدادات أصحابها، فهي ذات خصوصيات لا يجوز تعميمها، بل كلّ حالة كيان بذاتها، لها ما لها من العلل والأسباب والظروف التي تستوجب تفهّم الأخصائي لها إن أراد تحقيق نتيجة موضوعيّة مرضيّة، وفوق كلّ هذا إن لم تغرس الثقة في نفوس العملاء فلا إمكانية لمعرفة الحقائق وكشف خفاياها.

ولهذا لا يُمكن أن يتم استيعاب العملاء ودراسة حالاتهم بموضوعية ما لم يتم التعرّف على خصوصية كلّ منهم وتقدير كلّ خصوصية: ولذا يكمن الاستيعاب في اعتبار الخصوصية وغرس الثقة في أصحابها مهنيًا، أي: يجب وضع الخصوصية في الحسبان، وعدم إسقاطها من أيّ حساب.

وعليه:

. قدّر خصوصية الآخر تُقدّر.

. اعترف به يعترف بك.

. اعتبره يعتبرك.

. تفهّم ظروفه الخاصة يتم تفهّمك وتفهم الدور الذي تود أن تلعبه.

وعليه: فإنّ عدم الاعتراف بالخصوصيات أو الاعتداء عليها يعدّ تقليل شأن فيواجهه بمقاومة عنيفة؛ فعلى سبيل المثال: العرف يمنح أصحابه خصوصية قيمية اجتماعية، والدين يمنح أصحابه خصوصية عقائدية، وهكذا اللغة والثقافة والتقاليد جميعها تمنح لأصحابها خصوصيات مختلفة ينبغي أن تقدّر، وإلا لن تجد الثقة مكاناً لتغرس فيه وتنمو نبتة مثمرة؛ ما يجعل الاعتداء عليها اعتداء على الذات أو الضمير الجمعي أو الاجتماعي؛ ولهذا:

. قدّرني أفدّرك.

. اعترف بي اعترف بك.

. اغرس الثقة في نفسي اغرسها في نفسك.

. استوعبني استوعبك.

وفي المقابل:

. لا للتمهيش.

. لا للإقصاء.

. لا للتغيب.

. لا لتقليل الشأن.

ولهذا يُعد اعتبار الخصوصية مبدأ مهنيًا تحقيقه يُحقّق الطمأنينة النفسية المأمولة من كلّ إنسان سوي، فاعتبارها يطمئن الأنا والذات ويحفّزهم على الاستيعاب والتفاعل والتفهم أو الوحدة والاندماج.

مبدأ

تفهم الظروف

التفهم قيمة إنسانية به تُقدّر أهمية الإنسان ومَن يكون بغض النظر عن نوعه ودينه وثقافته وعرقه، والتفهم لا يكون إلا قيمة لمراعاة الظروف الخاصة، مع وافر التقدير للشخصية.

ولهذا فمبدأ تفهّم الظروف هو: (إدراك الحقائق وتفهمها بوعي، وعدم غرض النظر عمّا يتعلّق بالفرد، أو الجماعة، أو المجتمع له الأثر الإيجابي فيما ينبغي أن يستبصره الأخصائي الاجتماعي تجاه الأهداف العامّة للمجتمع، مع تقدير تلك الظروف بموضوعيّة).

يحتوي مبدأ (اعتماد التفهّم) القواعد القيمية الآتية:

. إدراك الحقائق.

. تفهّم الحقائق.

. الوعي بالحقائق.

. تفهّم الظروف.

. تقدير الظروف.

. استبصار الحقائق.

. كشف الأثر.

. إنجاز الأهداف.

. الاستقراء الموضوعي.

ولأنّ التفهّم قيمة إنسانية، فيأمله الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ ولهذا ينبغي أن يراعى في أثناء جمع المعلومات، وأثناء تحليلها، وأثناء إجراء عمليات التشخيص، وفي أثناء الوصول لعلاج موضوعي، وفي أثناء

عملیات التقويم؛ أي: إنَّ تفهّم الظروف يعني: تقدير ما عليه الحالة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية، بغاية الأخذ بأيدي من هم يعانون من تأزّمت قيمية، وهم في حاجة لمن يمدّ لهم يد العون والمساعدة الهادفة؛ ولهذا عندما يتفهم الأخصائي الاجتماعي ظروف الأفراد والجماعات يتمكن من الإلمام بها عن وعي هي كما هي ثم يتمكن من الإصلاح أو بلوغ الحلّ.

ولذا تُركّز البرمجية القيمية في طرق مهنة الخدمة الاجتماعية، على قاعدة الوعي عن بيّنة، باعتبارها من أهم القواعد التي تُسهم في إحداث النُّقلة للعملاء الذين هم في حاجة لأن يلعب الأخصائي الاجتماعي معهم أدواره المهنية حتى يبلغوا ما هم في حاجة إليه عن وعي وإرادة حرّة.

وعليه:

. أدرك الحقائق بوعي وانتباه.

. حدّد أهدافك وضوحًا واعمل على إنجازها.

. افطن بما يدور من حولك حتى لا تقع في الفخّ.

. أدرك الأشياء كما هي حتى لا تغالبك الأوهام.

. اسع إلى إنجاز ما يجب بعد إدراك وتفهم واستبصار وغرس ثقة.

لذا على الأخصائي مراعاة الآتي:

1. أن يدرك بوعي العملاء وحالاتهم وظروفهم التي جعلتهم يتقدمون للمؤسسة لطلب المساعدة.

2. الإلمام بظروف العملاء يجعله قادرًا على إدراك حالاتهم، ويجعله واعيًا بمسبباتها وبعملها وبما يترتب عليها من متغيرات تابعة، ما يجعله في حالة حيطة بما هو متوقع وما هو غير متوقع في دائرة الممكن.

3. تفهم الظروف التي يمرّ بها العميل وتقديرها، والمستوى القيمي الذي عليه حالته، ومستوى قدراته واستعداداته وإمكاناته.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي ألا يغفل عن الآتي:

1. استبصار مكانم العلل والمسببات للظواهر أو المشاكل حتى يتمكن من معرفة العلاج المناسب لحالات العملاء الذين يعانون من تأزمات قيمية.

2. إدراك حالات العملاء وظروفهم التي تجعلهم يتقدمون للمؤسسة لطلب المساعدة.

3. تفهم حالات العملاء والظروف التي تلمّ بهم لأجل أن يتمكن الأخصائي من إدراك العلل والأسباب الكامنة فيها، وما يجب أن يقوم به تجاه حالاتهم.

ولأنّ التفهم إعطاء فسحة قيمية للمبحوث قيد الدراسة، وتقدير للظروف التي يمرّ بها العملاء، والمستوى القيمي الذي عليه حالاتهم،

ومستوى قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم؛ فإنَّ قيم الاستبصار والإدراك والتفهّم هي قيم تمييزية، بها تتمُّ عمليّة الاستقراء والاستنباط لما يجب وما لا يجب حتى يستطيع الأخصائي الاجتماعي الإقدام عن وعي على دراسة الحالات بموضوعيّة إذ لا تمييز ولا أحكام مسبقة.

وعليه:

. استبصر ذاتك قبل أن تستبصر ذوات الآخرين.

. تفهّم ظروف الآخرين مثلما تتفهم ظروفك.

. أدرك الآخرين مثلما تدرك نفسك.

. اعرف قدراتك واستعداداتك قبل أن تعرف قدرات واستعدادات

الآخرين.

. اخرج من غفلتك إذا أردت أن تتطلّع إلى الآخرين وإلى ما هو

أفضل.

. أقدم على صناعة مستقبل أفضل إذا أردت الإسهام في إحداث

النُّقْلة.

. صحّح معلوماتك الخاطئة قبل أن تُقدِّم على تصحيح أخطاء الغير.

مبدأ

غرس الثقة

مع أنّ الثقة قيمة، فإنّها إذا لم تدرس في مكانها فلن تثمر، ومع أنّ الثقة قيمة فإنّها ستظل وكأَنَّها بلا هويّة ولا مفهوم ما لم تتجسّد في الفعل والسلوك؛ ولهذا غرس الثقة يستوجب بيئة لإنباتها ونموّها بغاية أن تزهر وتثمر؛ ولذا فإنّ مبدأ غرس الثقة يستوجب أن يكون متمركزاً على أهميّة: (تحسيس المجتمع أفراداً وجماعاتٍ بأنّهم موضع ثقة، والعمل على تأكيده قولاً وفعلًا بما يحقق لهم الطمأنينة ويُمكّنهم من التفاعل المتبادل مع بعضهم البعض، ومع محيطهم الاجتماعي والإنساني، وتفهم ظروفهم الخاصّة لأجل أن يتفهموا القيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني ويتطلّع إليها).

ومع أنّ (الثقة) ليست مادّة يُمكن التحكم في عناصرها في المعامل والمختبرات، فإنّها مادّة قيمة لا تُبنى شخصية الأفراد والجماعات والمجتمعات إلّا بها، فالبناء مثلما هو مادّي هو معنويّ؛ ولكن البناء المادّي سريع وميسر؛ أمّا البناء المعنوي فبطيء وصعب.

ولهذا لا تدرس الثقة في الإنسان إلّا بعد أن يوضع في محكّات عمليّة ويجتازها بنجاح، وهي القيمة التي تحتوي في مضمونها أبعاد قيم أخرى، من صدق وأمانة والتزام أخلاقي وسلوكي إلى جانب الوفاء بالعهود.

وعندما تتجسّد الثقة في نفوس الأفراد والجماعات وتنعكس في السلوك والفعل، تصبح ذات دلائل وثوابت مقدّرة من قبل الآخرين؛ ولذا

عندما يثق الأفراد في ذاتهم ويثقوا في الأساليب المهنية للأخصائي الاجتماعي يتمكنون من التفاعل المرضي، ومن التقبُّل حتى إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات ثمَّ نيل المأمول.

ولهذا لا ينبغي للأخصائي الاجتماعي أن يغفل عن توظيف القيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة في أثناء دراسته حالات الأفراد والجماعات؛ لأنَّ إغفاله عنها لا يَمكِّنه من نيل ثقة العملاء وفكِّ تأزماتهم؛ مع العلم أنَّ بناء الثقة عمليَّة تبادلية بين الأخصائي والعميل، أي: إنَّ الثقة مطلب يأمله الأخصائي كما يأمله العميل.

ولأجل أن تجد الثقة مكاناً لتغرس فيه بين الأخصائي الاجتماعي والعميل فعلى الأخصائي مراعاة الآتي:

- 1 . إشعار العميل بأنَّه محل ثقة.
- 2 . التعامل مع العميل بكلِّ وضوح وشفافية ليشعر بالاطمئنان.
- 3 . تحسيسه بأنَّه صادق فيما يقول.
- 4 . تقديم المساعدة الهادفة للعميل بعد دراسة موضوعيَّة مهنية.
- 5 . تقبُّله كما هو.
- 6 . إعادة العيوب للمعلومات التي تشرها العميل بدلاً من إعادتها إلى شخصه.

7 . مناصرته على مغالبة المعلومات الخاطئة.

8 . إظهار حسن النية في التعامل معه.

9 . إشعار العميل بالآتي:

أ . أنَّ الأمل ينتظره.

ب . أنَّه قيمة لا يمكن الاستهانة بها.

ج . أنَّه مقدرة تحتاج لإعطاء فرصة.

د . أنه قوَّة تحتاج إلى توجيه.

هـ . أنَّه استعداد يحتاج إلى تهيئة.

و . أنه في حاجة يحتاج إلى تأهيل⁴¹.

مبدأ

إحراز التقدير

مع أنَّ التقدير قيمة في ذاته فإنَّه سيظل بلا معنى ما لم يؤخذ به مبدأ قيمي ويُمكن من الفوز، أو يُمكن من نيل كل ما من شأنه أن يُقدَّر؛ ولهذا فالتقدير لا يمنح ولا يمكن إحرازه إلاَّ من له رؤية موضوعية، أو له مهارة، أو تخصص، أو مؤهَّل لذلك ومتقي الله.

⁴¹ عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

وعليه: التقدير قيمة تقييمية، تربط الجهد بالإنتاج أو المدخلات بالمرجات، قيمة عليها يكون التسابق بكل قوّة مع المحافظة على المسافة التي تسمح للآخر بالحركة في ذات الاتجاه دون عرقلة مقصودة، وبناء على النتائج المنجزة تميّز كل خصوصيّة بما تمتاز به عن خصوصيات الآخرين. ولا تسود قيمة التقدير بين الناس إذا لم يمارسوا الحرية بأسلوب ديمقراطي.

ولأنّ التقدير قيمة جاء (إحراز التقدير) مبدأ يحتوي مطلباً يشبع رغبة، ممّا يستوجب من راعٍ في ممارسة السّلطة أو امتلاك الثروة، أن يحسّ بتمائل حاجات الآخرين له في ممارسة هذه الحقوق وامتلاكها. وعندما يصل (الأنا والآخر) إلى هذا المستوى من التقدير ينال كل منهما نصيبه بإرادة، ويتمكّنان من العيش معاً في المكان والزّمان الواحد، وينال كل منهما مكانة عند الآخر، مما يجعلهما يحسان بحاجتهما للبعض وأنّ كلّ منهما على درجة من الأهمية التي لا ينبغي أن يستهان بها أو يغفل عنها. ولأنّ كل إنسان يسعى لإحراز التقدير؛ إذن من لا يسعى إلى إحرازه تكاد أن تنعدم الإنسانيّة فيه، ومن تنعدم الإنسانيّة فيه، لا يستحقّ التقدير.

ولهذا فالقاعدة الإنسانيّة والأخلاقيّة:

إحراز التقدير.

والاستثناء:

فقدان التقدير.

ولأنَّ القاعدة الأخلاقيَّة تستوجب من الإنسان أن يسعى إلى إحراز التقدير، إذن: فعلى الأنا والآخر أن يعملوا على هذه القاعدة وألا يغفلا عنها عندما يلتقيان في مناطق الاعتدال.

وعليه:

. أوسع إلى إحراز التقدير تُقدِّر.

. اعمل على تحصيله بالحُجَّة.

. اكتسب المهارات المتنوّعة التي تُمكنك من المنافسة حتى تُقدِّر.

. قدِّر الآخرين تحرز التقدير منهم.

ولأنَّ الإنسان إمكانيات هائلة ومتعدّدة. فلم لا يُمكن من أداء المهام وفقا لإمكاناته حتى يتفوق وينتج ويبدع في مجالات اهتمامه ورغباته. فالإنسان كمفردة بشريَّة يمكن أن يكون شاعرا، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون مهندسا أو طبيبا، وكذلك رياضيا، أو رسّاما أو نجارا، ولأنَّ الإنسان إمكانيات متعددة، فهو قوّة لا يستهان بها؛ ولذا ينبغي أن تُوجه إمكانيات الإنسان سواء أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا إلى ما يجب؛ حتى يستفاد منه اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ومن ثمّ يحرز التقدير.

إذن:

اكتشف إمكانياتك لتتمكّن من إحراز التقدير.

. اظهر إمكاناتك؛ لتنال الاحترام.

. طوّر من إمكاناتك؛ لتحديث النقلة.

. استثمر إمكاناتك؛ لتصنع مستقبلا.

. وجه إمكاناتك؛ لتُبدع وتتطوّر.

ولأنّ الإمكانيات في بعض الأحيان كامنة، فهي إن لم تستفز قد لا تظهر إلى حيّز الوجود، وإذا لم تستثمر قد تؤدّي إلى انحرافات سلبية ليست هيّنة؛ لذا معظم الشباب هم في حاجة ماسّة لمن يساعدهم على إخراج إمكاناتهم وتوجيهها وتهدئتها؛ ولهذا فعلى الأنا والآخر ألا يغفلا عن أهمية ذلك إن أرادوا إحراز التقدير اجتماعيًا أو وطنيًا.

ومن ثمّ فمن يرغب إحراز التقدير فعليه أن:

. يكتشف إمكاناته ويستخدمها بثقة.

. يكتشف قدراته ويستثمرها بيسر.

. يكتشف طاقاته وينمّها إلى أقصى حد.

. يكتشف استعداداته ويهيئها للإقدام على ما يجب ارتقاء.

. يمنح نفسه فرصة التعرّف على تجارب الآخرين.

. يتعلّم وينوّع معارفه وفقا لحاجة السوق.

. يحترم الآخرين مثلما يرغب أن يحترموه.

. يتقبّل الآخرين كما هم من أجل مستقبل مشترك فيه تُصحّح المعلومة
الخاطئة بالمعلومة الصّائبة.

. يتطلّع إلى كلّ مفيد ونافع دون غفلة، ودون أن يكون على حساب
القيم والفضائل التي بها يحرز التقدير.

. يتذكّر الماضي وما فيه من تاريخ مفيد، وأن يتدبّر أمره بما يفيد، وأن
يفكّر فيما يفيد ويحدث النُّقلة والفوز بالمأمول.

ولأنّ الإنسان قوّة، والتاريخ قوّة؛ لذا فإنّ الإنسان عبر الزّمن يضيف
إلى قوّته المزيد من القوّة من أجل أن يحرز التقدير؛ ولذلك لا تستغرب.

ولأنّ الإنسان قوّة، من مجموع مكوّناته، فإنّ فقدان حاسّة من حواسّه
لا يعني إنّه ضعيف وفقد القوّة، بل في حقيقة الأمر فقد شيئاً بسيطاً من
مجموع إمكانات القوّة؛ ولهذا عليه أن يستثمر باقي قواه ويعمل على تنميتها
تحدياً للضعف؛ فيحرز التقدير ويكتسب قوّة لم تكن في الحسبان.

إذن: من لا يستمر في العطاء هو في حاجة لمن يساعده على
اكتشاف الإمكانيات ليعرف أنّها مستمرة، وبالرغم من تغيّر الزّمن والعمر
فإنّ الإنسان قوّة إلى أن يموت من حيث الآتي:

قوّة في ملكاته العقليّة.

قوّة في حواسه.

قوّة في احتوائه للتاريخ، وصناعته له.

قوة في استطاعته.

قوة في تحمُّله.

قوة في قراراته.

قوة في استقرائه واستنباطه واستنتاجه.

قوة في خبراته ومهاراته ومعارفه.

قوة في تطلُّعه وآماله.

قوة في حكمته.

قوة في صبره.

قوة في حجّته.

قوة في عفوه وتسامحه.

قوة في هيئته وقُدوته.

إذن: من يفتقد هذه العناصر هو في حاجة للمساعدة، والمساعدة
الرئيسية التي يحتاجها الإنسان مهما طال به العمر تتمثل في المساعدة الهادفة
التي تُمكنه من اكتشاف القوّة في نفسه؛ ولهذا فالعجزة وكبار السن في
حاجة للمساعدة التي تُمكنهم من معرفة قواهم التي تجعلهم قادرين على
المشاركة.

ولذا فمن الممكن استثمار الجزء من الكل، فالإنسان قوّة متكاملة
ولكن في حالة عطل أيّ جزء منها فالمتبقي قوّة بالرغم ممّا يتركه الزّمن من
أثر.

وعليه:

اعرف أنّك قوّة.

لا تغفل عن مكان قوّتك.

هيئها لكل حين.

ادعم مواطن القوّة فيك.

عالج نقاط ضعفك.

اكتشف مواطن قوّتك.

ابحث عن أساليب جديدة لاستخدامها.

اجمع نقاط القوّة حتى تزداد قوّة.

ولأنّ الإنسان يسعى لإحراز التقدير، إذن: لديه من الطموحات التي
يعمل على إنجازها، ولهذا كلّما أنجز طموحا أو أملا، أحرز التقدير من
الآخرين الذين يعترفون له بالقوّة العقلية أو العلمية أو المهارية أو الحرفية أو
المهنية التي تمكّن من خلالها من الإبداع وتحقيق الفوز. هذا وقد يحرز

الإنسان التقدير بما يمتلئ به من أخلاق وقيم وفضائل مُقدَّرة من قبل أعراف المجتمع ومعتقداته الدينية التي تُشكل إطاره المرجعي.

ولهذا؛ يتمّ إحراز التقدير بالآتي:

. بذل الجهود المثمرة.

. الأخلاق الحميدة.

. السُّلوك الاحترامي.

. الإبداع واكتشاف الجديد المفيد.

. استيعاب الآخر والاعتراف به.

. الدفاع عن قضايا المظلومين أو مساندتهم.

. التفوق العلمي والفني والرياضي.

. القدوة الحسنة.

وعليه:

. تعلّم تحرز التقدير.

. تفوّق تحرز التقدير.

. اعمل تحرز التقدير.

. أنجز المهام المناطة بك بنجاح تحرز التقدير.

. افعّل خيراً تحرز التقدير.

. تحدّى الصّعاب تحرز التقدير.

. استوعب الآخرين تحرز التقدير.

. قُل الحقّ تحرز التقدير.

. احكم بالعدل تحرز التقدير.

وعليه: إحراز التقدير مبدأ أخلاقي في مقابل مطلب نتيجة دور أو مسؤوليّة أو اتخاذ موقف يستوجب التقدير، والتقدير هنا ليس المادّة، بل القيمة المعنوية التي بها تعظّم المواقف، ويقدرها أصحابها؛ ولهذا فالناس يختلفون بين مقدّرٍ ومقدّر، ومن هنا؛ يعدّ التقدير منبعاً من منابع بلوغ الأمل؛ إذ الجميع يرغبه ويأمل إحرازه.

ولذا فأمر الاختلاف والخلاف بين الناس يتعلّق بالخلق والمعرفة معاً، وهذه لم تكن لدى الكائنات الأخرى؛ ولهذا تنمو الاختلافات بين الناس من أجل الأفضل، وتشتدّ الخلافات بينهم بما يتمكّنون منه تذكّراً، وتدبّراً وتفكّراً؛ وذلك من أجل الأهم والأعظم.

ولذا لا يحرز التقدير إلا عاقل يميّز بين ما يجب، وما لا يجب، وعندما يميّز بينهما، يستطيع أن يقدم على ما يجب، ويستطيع أن يتجنّب ما لا يجب. وهنا يكمن الاختلاف والخلاف كما يكمن التقدير.

فالعقل بسداد رأيه، وحكمته، وحسن أدائه، واستنارة علمه ومعارفه، يستطيع إحراز التقدير من الآخرين إرادة، وهكذا من يقدر الناس يقدر، ومن لم يقدرهم لا يقدر، وكلما سادت قيمة التقدير بين الناس أفرادا وجماعات ومجتمعات امتدّت بينهم جسور المودّة، والاحترام، والتعاون والتفاهم، والتفهّم.

وعندما يسعى الإنسان تجاه الآخرين لإحراز التقدير بما يقدم عليه من عملٍ رفيع، أو بما يقدم عليه من أداء واجبات بتفوّق، ولم ينل مسعاه، ستكون ردود أفعاله تجاه المجتمع سالبة (انطواءً، أو انسحاباً، أو أنانية)، ولهذا؛ كلّ شيء يؤسّس على الإرادة، تكون نتائجه مرضية لفاعله، حتى ولو كانت نتائجه سلبية، ممّا يجعل المفسد، يُفسد في الأرض إرادة، بأسباب ردود أفعال عدم تقدير ما أقدم عليه، أو عدم تقدير ما قام به من عملٍ يختلف أو يخالف ما قام به الآخرون من أعمال، ولكن عندما يبلغ الحال إلى هذا المستوى الذي لا يُميّز فيه المجدّ من المهمل، والمصلح من المفسد، تصبح صفة الإفساد هي السائدة، فتسوء الأحوال بين الأفراد والجماعات، كما تسوء مؤسّسات الدولة أيضاً؛ فنقلب الأحوال فيها من الجدّ إلى التسيب، ومن الاهتمام إلى الإهمال، ومن التقدّم إلى التخلف، ومن الموضوعيّة إلى الأنانية.

ولكن عندما يصل الأمر إلى هذا المستوى ويعمّ الألم، تنتفض الشعوب من آلامها وأوجاعها؛ فتثور على ما ألمّ بها من آلام من أجل أن تنهض،

وتتغيَّر أحوالها، وتبلغ غاياتها، وهكذا هي سُنن الحياة تتبدَّل ومنابع الأمل لا تنضب.

ولأنَّ التقدير قيمة حميدة؛ فيسعى العاقل المدرك إلى إحرازه من العقلاء، ومن أجل إحرازه يدرك أنَّ الموت ثمن في سبيل تحقيقه يُمكن من بلوغ الحياة مرّتين:

المرة الأولى: أن يكون قبول الموت ليس تهلّكة، ولكن من أجل أن يصبح التقدير سائدا بين النَّاس من بعده درسا، وعبرة لمن أراد أن يكون مقدّرا في شخصه، أو عمله، أو أن يكون مقدّرا في جهاده واستشهاده.

المرة الثانية: أن يكون الموت في سبيل الله كما هو الحال عند المسلمين من أجل الفوز بالحياة الباقية في دار الخلود.

ولذلك؛ يتحوّل الموت إلى قيمة عالية تنال التقدير، وبخاصّة عندما يكون الموت عملا يرجو من ورائه الإصلاح، أو تحرير الوطن، أو صدّ خطر يحاك ضده، أو ضدّ الشرف، أو الدّين، أو القيم الحميدة والفضائل الخيّرة؛ ولهذا دائمًا الشهداء مكرّمون.

وعليه: إنَّ الموت (السّليبي) - الذي هو فرار من الموت (الإيجابي)- هو موت بلا ثمن؛ فمن أقدم عليه ضلّ؛ ذلك لأنّه لم يكن قيمة حميدة، ولا يُحقّق تقديرا.

ومن هنا فإحراز التقدير لا يكون إلا بما يُبذل من جهد جاد و متميز تجاه الأنا والآخر؛ فالآخرون عندما يلاحظون ما يبذله الإنسان من جهد في سبيل الرقي الأخلاقي، أو الرقي العلمي والمعرفي، أو في سبيل زيادة الإنتاج، والإصلاح، والإعمار، والبناء بشكل عام، يقدرونه تقديرا عاليا، وفي مقابل ذلك لا يقدرّون الضالين، ولا المجرمين، ولا المتكبرين، الذين يفسدون في الأرض.

ومن ثمّ فإنّ تعظيم قيمة التقدير منبع الأمل لا يكون إلا بإظهار كلّ ما من شأنه أن يُفخّم تلك المعاني المكوّنة للقدوة الحسنة، حتى يصبح المدرس قدوة حسنة، والطبيب قدوة حسنة، ويصبح الأب قدوة حسنة، وكذلك تصبح الأم قدوة حسنة، ويصبح المسئول خير قدوة في الأمانة والنزاهة والحرص على الوحدة الوطنية، وسلامة تراب الوطن، وأمن شعبه، ورأس ماله الديني والاقتصادي والثقافي والحضاري.

ولأنّ إحراز التقدير قيمة مأمولة من قبل الجميع؛ فيجب أن يفخّم ويعظّم حتى يحفز الجميع على أداء كلّ ما من شأنه أن يميّزهم من إحرازه، وبتفخيم قيمة التقدير تتماسك عرى المحبة والموّدة بين أبناء الشعب الواحد، وتقوى حتى ترتقي بأصحابها إلى مقامات الرّفعة المأمولة.

فالتقدير قيمة حميدة، تربط الجهد بالإنتاج؛ ممّا يجعل التسابق على إحراز التقدير بكلّ قوّة، مع المحافظة على المسافة التي تسمح للآخرين بالحركة في ذات الاتجاه، ودون أيّة عرقلة مقصودة، وبهذا؛ تتميّز كلّ

خصوصيةً بما تمتاز به عن خصوصيات الآخرين، وفي مقابل ذلك لا يمكن أن تسود قيمة التقدير بين الناس إن لم يمارسونه من حرية.

ولهذا؛ فمبدأ إحراز التقدير مطلب يشبع رغبة، تستوجب من راغبٍ في إحرازه أن يستشعر بتمائل حاجات الآخرين مع حاجاته ورغباته، وعندما يصل (الأنا والآخر) إلى هذا المستوى من التقدير، يتمكنان من العيش ومعا، ومن ثمّ، ينال كلّ منهما مكانة عند الآخر، ممّا يجعلهما يشعران بحاجتهما للبعض؛ فكلّ منهما على درجة من الأهمية التي لا ينبغي أن يُستهان بها، أو يُغفل عنها.

والتقدير قيمة حميدة تُميّز من يجب أن يُميّز بما عليه من مكارم أخلاق وقدرات ومواهب، ممّا يجعل لكلّ خصوصيةً خاصةً تستوجب التقدير والاحترام والاعتراف. ومع ذلك نجد لكلّ قاعدة شواذ، وأكبر الشاذين الجاحدين، وأكبر الجاحدين الذين يعرفون الحقّ وينكرونه، ثمّ يلبسونه باطلاً.

وعليه، تتعدّد الأدوار، والأذواق، وتختلف، وتنوّع من مجتمع لآخر، باختلاف المعتقدات والأعراف، وفي مجملها تتكامل وتتمّ بعضها البعض بمختلف أساليب إشباعها، وهذا التنوّع والتعدّد في الحاجات يجعل الأنا والآخر في مستويات غير متساوية إذا لم تُقدّر هذه الحاجات ومشبعاتها من الطرفين المختلفين.

مبدأ

ترسيخ المكانة

المكانة رفعة مأمولة ولا تترسّخ إلا بالفضائل الحميدة والقيم الحَيِّرة، ومع أنّ المكانة ذات مفهوم واحد وله قيمة مرغوبة، فإنّ طرق وأساليب ترسيخها متنوّعة؛ حيث العلم يرسيخها، والعمل المبدع يرسيخها، والقُدوة الحسنة ترسيخها، والصّدق والأمانة والوفاء.

ولأنّ المكانة ذات قيمة رفيعة فهي التي ترفع شأن من يعمل عليها، ولهذا لا يُمكن أن يتمّ نيلها هكذا ضربة عشواء، بل تحتاج إلى جهدٍ يبذل وعطاء أكثر من الأخذ.

ومع أنّ المكانة قيمة عامّة فأنّه لا يفوز بها إلا أهل الخصوص (العاملين عليها) صدقًا ووفاء وإخلاصًا.

وعليه فالمكانة تبوؤ مقام على الرّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي ما يبلغ بالكلمة الحجّة، والعمل المنتج، والخُلُق الرّفيع، وتنال التقدير والاعتبار من قِبَل النَّاسِ، والنّاس تأملها وتسعى إلى ترسيخها قيمة.

ولذا فالمكانة لا تكون إلا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاءً إلا بها، ومن ثمّ فمن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائل، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاءً مأمولًا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيمًا وفضائل؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة
لبنى جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقًا، وإذا عاهد أوفى،
وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّم علّم، وإذا اكتال أوفى،
وإذا رأى فتنة بين الناس أصلح، وإذا غضب تملك نفسه، وإذا ذُكر بخيرٍ
فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

ولذلك فالتمسك بالقيم لكونها قيمًا، لا يفيد، بل المفيد العمل بها
قولًا وسلوكًا، ولهذا ينبغي أن يتشربها النشء تربيةً وتعلّمًا وتعليمًا حتى
يجسدها سلوكًا كما جسدها أهل المكانة.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍ قيمٍ قولًا وسلوكًا؛ علوٍ عن الرذيلة
وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل
الخيّرة.

ولأنّ الكبرياء تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكرامًا
أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيمًا وفضائلٌ لا يكون إلا في دونية
وسُفلية، ولهذا فإنّ أوطان المتخلفين تتخلف بأسبابهم إذ لا مسؤولية ولا
أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النواقص والرذائل
والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

إذن: المكانة والكبرياء تعظيم شأن؛ فالكبرياء كونه قيمة حميدة لتعظيم
الشأن فهو الذي به يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرفيعة، في مقابل آخرين
لا ينزلون إلا في الأماكن الدونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن
تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملاً وسلوكًا نال الاحترام والتقدير
والاعتبار من قبل الغير؛ ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما
هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة
ومعتبر.

ولذا فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبرون عن
كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء
تعالٍ عن كلّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للناس، ممّا يجعل الكبرياء هو
المحقّق لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأنًا بما اختار أن
يكون عليه بدوq رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبر والاستكبار؛ فالتكبر قيمة حميدة
لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبر عن القول الزور
وعن أيّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبر عن الأفعال التي لا تليق
بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السلوك
المثال الذي لا يقدر عليه إلا من له مكانة مقدّرة، أمّا الاستكبار فهو
الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة
دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها
الحقّ، مع العلم أنّ هذا الأمر لا يُنقص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من
شأن المستكبر عليها بغير حقّ.

وهذا يعني أنّ للتكبرّ صفتين:

الصفة الأولى: التكبرُّ بالحقّ عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدماء في الأرض بغير حقّ وإن حكموا بين النّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبرُّ عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالته بالباطل، والمتكبرّون عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النّاس، وهؤلاء همّ الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنّ للتكبرّ مبرراته لكونه قيمة حميدة، ولا مبررات له ألاّ يكون قيمة حميدة، ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قبل أولئك الذين ضلّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبرّوا كما طغى وتكبرّ من قلبهم المتكبرّون بغير حقّ، ولكن التّاريخ دائماً يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درساً حيّاً.

ولذا فالمفسدون همّ الذين يتكبرّون عن الإصلاح، أمّا المصلحون أهل المكانة فهمّ الذين يتكبرّون بفعله، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ⁴². إِنَّ اسْتِكْبَارَ إِبْلِيسَ
 كَانَ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْحَقِّ، أَمَّا تَكَبُّرُ الْمَلَائِكَةِ فَكَانَ تَكَبُّرًا بِالْحَقِّ، وَهَذَا
 فَالَسَّجُودَ يَدُلُّ وَيُعَبِّرُ عَنِ الطَّاعَةِ وَبَلُوغِ الْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي تُؤْمَلُ مِنَ الْخَيْرِينَ.
 وَالْمُتَكَبِّرُ بَظْلَمٍ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ وَيَأْبَىٰ إِظْهَارَهَا، وَلَا يَأْخُذُ بِهَا،
 أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ بِالْحَقِّ فَإِنَّ دَعِي لِنَقِيصَةِ تَكَبُّرٍ عَنْهَا، وَإِنْ دَعَاهُ سَائِلٌ اسْتِجَابَ
 وَفَقَّ اسْتَطَاعَتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلَا يَنْهَرُ؛ وَلِذَا فَالْتَكَبُّرُ صِفَةٌ مُحْتَمَلَةٌ لِلْإِيجَابِ
 وَالسَّلْبِ؛ فَتَكَبُّرُ الْعَبْدِ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَظَالِمِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي قِيَمَةٌ إِجْبَائِيَّةٌ،
 وَفِي الْمَقَابِلِ ارْتِكَابُهُ لِلْأَفْعَالِ الذَّمِيمَةِ وَالْمُفْسَدَةِ فِي الْأَرْضِ قِيَمَةٌ سَلْبِيَّةٌ، ذَلِكَ
 لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا نَقَاءً وَصَفَاءً مَعَ الْأَنَا الَّذِي فِيهِ كِبْرِيَاءُ الْمَخْلُوقِ
 وَرَفْعَةٌ مَكَانَتَهُ، وَالذَّاتُ الَّتِي فِيهَا كِبْرِيَاءُ الْمَجْتَمَعِ، وَكِبْرِيَاءُ الضَّمِيرِ الَّذِي فِيهِ
 تُقَدَّرُ الْإِنْسَانِيَّةُ؛ وَلِذَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَنِ:

الجهل:

فالجهل أساس كلِّ داءٍ يصيب المجتمع الإنساني تخلفًا، لأنَّ الجهل من
 شأنه أن يؤدي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرذيلة والمفاسد، والذين
 يتمسكون بالجهل بأسبابه في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور
 الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

ولأنَّ الصِّراعَ من البدء الخَلْقِي هو صراع بين جهل وعلم (شرٍّ وخير)
 لذا فبالعلم تتحسن الأحوال وبالجهل تسوء؛ ولأنَّها كذلك فالصِّراع بين

⁴² البقرة، 34.

الخير والشر لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حملها، فهم لن يناموا ساعة واحدة نومًا هادئًا وهنيئًا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نومًا آمنًا هنيئًا بمشاركة الناس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليات مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمساءلة للجميع إذ لا قمة سلطانية إلا من الشعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستوريًا؛ وهم بذلك يقبلون ولا يتجاوزون قرارات ودستور الشعب قمة؛ ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشهوات:

إنّما الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها وتحذيرها وضبطها والسيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والفساد، قال تعالى: {رُزِينَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} ⁴³؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من

⁴³ آل عمران 14.

خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خُلِقَ ليكون إنساناً بحقٍّ في هذه الحياة الدُّنيا، فلا ينبغي له أن يقصر شهواته على الدَّار الآخرة كما لا يقصرها على الدَّار الدُّنيا؛ ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون وارثاً في الدَّارين؛ ولهذا لا ينبغي له أن ينسى نصيبه من الدُّنيا، ولكن لا ينبغي له أن يتجاوز الحدود القيميَّة والفضائيَّة التي أقرَّ لها الخالق حدوداً؛ ليكون فائزاً في الدَّارين.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدَّعايات الانتخابية في أوطان المتقدمين علمًا وثقافةً تُكشف الأوراق من قِبَل الجميع؛ حتَّى لا يكون الرِّئيس المنتخب متَّهمًا بارتكاب المفاصد الأخلاقيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، وبين الأقدَر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير فغير ذلك، الحاكم يورث حكمه أوَّلًا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلاخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيَّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيِّره الرِّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط؛ لذلك لا بدَّ للإنسان من الترفُّع عن هذا الانقياد الأعمى للشَّهوات ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبَّر عن هذه المفاصد المدمِّرة، فبتكبُّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرِّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله؛ فالشَّهوات عندما تجعل الإنسان عبدًا لها

لا يملك لنفسه شيئاً أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشهوة ولو كانت مفسدة بيّنة⁴⁴.

ولأنّ أمر المكانة متعلّق بالرفعة وتحقيق الأمل فمن يبلغ المكانة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير؛ ومع ذلك وراء كلّ مكانة مكانة لآمال أرفع.

مبدأ

تفخيم الكرامة

قيمة الكرامة راسخة في تلك الأديان والقيم والأعراف المكوّنة للذات الاجتماعيّة والإنسانيّة، التي تستوجب التعظيم والتفخيم والتمجيد، ومع أنّ الكرامة قيمة، فإنّها لا تقتصر على فردٍ بعينه، بل تمتدُّ إلى ما يربطه مع الآخرين قيمةً، مما يجعل كرامة المواطن من كرامة وطنه، وكرامة أهل الدّين من كرامة دينهم، وكرامة الزوجة والزوج من شرف العلاقة الزوجيّة.

ولأنّ الكرامة قيمة عظيمة فلم لا تفخّم بين الناس سرّاً وعلائيّة وأينما كانوا وحلّوا، في المدارس، وفي العمل، وفي المناهج، أي: لم لا تُفخّم قيمة الكرامة في برامج الوسائل الإعلاميّة سواء أكانت المسموعة منها والمرئية أم تلك المقروءة والمنشورة؟!

وعليه: فالكرامة قيمة للاستشعار بالشرف الذي إذا مُسّ بسالبٍ ساد الألم ضمير الإنسان الذي تتجسّد في نفسه قيمة الكرامة؛ ولهذا فإنّ

⁴⁴ عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

تفخيمها سلوكا بين الناس مبدأ. وبهذا المعنى يصبح الإنسان قيمة في ذاته، وذلك بتفخيم قيمة الكرامة في شخصه عبراً ومواعظاً وشرفاً وفضائلاً خيرة.

والكرامة قيمة ذاتية تأصيلية تربط الإنسان بالتاريخ، كما تربطه بالفضائل الاجتماعية والإنسانية، حتى يصبح الشرف والوطن والأمة والدين من المكونات الرئيسة لذات الفرد، الذي إذا تفحّمت في نفسه قيمة الكرامة يقبل في سبيلها الموت الشريف أو الاستشهاد دونها.

فتفخيم قيمة الكرامة يجعل من الإنسان شخصية مقدّرة، وله من الاحترام والاعتبار ما يجعله شخصية مهابة؛ ولهذا تعد آراؤه وحكمه وجهوده وتجربته وخبرته مرجعية دون أيّ تمييزٍ لدينٍ أو عرقٍ أو ثقافةٍ.

ويحتوي مبدأ (تفخيم الكرامة) على أنّ الثقة في الإنسان خلقاً وحُلُقاً ينالها بالاحترام والأخذ بالتعاليم المستمدة من الفضائل الخيرة والقيم الحميدة، ومن هنا يصبح الإنسان قيمة في ذاته يحترم رأيه ودينه وجنسه ونوعه ولونه وهويّته.

ولهذا ينبغي أن يتمّ تقدير الأفراد والجماعات بما يليق بتفخيم الكرامة الإنسانية، وتجنّب معاملتهم وكأنّهم مجرد أرقام في أحد سجلات إثبات القيد الوطني.

وبما أنّ تفخيم كرامة الإنسان مبدأ، فتفخيمها لا يكون إلا قولاً وفعلاً وعملاً وسلوكاً؛ ولهذا وجب اعتبار الآخر وتقدير دوره وما يبذله من جهد

في سبيل استقرار الأمن والارتقاء بالوطن والحفاظ على شرفه وشرف الآخرين وعلى جميع المستويات في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) سواء أكانت موضوعية، أم تطلعية، أم ذاتية، أم انسحابية، أم أنانية.

ولذا فإنَّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية ينبغي تفخيمها بما يحافظ ويعظّم قيمة الإنسان أينما كان؛ ذلك لأنّ تفخيم الكرامة يمكن من الحفاظ على التاريخ والحضارات والثقافات المتنوّعة مع احترام الخصوصيات الاجتماعيّة والوطنية.

الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية:

ولأنّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية؛ إذن فتفخيمها واجب لا ينبغي أن يغفل عنه الأنا والآخر؛ ذلك لأنّ تفخيمها تفخيم مكانة، أي: تفخيم مكانة كلّ من الأنا والآخر.

ولهذا عندما تهان كرامة الأفراد، تهان كرامة الشعوب، وهذا يعني أنّ الكرامة مكوّن مجتمعي من القيم المتضمنة في الأعراف والأديان والتقاليد؛ ولذا كلّما قُدّمت الإهانات لقيمة مجتمعيّة أثرت سلبيًا في نفوس الأفراد والجماعات المنتمين للمجتمع؛ وعليه تكون المواجهة مع من يُقدّم الإهانات للقيم والفضائل الاجتماعيّة الخاصّة بمجتمع معيّن أو لمن يُقدّم الإهانات إلى قيم وفضائل إنسانية.

إذن: المجتمع بلا كرامة لا ينال التقدير ولا الاحترام، وهكذا حال الأفراد والجماعات بلا كرامة لن ينال أحد منهم التقدير ولا الاعتبار.

وعليه:

. عش كريماً تقدر.

. عش كريماً تنال الاعتراف.

. عش كريماً تبادل الاحترام.

. عش كريماً تُعتبر.

وفي المقابل من يقبل العيش مهانا لن تكون له كرامة، ومن يقبل أن يعيش مهانا يقبل بإعطاء التنازلات إلى النهاية، ولهذا فالتمسك بالقيم الإنسانية يكون الضمير الإنساني، والتنازل عنها لا يكون إلا تنازلاً عن المكانة والكرامة.

ومن أجل تفخيم الكرامة:

. مارس حقوقك بتمائل مع الآخر.

. أدي واجباتك بتمائل مع الآخر.

. احمل مسؤولياتك بتمائل مع الآخر.

. تبادل الاعتبار بتمائل مع الآخر.

وبما أنّ الضّمير الإنساني استيعابي، إذن غرس القيم والفضائل الإنسانية وجوبي، ومن هنا فغرس القيم والفضائل الاجتماعية ضرورة من أجل تحقيق الكرامة الإنسانية وتفخيمها في نفوس الأفراد والجماعات والمجتمعات أينما كانوا على رقعة المعمورة بأسرها.

وبما أنّ اعتبار الخصوصية يُمكن من استيعاب الآخر. إذن القاعدة الأخلاقية استيعاب الآخر، والاستثناء إقصاؤه. ولذا؛ فمن يشعر بعدم تقدير خصوصيته، يصاحبه القلق والخوف. وهكذا سيكون الحال عندما يحس بأنّ الآخر يقلل من شأنه.

وعليه:

تفخيم الكرامة مبدأ يجعل الإنسان على المكانة التي بها يتبوأ مقام الرفعة المأمولة، أي إنّ الكرامة لا تكون إلا على الرفعة، ولا تترسخ ارتقاء إلا بها؛ ومن ثمّ فمن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلًا، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمة وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاء مأمولا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيمة وفضائل؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقًا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّم علّم، وإذا اكتال أوفى،

وإذا رأى فتنة بين الناس أصلح، وإذا غضب تملك نفسه، وإذا ذُكر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

ولذلك فالتمسك بالقيم لكونها قيما، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولاً وسلوكاً؛ ولهذا ينبغي أن يتشربها النشء تربية وتعلماً وتعلماً حتى يجسدها سلوكاً كما جسدها أهل المكانة والكرامة.

فأهل الكرامة دائماً في علوٍ قيمى قولاً وسلوكاً؛ علوٍ عن الرذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيرة.

ولأنّ الكرامة تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكراماً أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيما وفضائل لا يكون إلا في دونية وسُفلية؛ ولهذا فإنّ أوطان المتخلفين تتخلف بأسبابهم حيث لا مسؤولية ولا أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن التواقص والرذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

ولأنّ الكرامة تفخيم شأن؛ فهي التي بها يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلا الأماكن الدونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرفعة التي يأملها من حُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملاً وسلوكاً نال الاحترام والتقدير

والاعتبار من قبل الغير، ولهذا فالكرامة قيمة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدر بما هو رفيع، فأهل الكرامة يتعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلِّ عبرة ومعتبر.

ولذا فأهل الكرامة أهل مكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فهم يتكبرون عن كلِّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدِّي إلى الفتنة، أو يسيء للناس، ممَّا يجعل الكبرياء هو المحقق للكرامة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأنًا بما اختار أن يكون عليه بذوق رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبر والاستكبار؛ فالتكبر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السافلين، كالتكبر عن القول الزور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السلوك المثل الذي لا يقدر عليه إلا من له مكانة مقدّرة. أمّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حجة دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنّ هذا الأمر لا يُنقص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقّ.

وهذا يعني أن للتكبر صفتين:

الصفة الأولى: هي التكبر بالحق عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحق ويعملون على إحقاقه، أي: إنهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدماء في الأرض بغير حق وإن حكموا بين الناس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبر عن الحق، بالحياد عنه والميل كل الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالته بالباطل، والمتكبرون عن الحق هم الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا ترضي الناس، وهؤلاء هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا، وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنّ للتكبر مبرراته؛ لكونه قيمة حميدة، ولا مبررات له إلا أن يكون قيمة حميدة؛ ولهذا تحرف القيم وتقوض من قبل أولئك الذين ضلّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبروا كما طغى وتكبر من قبلهم المتكبرون بغير حق، ولكن دائماً التاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسا حيا.

ولذا فالمفسدون هم الذين يتكبرون عن الإصلاح، أمّا المصلحون أهل المكانة والكرامة فهم الذين يتكبرون بفعله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} ⁴⁵. إنَّ

⁴⁵ البقرة، 34.

استكبار إبليس كان استكباراً عن الحق، أمّا تكبر الملائكة فكان تكبراً بالحق، وهنا فالسجود يدلُّ ويُعبّر عن الطّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعّة التي تُؤمل من أهل الكرامة التي ينبغي أن ترسخ بين الأنا والآخر مبدأ ثابتاً في المعرفة والسلوك والفعل.

ولهذا؛ فالمتكبر بظلم هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمّا المتكبر بالحقّ فإنّ دعي لنقيصة تكبر عنها، وإنّ دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر، ولذا فالتكبر صفة محتملة للإيجاب والسلب؛ فتكبر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابيّة، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبيّة، ذلك لأنّ الكرامة لا تكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته وكرامته، وكرامة الذات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضمير الذي فيه تُقدّر الإنسانيّة.

مبدأ

تعزير الموضوعيّة

الموضوعيّة قيمة أخلاقيّة والاحتكام بها عدالة، ومقاييسها معياريّة قابلة للقياس والتقييم والتقويم، أي إنّ أحكامها بلا انحيازات، وموازين عدالتها بلا مظالم، ومضمونها نزاهة المقصد والبعد عن الهوى، والتجرّد من العواطف الشخصية وسلامة الموضوع الذي اصطبغت بصفته. ومن ثمّ

فالموضوعية اعتدال في الفكرة والقول والفعل والسلوك، لا انحياز لغير الحق في مكوناتها المنطقية، وهي التي تعتمد على العقل في التمييز بين ما يجب وما لا يجب. بها تُدرك الأشياء كما هي عليه، ثم تقوّم إلى ما ينبغي لها أن تكون عليه. وهي الوعي بالحقائق بعد إخضاعها للقياس المعياري دون غرض النظر عن مكوناتها ومعطياتها وعلاقتها بما يؤثر سلباً وإيجاباً على أطراف الحوار (الأنا والآخر).

إذن: ينبغي أن تعزز الموضوعية بغاية تقديم الحقائق هي كما هي لا كما ينبغي لها أن تكون عليه إرضاءً للأنا على حساب الآخر؛ ولهذا في الموضوعية تكمن الحقيقة التي تهدف إلى كشف الزيف عن المعلومة التي يجب أن تقدم كما هي لا كما يود لها أن تكون.

ولذا تُعد الموضوعية مكوناً قيمياً استيعابياً تندمج فيها المعارف الإنسانية والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالاً وسلوكيات تؤدّي من قبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيمية ذات أبعاد ومرامي إنسانية خالية من التعصب والتحيز.

وتتمركز الموضوعية على الاستخدام العقلي، الذي به تتجاوز الشخصية مرحلة العاطفة والمنطق، ما يجعلها تحتكم بالعقل دون سواه في تناول القضايا والمواضيع بالبحث والدراسة.

وتُقيم الظروف والمواقف الفردية والجماعية والمجتمعية بموضوعية عندما تتوفر معطياتها واشتراطاتها المبررة لوجودها، ولا تبرر بغير ذلك؛ ولذا

فالموضوعية مرحلة وعي متقدّم ينبغي أن تقرر على مستوى الثقافة والفكر الإنساني؛ لتصبح الالتزام بالحقائق المجردة قولاً وعملاً، فلا تميل كل الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة، ولهذا فالموضوعية ضمير لا يؤلم ولا يؤلم.

فمبدأ تعزيز الموضوعية مرحلة تيقن ومعرفة يتجاوز بها العقل كل مراحل الانحيازات والميول السالبة التي تحيد أفعالها كثيراً أو قليلاً عن الحقيقة، إنّها المبتعدة عن المنقوص والمتمسكة بكل فعل تام.

ومن هنا فالموضوعية حالة مستقلة بذاتها تُقيّم الأمور بنزاهة لا بعاطفة، فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع الذاتية في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي الأنانية وذاتية تميل إلى الأنانية، إنّها حالة الانسجام والتطابق مع مبررات المواضيع ومعطياتها العلمية.

تتمركز الموضوعية في خماسي تحليل القيم على الآتي:

- 1 . التجرد من رغبات الأنا وأطماعه ومصالحه الشخصية.
- 2 . لا تعترف إلا بما يجب، ولا تؤدّي إلا الأفعال الواجبة السلوك.
- 3 . تُقيّم الأنا والذات والآخر بمنظور قياسي لا بمنظور مزاجي.
- 4 . السلوك والأفعال الحضارية المتماثلة مع الثقافة المستوعبة لكل خصوصية.

5 . الاعتراف بوجوبية أخذ الحقوق.

6 . الاعتراف بأحقية أداء الواجبات.

7 . الاعتراف بأهمية حمل المسؤوليات.

8 . التقدير لمن يجب ولم يجب.

وعليه: فإنَّ الاطمئنان صفة من صفات الشخصية الموضوعية، المعتمدة على قوة البصيرة التي تمكنها من معرفة الحقيقة، وتمييزها عن غيرها من الأنفس قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} ⁴⁶؛ فالبصيرة قوة عقلية واعية يتبين من خلالها الإنسان الموضوعي معرفة ما يجب وما لا يجب، وعندما يسلك لا يتردد، وذلك لثقتة فيما يفعل أو يسلك عن معرفة صائبة.

إذن: تعزيز الموضوعية هو الإقرار بإعلان الحقيقة بين الأنا والآخر مهما اختلف الزمان والمكان والثقافة أو الدين والعرف، فالحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثر سالب أم ذات مؤثر موجب، فالكذب حقيقة والصدق حقيقة، والنفاق والرفض والتمرد حقائق كغيرها من الحقائق، والموضوعية هي قول الحقيقة وفعل الحقيقة، في المنطق الموضوعي ليس عيباً أن يقال للكاذب كاذب، وللسارق سارق وللصادق صادق، بل العيب ألا يقال ذلك حقيقة. هذه هي الموضوعية حقيقة لا تتبدل، ولا تتغير مهما

⁴⁶ القيامة 14.

تغيّر الزمان والمكان أو تغيّر الأفراد وتبدّلوا نتيجة تعرّضهم إلى مؤثرات ومتغيرات جذابة.

وبما أنّ الحقيقة هي ما صدق على الموضوع، إذن: ليس بالضرورة أن تكون الموضوعيّة منطقيّة، وذلك لأنّ معايير الحقيقة ليست هي المعايير المنطقية، فمعايير الحقيقة هي الصدق والثبات، أمّا معايير المنطق فهي الافتراض والتوقّع. فالإنسان وجوده حقيقة موضوعيّة وليس وجودا متوقعا، وتفكيره منطق، حيث إن التفكير مرتبط أو مترتب على وجود الإنسان باعتباره متميّزا بقدرات العقل المفكّر، والحكم على أنّ الإنسان موجود وأنّه مفكّر هو الحقيقة الموضوعيّة، ولكن ليس بالضرورة أنّ كل إنسان موجود هو مفكّر، فالبعض من الموجودين هم فاقدو حاسة التفكير والتذكّر التي يفترض أنّها خاصية إنسانيّة، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضرورة أن يكون حقيقة.

ولإزالة اللبس والغموض عن الموضوعيّة ينبغي أن نفرّق بين التزام الباحث بخطوات البحث العلمي أثناء تقصيه للمعلومات التي تعكس حقيقة الموضوع، وشخصانية الباحث التي لا تعكس حقيقتة (حقيقة الموضوع)؛ ولذلك التزام الباحث المسلم وتحيّزه إلى دينه لا يعد عيبا، بل العيب الّا ينحاز إليه بما أنّه الحقّ من عند الله تعالى، ومن الموضوعيّة أن يتميّز موضوع الباحث المسلم عندما يكتب عن الدين أو الأعراف أو الشخصية المسلمة وعاداتها عن كتابات ومؤلّفات الباحث غير المسلم

عندما يكتب عن الموضوع نفسه. ولذا في اعتقادنا عندما يكتب المسلم عن مجتمعه هو أقرب إلى المعلومة الصادقة من الكاتب غير المسلم، وكذلك يكون الكاتب غير المسلم أكثر معرفة بالحقيقة من الكاتب المسلم عندما يتعلق الموضوع بمجتمع الباحث غير المسلم.

وعليه فإنّ قول البعض بأنّ الموضوعيّة ألاّ يدرس الباحث مجتمعه؛ لكي يكون موضوعياً فيما يبحث أو يكتب قول لا تسنده المصادقة، فهذه المناداة تزعمها بعض من المستشرقين الذين لا يريدون أن تقدّم معارف صادقة عن أخلاقيات المجتمعات النامية ومعتقداتهم وأعرافهم وبخاصة التي تدين بالإسلام؛ وذلك حتى لا تنتشر تعاليم موضوعية قد تهزّ نظم المجتمعات غير المسلمة، ولهذا وُجّهت التهم إلى البحوث والدراسات العلميّة التي تُبرز أهمية الدين الإسلامي وحججه وأخلاقياته بأنّها بحوث ودراسات وتعاليم غير موضوعيّة، ومن يقوم بهذه المهمة العلمية الرائعة يُتهم بأنه غير موضوعي، وللأسف الشديد صدّق بعض من أساتذتنا هذه الادعاءات وعملوا بها، في حين ازداد تمسك أهل الغرب والمستشرقين منهم بصفة خاصة بدراسة مجتمعاتهم سواء في استطلاعاتهم العامّة أو في دراسات قُراهم أو حالات مجتمعاتهم الخاصّة دون أن يصف أحدهم الآخر بعدم الموضوعيّة، وفي مقابل ذلك هم يصفون بُحاثنا وكتّابنا بعدم الموضوعيّة عندما يولون اهتماماً بأمّتهم ومجتمعاتهم التي لها خصوصيّة تميزها عن خصوصيّات الآخرين كما للآخرين خصوصيّات تميزهم.

وعلينا أن نميز بين التزام الباحث بمبادئ أمته وتاريخها الذي به تعتَز، وبين تَزَمّت الباحث وأُنايئته على حسابها، وحساب خطوات البحث العلمي في أثناء تتبعه للمعلومة في عمليات الدراسة، فعندما يلتزم الباحث بمبادئ أمته ودينها، فإنّه في هذه الحالة يكون ملتزماً بمبادئ عامّة (ملك للجميع)، وإلاّ هل يُعقل موضوعياً أن يفكّر الباحث المسلم في أثناء قيامه بمهمة البحث والدراسة بأنّه غير مسلم؟ وهل الإسلام والثقافة والعادات والأعراف أملاك لفرد بعينه حتى يقال له: تجرد منها أن أردت أن توصف بالموضوعيّة.

عليه تكون الإجابة موضوعياً ب(لا)، وعليه ينبغي لنا أن نعزّز الموضوعيّة مبدأ عاماً لا يخص مجتمعا بعينه، وعلينا أن نعزّز الموضوعيّة مبدأً ينبغي أن يسود بين الأنا والآخر في الدراسة والحوار والجدال والبرهنة والتفاوض والأحكام.

فإذا كان الدين والعرف والعادة ومجموع القيم هي المقياس العام للموجب والسالب والمستقيم والمعوج، فكيف إذن يوصف الباحث المنسلخ عنها بأنّه الموضوعي؟ وهكذا كل باحث عندما ينتمي أو يعتقد في اتجاه سياسي أو فكري قد يصعب عليه التجرد منه، فالباحث الاجتماعي الذي يعتقد في الفكر الرأسمالي لا يمكنه القيام ببحثه إلا داخل هذا المنظور (الرأسمالي)، وإذا وجدنا باحثاً من داخل المجتمعات الرأسماليّة يقوم ببحث وهو متجرد من هذا المنظور؛ فهذا يعني أنّه غير منتمٍ إليه وقد يكون منتمياً

لغيره، أي: منتمياً للآخر، وهكذا إذا وجدت باحثاً من المجتمع الماركسي غير منتمياً أو غير ملتزماً بمعطيات الفكر الماركسي؛ فهذا يعني إنه الآخر، والآخر قد يكون سالباً له وموجبا لغيره وقد يكون غير متبَيّن بعد. وعليه: الموضوعية نسبية وليست مطلقة، وعلى هذا الأساس تعزّز مبدأ، ولهذا التمسك بها وكأَنَّها المطلقة في غير محله، إنه تحيّر سالب يضعف حجة الباحث وقد يسقّوها، ولأنّها نسبية ينبغي لها أن تمارس بمرونة لا باستراتيات مسبقة، ولهذا يقول الدكتور على عبد المعطي محمد: ليس هناك موضوعية، بل هناك وجهات نظر تنضوي على أحكام قيمية وتحيّر لما ينبغي أن يكون.

مع أنني لم أوافق على أنه ليست هناك موضوعية، إلا أنني واثق بأنّها نسبية وليست مطلقة وعلى هذا الأساس ينبغي أن تعزّز.

وبما أننا نتحاور مع الموضوعية حيناً ومع المتعصبين بها حيناً آخر فعلياً أن نتساءل: عما هي ركائزها؟

في اعتقادنا ترتكز الموضوعية على الموضوع أولاً، والباحث ثانياً؛ ولذا لا يمكن أن تكون هناك موضوعية في غياب الموضوع أو الباحث. وفي هذا الخصوص يقول الدكتور محمد السرياقوسي: إنّ الفصل التام بين الذات الدارسة والموضوع المدروس مستحيل لما بينهما من علاقات متبادلة تربطهما وتدمجهما في وحدة معرفية لا تمايز فيها بين ذات وموضوع.

وعليه: تفاعل الباحث مع الموضوع وعدم خروجه عنه يؤدّي به إلى الموضوعيّة، وفي مقابل ذلك خروج الباحث عن الموضوع لا يؤدّي به إليها؛ ولذلك يكون الباحث هو العنصر الأساسي في إبراز الموضوعيّة أو إخفائها، وبما أنّ الأمر كذلك فلا داعي إلى تغييب دوره أو إغفال أهميته ومراعاة خصوصيته التي قد تفيد كثيرا في التعرّف على الجديد وتطويره بما يحقّق نجاحا للبشرية بأسرها. وهذا يجعلنا نقول: من الموضوعيّة عدم إغفال بعض الأدوار الفردية وقدراتها دون أن نتعمد طمس شخصية الفرد وأهميّة دور الجماعة والمجتمع في تطوير العلوم والمعارف وتنمية المجتمعات البشرية.

وبما أنّ الباحث هو الذي اكتشف القوانين وصاغ النظريّات، وهو الذي أسهم في المعرفة العلمية التي تطوّرت بها العلوم وتتطوّر باستمرار، فلأنّه هكذا، فلا ينبغي لنا أن نجحد أو نغفل إسهاماته وجهوده الكبيرة في التطور العلمي نظريا وماديا وتقنيا، والذي يجب أن يُطمس هو أنانيّة الفرد وأطماعه الشخصانيّة التي تكون على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ مثلما له، ولهذا تعزّز الموضوعيّة مبدأ عادل.

إذن: فمن الموضوعيّة أن يتعد الباحث عن الأحكام المسبقة أو الأخبار السماعيّة عند دراسة الظواهر والمشاكل والمواضيع أو الحالات في العلوم الاجتماعيّة والإنسانية.

ومن الموضوعيّة أن يلتزم الباحث بالموضوع ولا يجيد عنه عند دراسة الظاهرة.

ومن الموضوعية أن يميّز الباحث بين رغباته وأمانيه التي كان يأملها قبل البحث، والنتائج التي توصل إليها والتي تخالف توقعاته وأمنيته؛ ولهذا يجب أن تقرر الموضوعية بين الأنا والآخر.

ومن الموضوعية ألا تعمم نتائج العينات على المجتمع الذي لم تستهدفه الدراسة بالبحث، فالعينة لا تمثل إلا نفسها، ولا تعطي إلا مؤشرات عن المجتمع الذي تؤخذ منه، وإذا عُممت أحكامها فلن تمثل المجتمع؛ وذلك لفقدانها للمصادق، ولهذا موضوعيا لا ينبغي أن تعمم نتائجها والأحكام المترتبة عليها على من لا تُجرى عليه الدراسة أو البحث، ولكن تؤخذ النتائج المتوصل إليها مؤشرات لدراسة المجتمع مكمّن الحقائق بموضوعية؛ ولهذا وعلى هذا الأساس ينبغي أن تعزّز الموضوعية.

ومن ثمّ فتعزيز الموضوعية (هي كما هي عليه) مبدأ قيمي بلا ميل ولا انحياز شخصاني ولا عاطفي والاحتكام بالحُجّة والمنطق هي المعيار، يُحسّس أفراد المجتمع بقيمة التوازن، وبما لهم وما عليهم إنسانيا دون تمييز بين الأنا والآخر، وأن الحُجّة والبرهان يؤدّيان إلى نتائج مرضية تمكّن من الوقوف على الحقائق كما هي عليه دون تطويع تعسفي.

ولهذا فتعزيز الموضوعية مبدأ مؤسس على الاعتدال والتوازن الأخلاقي الذي يجعل الأنا والآخر على مستوى قيمي لا مجال فيه لممارسة المظالم. فيه الاعتدال السلوكي دون مبالغة في تضخيم المشكلة أو الظاهرة ودون التقليل من شأنها. وفيه أيضا التحريض على اعتماد الحجة في تصحيح

المعلومات الخاطئة بمعلومة صائبة، ومنه وجوب التشجيع على قول الحق دون انحياز عاطفي كي يتمّ التمكن من اتخاذ قرارات موضوعية وبلوغ حلول مناسبة وغايات إنسانية. والهدف منه حث الأنا والآخر على التمسك بالحق والعمل على إحقاقه دون تردد مع التوازن في القول والفعل والسلوك، والغرض من ورائه: حث الأنا والآخر على ممارسة الديمقراطية في كل ما يتعلّق بهم من أمر. واستثمار قدراتهما فيما يحقّق لهما النُّقْلة من مستويات الأناية والانسحابية، إلى مستويات التطلعية والموضوعية.

والنّظرة الموضوعية تقول: بما أنّ الإنسان مقومّ قيمي متمركز على قول الحقّ وفعل الحقّ، إذن من يمتنع عن قول الحقّ وفعل الحقّ يتخلّى عن قيمة الموضوعية وقيمة الإنسانية من جوهره.

وعليه:

- الاعتراف بممارسة الحقوق وأداء الوجبات وحمل المسؤوليات لكلّ من الأنا والآخر يعزّز الموضوعية.

- الاعتراف بأنّ المواطنة حقّ عام، والعمل على تمكين المواطنين من حرية الاختيار والتعليم والعلاج والإقامة والتنقل على كفتي الميزان بين الناس، تعزّز الموضوعية.

- الاعتراف بحقّ التملك والعمل والإنتاج، يعزّز الموضوعية.

- الاعتراف بأنّ الرّعاية الاجتماعيّة تقدم للجميع دون تمييز حسب الحاجة، على المستوى الأسري والوطني والإنساني، يعزّز الموضوعيّة.
 - الاعتراف بأنّ الاختيار واتخاذ القرار وتنفيذه إلى المستوى الوطني مسؤوليّة عامّة، يعزّز الموضوعيّة.
 - الاعتراف بأنّ التجرد من الانحياز غير العادل، يحقّق العدل العام بين الناس ويحقّق الرضا لجميع الأطراف يعزّز الموضوعيّة.
 - الاعتراف بأنّ العودة للمصادر الطبيعيّة كالدين والعرف والقيم والعودة على الدساتير في التحكيم، يعزّز الموضوعيّة.
 - الاعتراف بأنّ ممارسة العدل بين الأنا والآخر قيمًا يعزّز الموضوعيّة.
 - الإيمان بأنّ الرّجل والمرأة والصحيح والمعاق أمام القانون متساوون يعزّز الموضوعيّة.
 - العمل على تقديم الأشياء على ما هي عليه "على حقيقتها" يعزّز الموضوعيّة.
- وفي المقابل: إنّ التمييز بين الأنا والآخر لا يؤدّي إلى بلوغ نتائج مرضية؛ ولهذا فتعزيز الموضوعيّة وجوبي بين الأنا والآخر.
- ولذا لا يمكن أن تتساوى قيمة الموضوعيّة مع قيمة الانحياز، إلا إذا تساوى الاستثناء مع القاعدة في دائرة الممكن المتوقّع والممكن غير المتوقّع.

ومع ذلك تتساوى الموضوعيّة مع الانحياز من حيث إنّ كلّ منهما حقيقة لا يمكن إنكارها. ويختلفان من حيث حجّة الموضوعيّة وحجّة الانحياز.

وعليه لا يجب أن ينسلخ الأنا عن دينه الحقّ الذي به يعتز ليقول عنه: الآخر موضوعي. ولا يجب أن يتخلى عن قيمه وفضائله الاجتماعيّة مسaire للآخر ليقال عنه بأنّه موضوعي. ولا يجب أن يتنازل عن التمسك بالأخلاق الإنسانيّة ليقول عنه الآخر: غير موضوعي؛ ولهذا الانحياز للحقّ خير حتى وإن رفضه البعض.

مبدأ

تصحيح المعلومة

مع أنّ كلمة المعلومة موجبة، فإنّ مفهومها فيه من الغموض ما فيه؛ من حيث هل المعلومة تكون على الصّواب (صائبة)، أم أنّها تكون على الخطاء (خاطئة)؟، ومن هنا فنحن مستهدفين تلك المعلومات الخاطئة بغاية تصحيحها بمعلومات صائبة.

والمعلومة متنوّعة المعاني والمفاهيم، ولها من الدلائل ما لها، وهي التي تؤسّس للمعرفة، وهي دائماً في حاجة للتقصّي والاختبار، ولا تعدّ مسلّمة إلاّ بعد التبيّن؛ ولهذا فكثير من المعلومات تحتاج إلى معلومات تصحّحها.

وتصحيح المعلومة الخاطئة يستوجب توفر معلومة صائبة، والمعلومة الصائبة تتطلب لسان حقّ لقولها، ومستمعًا منصتًا لها بكلّ اهتمام، وحكمًا بها يفصل بين الناس؛ ولذلك فالقاعدة المنطقية والعلمية تنصُّ على أنّ:

. المعلومة متأرجحة بين صائبة وخاطئة.

. المعلومة تصحّح بالمعلومة.

. المعلومة السالبة إنحرافية.

. المعلومة الموجبة بنائية.

. التصحيح وجوبي.

ولأنّ الانحراف نتاج معلومات خاطئة.

إذن: الإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة.

ولهذا وجب العلاج بتصحيح المعلومات التي جعلت من المنحرف منحرفًا؛ وإذا لم تُصحّح المعلومات الخاطئة، يصبح المجتمع مهددًا بتفشي الانحرافات فيه.

فالإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة؛ ولذلك ينبغي أن تُحلَّ المعلومات الصائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثم تُدعم المعلومات الصائبة بأخرى أكثر صوابًا حتى يتمّ تثبيت القول الصائب، والفعل الصائب،

والسلوك السليم الذي ينال التقبّل والتقدير من الغير، لكونه لم يكن مخالفاً للفضائل الخيرة والقيم الحميدة التي تُمجّد من قبل الناس.

وعليه: فالمعلومة الصّائبة بنائية؛ حيث احتواؤها للقيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني؛ ولذلك فالذات الإنسانية تُبنى بقيم المجتمع وفضائله التي تترسّخ في العقول والقلوب، وتتجسّد في السلوك والفعل، وعلى ضوءها تُبنى الشخصية المتطلّعة لما هو أفضل وأجود وأحسن، إذ الاستيعاب لكلّ مفيد ونافع.

ولأنّ المعلومة الصّائبة تحمل في مضمونها قيماً إنسانية؛ فهي التي تُمكن الإنسان من بلوغ المستوى القيمي الموضوعي، الذي يبلوغه تصبح شخصية الأفراد خالية من قيم التعصّب والانحياز بغير حقّ.

وفي المقابل المعلومة الخاطئة، لا تنشئ الشخصية البنائية، بل تؤدّي إلى ظهور الشخصية الانسحابية التي لا تصمد؛ فالشخصية الانسحابية هي التي تتخلّى عن بعض القيم التي يريد لها المجتمع أن تسود بين أفرادها وجماعاته، وباستمرار الشخصية الانسحابية في الانسحاب من قيم المجتمع وفضائله التي يرتضيها، تصل إلى المستوى الأناني، الذي فيه لا يفكر الفرد إلا في نفسه.

وعليه: فالفرق كبير بين من تشرّب معلومات صائبة، ومن تشرّب معلومات خاطئة؛ ولأنّ المعلومة الصّائبة ذات حُجّة (مصدق)؛ فهي الأقوى، ولأنّ المعلومة الخاطئة تفتقد للحجّة؛ فهي الأضعف؛ ولذا فهي لا

تصمد في أثناء المواجهة مع المعلومة الأصوب (الأقوى)، ولأنّ المعلومة الصائبة بنائية؛ فهي التي تصمد بقوة حجتها حتى تهزم المعلومة الخاطئة وتحلّ محلّها.

وعليه: فالقاعدة العلميّة تقول:

. الانحراف عن الانحراف السّالب يُعد عودة إلى القاعدة؛ ولذا فهو الموجب.

- الانحراف عن الانحراف الموجب يُعد خروجًا عن القاعدة؛ ولذا فهو السّالب.

. الانحراف السّالب يُعد موجبًا بالنسبة للمنحرفين (الخارجين عن قيم المجتمع وفضائله).

. الانحراف السّالب يُعد سالبًا بالنسبة إلى المتمسّكين بقيم المجتمع وفضائله الخيرة.

ومن هنا فالقاعدة المنطقيّة والعلميّة تعد تأسيسيّة لكلّ بناء، ومنطلقًا لكلّ هدف، ومرجعيّة قيمية لكلّ مجتمع؛ ولهذا تعد التربية على قيمها واجبة، ويعد إصلاح حال الأفراد وعلاجهم على قيمها الحميدة ضرورة اجتماعيّة وإنسانيّة؛ ولهذا فالإصلاح والعلاج واجب على المسؤولين والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وعلى التربويين وعلى الأطباء، وضرورة

للمريض والمنحرف عن القيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية، وكما هو ضرورة لهم فهو ضرورة لذويهم وللمجتمع الإنساني عامة.

ووفقاً لدائرة الممكن؛ فإنَّ الخروج عن القيم التي يرتضيها المجتمع متوقَّع، ولا ينبغي لنا الاستغراب بما أننا نتوقَّعه قبل حدوثه في أيِّ مجتمع من المجتمعات البشرية.

المعلومة تؤثر في المعتقد والفعل:

ولأنَّ المعلومة تؤثر في المعتقد والفعل؛ إذن فالتأثير السَّلب نتاج المعلومات الخاطئة، والتأثير الموجب نتاج المعلومات الصَّائبة.

فنحن بني الإنسان نتعلَّم بالمعلومة التي تشغل المساحة بين مُرسل ومستقبل، وبين منتج لها ومستخدميها، وبها يبلغ المختلفون الاتفاق، أو الخلاف؛ وهي العابرة للعقول والعابرة للحدود؛ ومن ثمَّ فهي لا تسجن، وإن سُجن أصحابها المصدِّرون أو الموردون لها.

ولأنَّ المعلومات هي التي تشكِّل آراءنا وقناعاتنا بما تحمله من حُجج وبراهين؛ فهي التي تشكِّل معتقداتنا أيضاً؛ ولذلك ستظل المعلومة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع سواء أكانت سالبة أم موجبة.

ولأنَّ كلَّ شيء ممكن ولا استغراب ولا يأس؛ إذن: وجب على النَّاس التبيّن قبل إصدار الأحكام، وعليهم بعدم المكابرة عن التصويب إن اكتشفوا أنَّهم كانوا من المخطئين، أو أنَّ خصمهم كان من المخطئين وقد

تبين. وعليهم دائماً بالمعرفة الواعية حتى لا تجرهم العاطفة وينقادوا وراءها إلى حيث ما لا يجب، وعليهم أن يميزوا بين المعلومات الصائبة والمعلومة الخاطئة؛ وذلك لأن:

- المعلومة الصائبة في دائرة المتوقع تُظهر القوّة البنائيّة والأخلاقيّة والإنسانيّة والإصلاحية والوقائيّة والعلاجية والاستثماريّة، وتُقدّم الحقائق هي كما هي، ويطرّب عليها الفعل المرضي الممكن من التسامح.

. المعلومة الخاطئة في دائرة المتوقع، تُظهر القوّة الهدامة، والمؤذية، والمؤلمة، ولا تُقدّم الحقائق هي كما هي عليه، فيطرّب عليها فعل الندم؛ ولهذا ينبغي للإنسان:

- أن يُميّز بين ما هو ظاهر، وما هو كامن.

- ألا يغفل عن الكبيرة ولا الصّغيرة في دائرة الممكن.

- ألا يستغرب الأقوال والأفعال والسلوكيات إذ كلّ شيء ممكن.

- أن يُدحض الحُجّة بالحُجّة.

- أن يحافظ على اتزانه وتوازنه أمام المعلومة الخاطئة وأمام الأفراد.

. ألا يستعجل بأية تصريحات في حالتي الفرح والألم؛ ففي حالة الفرح

قد يلتزم بأشياء وهو لا يستطيع الوفاء بها، وفي حالة الألم قد يصرّح بما لا يجب؛ ممّا يترتب على تصريحه ألم لاحق.

ولهذا ينبغي أن يكون العلاج للفكر المعوج الذي تشربته من تشربته من الناس وأثر في سلوكهم، فإذا تمت معالجة المعلومات والأفكار الخاطئة أو المنحرفة بمعلومات وأفكار سوية صائبة يتغير أصحاب الاتجاهات السلبية إلى الاتجاهات الموجبة، ومع أن أساس المعلومة الصواب، فإنّ الناس هم الذين حادوا بها عن مقاصدها ومراميها، ومن ثمّ أصبحت المعلومة المشوّهة من بعدهم هي السبب في المظالم والمكائد بين الناس، ممّا يجعل المعلومات الخاطئة التي تشربوها هي المسبب في ذلك، فلو تعلّمنا فكراً معوجاً ونحن لم نتيّن نقاط اعوجاجه؛ فإنّنا سنسلك سلوكاً معوجاً، وإذا تعلمنا معلومات صائبة بقوة الحجّة التي تحملها، تصبح معارفنا وسلوكياتنا صائبة؛ ولذا فمن أراد الإصلاح بين الناس فعليه بإصلاح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة⁴⁷.

مبدأ

حقّ المشاركة

المشاركة كونها قيمة فلا تكون إلاّ فيما يجب، وهذا يعني:

لا ينبغي المشاركة فيما يسيء للدين والأخلاق، ويسيء للغير وإن كانوا مختلفين معنا، ولا المشاركة في الأعمال الهدّامة، وما يفسد العلاقات ويفسد المعمار والإنتاج، ويخرب الأمن العام والخاص. وفي المقابل المشاركة

⁴⁷ عقيل حسين عقيل، العفو العام والمصالحة الوطنية، ص 162 . 176.

حقٌّ لكلِّ من له حقٌّ فيها سواء أكانت حقوق تستوجب الممارسة، أم واجبات تستوجب الأداء، أم مسؤوليات تستوجب أن تُحمل.

ولذا فحقُّ المشاركة ينبغي أن يكون مكفولاً ومُعترف به من قِبَل الجميع فما بالك بحق العملاء في المشاركة في تقرير مصيرهم وما يتعلّق بهم من أمور، ومن هنا فمبدأ حقِّ المشاركة في مهنة الخدمة الاجتماعيّة هو: (إقرار بأنّ تعزيز التعاون المهني والمشاركة الفعّالة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته، يُمكن من إظهار الأفكار والمهارات بتوازن، ويخلق شخصيّة اجتماعيّة متفاعلة وواعية بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ومسؤوليات، ويحقّق رضاءً اجتماعيّاً).

فالمشاركة قيمة ذات مفهوم استيعابي في دائرة الممكن، وفي مفهومها هذا تعد منقوصة الحيويّة؛ ولهذا فهي في حاجة للتّفعيل؛ لكي تصبح مبدأ عمليّاً قابلاً للممارسة، أي: إذا لم تُفعل لن تكون لها قيمة إلّا نظريّاً، بمعنى: لا تزيد عن كونها مفهومًا ليس إلّا.

ومن ثمّ فالمشاركة باب مفتوح على من له الحقّ وفقاً لقوانينها المنظمة، أي: وفقاً لرؤى المشاركين أو المنظرين لها من أصحاب الفكر والفلسفة والمنطق. أمّا تفعيلها يعني: إدخالها ميادين العمل والتجربة وفي أيّ مجال (سلطة أو ثروة، أو ملكيّة، أو علاقات اجتماعيّة)؛ ولهذا فتفعيل المشاركة يمكن من الممارسة الفعلية للسيادة وأساليب الأخذ بها سواء أكانت المشاركة في اتخاذ القرار أم تنفيذه أم متابعته، ويحفّز المشاركين (الأنا والآخر)

على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده . كما أنه يُحرّض على التعاون البناء الذي يُمكن من نيل التقدير والاحترام ويرسخ المكانة، وبخاصّة عندما تكون المشاركة الفعّالة لأجل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدم المشتركون عليه من عمل بنجاح، وهذا الأمر يتطلّب استشارة القوّة الداتّيّة للمشاركين بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها؛ لتقرير ما يروونه مناسباً لإشباع احتياجاتهم .

المشاركة حقّ لمن يتعلّق الأمر بهم:

وبما أنّ المشاركة حقّ لمن يتعلّق الأمر به مسلمة منطقية؛ إذن منطقياً حقّ المشاركة مبدأ لا ينبغي لنا إغفاله؛ ولأنّ أساس الوجود الاثنان (الذكر والأنثى) مصداقاً لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ⁴⁸، إذن: المشاركة أساس الوجود، ولأنّ الوجود متنوع؛ فالتنوع لا يكون إلّا مشاركة، ولذا يجب تفعيل المشاركة بما يناسب الحاجات المشتركة والمتطوّرة عبر التاريخ.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه؛ إذن فالمشاركة حقّ، ولأنّها حقّ، فلا ينبغي التنازل عنها أو الحرمان منها.

وعليه:

. لا تتنازل عن حقّك، وشارك الآخرين الذين لهم علاقة بأمرك.

⁴⁸ الذاريات 49.

. طالب بحقك، واعمل على إعادته إذا أخذ منك عنوة.

. اقبل أو ارفض من أجله.

. تفاعل من أجل حقك.

. نafs من أجله.

. تعلّم فالتعليم حقّ.

. اعمل فالعمل حقّ.

. انسحب إذا عرفت أنّ ما أقدمت على المشاركة فيه ليس من حقك،

أو أنّه سيؤدّي بك إلى الخسارة أو الهلاك.

. تطلّع فالتطلّع حقّ.

ولأنّ المشاركة تؤدّي إلى القوّة (الموحّدة)، والانفراد يؤدّي إلى الضعف

أو القوّة (المنفردة)، إذن: فتفعيل المشاركة ضرورة.

ولذا شارك الآخرين إذا أردت أن تزداد قوّة؛ أمّا إذا رغبت الضّعف،

فلن تجد لك مكاناً إلاّ منفرداً.

وإذا تساءل البعض:

ما معنى أنّ الشركاء أولى بتقرير مصيرهم؟

أقول:

. ألا ينوب عنهم أحد وهم قادرون على ممارسة ما يتعلق بهم من أمر.

. أنهم يمتلكون زمام أمرهم وهم أدرى به من غيرهم.

. أنهم وحدهم أولى بتحمّل مسؤولياتهم وما يترتب عليها من أعباء

جسام.

ولأنّ تفعيل المشاركة ضرورة، إذن: فالأخذ به واجب.

ولأنّ الإنسان قوّة في خلقه، ويراد له أن يكون قوّة، إذن: ليس له بدّ

إلاّ تفعيل المشاركة فيما من شأنه أن يسهم في إحداث التّقلّة الحضارية والثقافيّة علمًا وعمرانًا وأدبًا وفنًا.

ومن هنا فالمشاركة إساهم أو تحاصص في الانتماء أو الملكيّة أو

الأدوار أو الموقف الذي يتطلّب اتخاذًا عن إرادة، ويترتب على المشاركة

حقوق ينبغي لها أن تمارس، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي

أن يتمّ حملها وتحمل ما يترتب عليها من أعباء.

والمساهم هو من يشترك فيما يُساهم فيه، ليكون قابلاً لكلّ مترتب

على إسهامه سواء أكان المترتب ربّحًا أم خسارة؛ ولهذا المساهم وإن توقع

أو استهدف وأمل ربّحًا في أثناء مساهمته في الشيء القابل للمساهمة فيه

فإنّه في دائرة الممكن لا ينبغي أن يُعيّب عن عقله احتمالية التّعريض للمتوقع

ربّحًا ولغير المتوقع خسارة.

وعليه: فالقبول بالمشاركة يستوجب القبول بالأمرين (الريح والخسارة) حتى وإن كان أحدهما لا يؤمل في دائرة الممكن المتوقع ؛ ولهذا في معظم الأحيان تظهر الخسارة من دائرة الممكن غير المتوقع، مما يجعل المحللين والمشخصين والمفسرين للأحوال والقضايا والمشاكل والمواضيع والمواقف غير مستغربين؛ وذلك لمعرفةهم أنّ كل شيء في دائرة النسبية ممكن، وخير مثال على ذلك: قصة النبي يونس عليه الصلاة والسلام الذي لم يكن مستغرباً في مساهمته، مما جعله يقبل المساهمة دون تردد وهو راضٍ بما سينتج أو يترتب على مساهمته، قال تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ} ⁴⁹، أي: كما قبل يونس بالمساهمة من قبل كذلك كان قابلاً أن يكون من المدحضين، فدحض إلى مياه البحر وأعماقه لولا أن التقمه الحوت قبل أن يسقط في أعماق البحار مع المدحوضين المغرقين، قال تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ⁵⁰.

ولأنّ يونس عليه السلام كان قابلاً وراضياً بما وصلت إليه نتيجة المساهمة التي كان فيها من المساهمين فلا داع لأن يسقط من قبل الآخرين، بل عليه أن يقفز بنفسه من الفلك المشحون إلى المياه المتلاطمة النائرة

⁴⁹ الصافات 141.

⁵⁰ الصافات 142 . 144.

بالأمواج؛ ولهذا عندما همَّ يونس ليقفز كان الحوت على السَّرعَة المتزامنة
للقمه قبل أن يقع في المياه في أعماق البحر.

إذن: المساهمة لا تكون إلا عن إرادة حرّة مما يجعل المترتب عليها لا
يُرفض من قبل المساهمين أي: كلّ المترتب على المساهمة يستوجب القبول
مع كلّ الرضا.

والمساهمة قد تكون بالنفس والمال، وقد تكون بأحدهما وقد تكون
بما يملك عينياً، وفي كلّ الحالات هناك مترتب منتظر في دائرة الممكن
الموجب والسَّالب؛ فإن تحقّق الموجب كان الرضا متحقّقاً، وإن تحقّق
السَّالب كان التدم واللوم على النفس التي قبلت بالمساهمة؛ ومع ذلك لا
بدّ أن يكون القبول هو السائد بين المساهمين، وعليهم بالعمل الذي من
شأنه أن يُصلح ما أفسدته المساهمة إن استطاعوا، وإن لم يستطيعوا فما
عليهم إلا القبول والامتثال للأمر الواقع.

والمساهم إن ساهم مع الآخرين فيما يشاؤون ويشاء، يكون له نصيب
معهم بمقدار المساهمة، وهذا النصيب يجعل له حقوقاً معهم، وله واجبات
يجب ألا يتأخّر عن تأديتها كلّما طُلبت منه؛ ولذلك يترتب على المساهمة
أمران:

. حقّ يؤخذ، ويطلب به.

. واجب يؤدّى، ويلتزم به أو يلزم عليه.

وهناك من يرى أنّ المساهمة هي اقتراع فمن قَبِلَ بها قَبِلَ بإجراء القرعة أو المقارعة، ومع أنّ الفرق كبير بين المفاهيم الثلاثة إلا أنّها ذات علاقة من حيث المعنى الذي يُوَكِّد على ما تدلُّ عليه الكلمة، وهذا في كثير من الأحيان يتطابق مع المفهوم الذي هو وراء كلّ منها، ممّا جعل لكلّ مفهوم دلالة وخصوصيّة؛ ولذلك من حيث المفهوم نقول:

المساهمة: أن يشترك المشترك بجهد أو ماله أو جزء منه أو جزء ممّا يمتلك؛ لتكون له حصّة مع المتحصّين بالمساهمة المتفق عليها مسبقًا؛ ولهذا فالمساهمة لا تكون إلا على الاستطاعة وحسب الرّغبة وبكلّ إرادة دون إي إجبار، وتكون نتيجة المساهمة مؤدّية إلى التسليم وقبول الأمر الواقع؛ وبذلك تكون المساهمة مادّية (النّفس المال الملك) وفي هذا الأمر يكون حالها كحال الجهاد في سبيل الله بما تستطيع أن تجاهد ساهم جهادًا تنل خيرًا كثيرًا، وحالها كحال مساهمة يونس عليه السّلام، (فوزًا أو غرقًا)، ولكن حسابات علّام الغيوب تختلف؛ فيونس الذي قَبِلَ أن يكون من المدحّضين في البحر، وكان حقيقة ماثلة أمام أبصار المشحونين في الفُلك أنّ يونس مُلتقم في فم الحوت وظنوا أنّه قد لبث في بطنه إلى يوم يبعثون، ولكن علّام الغيوب أنقذه من الغرق بما سحّر له من حوت لينقذه ويلقيه إلى الشاطئ آية كبرى من آيات الله العظيمة.

ولهذا فالمقارعة في المفهوم الدّلالي تشير إلى وجود تحدٍّ بين المشتركين في المقارعة، ممّا يجعل للحجّة أهميّة في الإثبات أو الدّحض والنفي؛ ولذا

يكون في مفهوم المقارعة ما يؤدّي إلى المغالبة، ولا يكون الحظّ بها مرتبطاً، ونتيجتها لا تؤدّي إلى التسليم بقدر ما تؤدّي إلى المواجهة، وقد تكون المقارعة كلاميّة (حُجّة بحجّة) وقد تكون (قوة بقوة) مع تعدّد الأساليب والوسائل الممكنة من المغالبة.

فالقرعة القبول بالمشاركة دون أن تكون هناك ضرورة لما يمكن أن يُدفع مُسبقاً أو يمكن أن يساهم به، كما هو حال الذين أجروا القرعة على من يكفل مريم مصداقاً لقوله تعالى: { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ }⁵¹، وكذلك كأن تُجرى القرعة بين البعض لأجل فرز من تُعطى له الفرصة لقضاء فريضة الحجّ، وهذه القرعة لا تستوجب جهداً يُبذل في سبيلها، بل تتطلب أن يتقدّم المتقدّم كغيره من المتقدمين رغبة منهم لأداء فريضة الحجّ. وفي مُعظم الأحيان يرتبط الحظّ مع الذين تكون القرعة من صالحهم أو أتهم فازوا بها فوزاً محظوظاً، ومع ذلك وإن ارتبط الحظّ مع القرعة فإنّه لا يقتصر عليها؛ فكثير من الأعمال تكون نتائجهما للصّابرين ولأصحاب الحظّ العظيم مصداقاً لقوله تعالى: { وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }⁵² ونتيجة لأنّ الأعمال بالنيّات فإنّ الفوز بما هو عظيم لا يتحقّق إلاّ مع الذين لهم صفاء النيّة وطاعة النّفس مخافة من الله لا مخافة من غيره، ولهذا بشرّ الله الصّابرين أصحاب النوايا الخيرة والأعمال الصادقة بأنّ لهم

⁵¹ آل عمران 44.

⁵² فصلت 35.

من رَّبِّهِمْ رَحْمَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾⁵³.

ومع أنَّ للمشاركة والمساهمة تداعيات الوقوع في الخسارة مثل تداعيات الفوز والكسب وكلِّ ما من شأنه أن يحقق أرباحًا للمساهمين، فإنَّ البعض إنَّ تعرض إلى الخسارة أصبحت وجوههم عبوسة، وكأنَّهم لم يعرفوا حسابات المساهمة (ربح وخسارة).

ولذا؛ فإنَّ تفعيل المشاركة مبدأ قيميَّ يحفِّز على التعاون والتفاعل؛ والمشاركة قد تكون مشاركة خاصَّة غير مورثة، وقد تكون مشاركة ميراث، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾⁵⁴.

وهنا فالمشاركة في الميراث قد تكون على التساوي وقد لا تكون إذ لكلِّ نصيب في الميراث المتروك بوصيَّة أو بدوئها، ولكلِّ تفصيلاته، ولكن ما يهمننا هنا أن نعرف أنَّ الحياة مؤسَّسة على قاعدة المشاركة التي أساسها الخلق الزوجي؛ فالزوجيَّة قاعدة التكاثر النوعي لجميع المخلوقات: ﴿وَحَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾⁵⁵، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ

⁵³ البقرة 155 . 157.

⁵⁴ النساء 7.

⁵⁵ النبا 8.

تَذَكَّرُونَ} 56، فقولهُ (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ) نزلت مطلقه إذ لا شيء خلق إلا والزوجية أساسه، ولأنّ كلّ شيء مؤسس على الزوجية، إذن: كلّ شيء يشارك نوعه في الحياة تكاثراً وعنايةً ورعايةً، ولكلّ نوع خواصّه التي بها يتكاثر ويشترك في الصّفات والأعمال والسلوكيات.

ولأنّ الزوجيّة هي قاعدة تأسيس المشاركة بين الأنواع في الفطرة والمشاعر والعواطف والمودّة؛ فكانت المودّة على المستوى البشري قوّة ترابط ومشاركة بين بني الإنسان؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ 57.

وعليه: فالنّاس معولون على المشاركة جعلاً؛ ولهذا وجب تفعيل المشاركة في كلّ زمن وعصر، وبخاصّة أنّ الدين قد كفلها للنّاس كلّما اشترك النّاس في أمرٍ سواء أكان أمراً سياسياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً أم أيّ أمرٍ من الأمور التي لا ينبغي لها أن تكون وتسود إلاّ بدوي العلاقة، ومع أنّ المشاركة حقّ وفقاً للأمر المشترك بين من يتعلّق الأمر بهم، فإنّ البعض يجرم البعض الآخر تغييراً وإقصاءً وحتىّ قتلاً لكي ينفرد بالأمر كرّها.

56 الذاريات 49.

57 الروم 21.

مبدأ

الأهداف تُنجز

الإنجاز قيمة مرتبطة بالجهد الذي يبذل بغاية ومن ورائها هدف، ولهذا لا معنى للأهداف ما لم تكن قابلة للإنجاز، أي: ليس مهمًّا أن تحدّد لك هدفًا، بل المهم أن يكون الهدف الذي حدّدته قابل للإنجاز.

ومن هنا فالأهداف أولويات معرفيّة قابلة للإنجاز، ولا تكون إلاّ عن وضوح رؤية أو خطة أو استراتيجية، وتكمن مقاصد من ورائها، سواء أكانت مقاصد شخصيّة، أم وطنيّة، أم إنسانيّة، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنّما المدى الممتد من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات، والاتجاهات العلميّة والفكريّة إلاّ بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلاّ بوضوح رؤية من حدّدها.

فالأهداف هي ذلك المرجو إنجازا سواء أكان الإنجاز بحثا علميا أم عملا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة، لتكون مرشدة لراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانيات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلاّ بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناء رُقيًا، وبين الهادمين له انحدارا، ما لم يضع

الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتم نيلها. وفي هذا الشأن الأمر لا يزيد عن كونه أملا، وسيظل أملا، لأن الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا وإن اتفقنا في بعض منها، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} 58.

فالاختلاف الذي خلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوع المشبع للحاجات المتطورة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كل ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقا لما يجمع شمل المتفرّقين خصاما، ويحلّ تآزمتهم، ويشبع حاجاتهم المتطورة تحديًا وعدلا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سائحة؛

⁵⁸ هود 118، 119.

فالندم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها. ولهذا:

. حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

. وضح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

. فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

. ثق أنّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

. تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكن من التدبّر.

. إنجاز الأهداف يتطلّب جهدا يبذل برغبة.

. إنجاز الأهداف يتطلّب صبرا وعزيمة.

. إنجاز الأهداف يستدعي وعيا بأهميتها.

إنجاز الأهداف العظيمة يستوجب قبول تحدّي وتحديه.

ولهذا: وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملا، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، وإنجاز الأهداف، فرجات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أحرّتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة؛ ولهذا لا يمكن أن تبلغ الغايات العظام بلا أهداف والأغراض من ورائها حافز ودافع.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلمًا ومعرفة وإنتاجًا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أيّ مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصاديّة والمعرفية ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهمية المرجوة. وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلاّ من قبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوّلاً بأول.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلاّ من قبل القادرين على إنجازها.

. يعدّ تحديد الأهداف كسر فيما كان يظن أنّه صعبٌ لا يكسر.

. وبعد إنجاز أول الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. الأهداف العظيمة تؤسس وضحا إنها قابلة للإنجاز.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، ولكنه ضرورة لطبي
الهوة بين من كانت لهم أهداف والمستهدف منها؛ ولهذا فالأهداف ترتب
أولا بأول؛ ذلك لأن إنجازها متتالٍ ومتلاحق، وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقا
جديدة لصوغ أهداف جديدة لا تتولد إلا من بعد الإنجاز السابق للأهداف
السابقة عليها.

ومع أن البداية تعد نقطة الصعوبة، فإنها في النهاية لا تعد نقطة
الاستحالة؛ فالتعلم بداية تواجهه المصاعب كما تواجهه عملية التذكر والتدبر
والنفكر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقق،
والغايات تُبلغ، والمأمولات تُنال.

ولأجل ذلك ينبغي لنا أن نميز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وتحديد
الأغراض وتحقيقها، وتحديد الغايات وبلوغها، وتحديد المأمولات ونيلها؛
فالأهداف تحدّد لتنجز أولا بأول، وهي في دائرة الممكن المتوقع عندما
تكون متطورة ومتجددة لا تنتهي إلا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا
توقف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي لنا تحديد أهداف أهم من التي
أنجزت، ثم من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تنجز؛ فلا تكون ذات أهمية إلاّ ومن ورائها أغراض،
ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا لا ينبغي للأهداف أن تكون
غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلاّ لا داعي
لتحديدها، أي: كلّ ما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف
أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض
أعظم، وهكذا هي سبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن ورائها
مأمولا عظيما.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا
يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه
ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا: يكمن
الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعتها، ولهذا؛ فالأهداف ارتقاء:
ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية ومن ورائها مأمول.

ومن ثمّ، ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ
هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم
المكانة الشخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش
السعيد قيمة؛ ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلاّ البقاء على
الرّصيف بين حافة وشبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

- . لا ترسم السياسات إلا على أهداف واضحة ومحدّدة وبيّنة.
- . إنّ تحديد الأهداف ليس غاية في ذاته، بل الغاية إيجاد المنجز.
- . من يحدّد أهدافه غاية ليس له من نتيجة إلا الفشل.
- . إنجاز الأهداف يولّد أهدافا جديدة في عقول الجادّين.
- . كلّ هدف ينجز من ورائه غرض.
- . كلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية.
- . كلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولا يتمّ نيله.
- . كلّما أشبع نيل المأمول حاجة، فتح آفاقا جديدة أمام مأمولات أكثر نفعا.

. الأهداف تحدّد وفقا لمتغيرات محدّدة، ولكن لا تقفل على ذلك؛
 فهناك من الأهداف ما يحدّد في دائرة غير المتوقّع بما يمكن من إنجاز
 المفاجئ.

ولأنّ الأهداف تحدّد وتنجز، فلا ينبغي لها أن تكون مقفلة أمام
 المفاجئ النافع، أي: ينبغي أن تضبط دلالة ومعنى، ولا تكون مقفلة أمام
 ما يتيسّر أمامك من خوارق.

إنّ إنجاز الأهداف أولا بأول وبسرعة لا تسرّع يصحبها، يُمكن من
 خوض المنافسات والفوز فيها؛ ولهذا؛ فكلّما أنجز هدف، من ورائه غرض،

من ورائه غاية، يتم اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدنيا لا غاية من ورائها إلا رتق الأرض بالسّماء رفعة. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحققت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين قمّة.

ولأجل إنجاز الأهداف وبلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهمّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب نيّله من مأمولات.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ومأمول من بعده مأمولات، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين

البناء رُقيًا، وبين الهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز.

مبدأ

تدبُّر الحاضر

التدبُّر مع أنه قيمة فإنَّه لا يكون إلا عن حيويَّة تدير الأمر الذي يستوجب حُسن التدبُّر، ومع أنَّ التدبُّر لا يكون إلا في ساعته، فإنَّه لا يكون إلا من أجل المستقبل قريبا كان أم بعيدا؛ ولهذا فالحاضر تدبُّرًا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطًا وعملاً حتى يعيشه وجودًا كما يأمله، ومن هنا فالتدبُّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتخذ التدابير الممكنة من إيجاد معالجات لأيِّ طارئٍ فالتدبُّر دراية عقلية يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسة واقتصادا وعِلما ومعرفة، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوِّرة بمشبعات مُرضية وفقا للفرضيات التي تأسَّست عليها؛ ممَّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلة، أو حلِّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزَّمن الحاضر دون أن تترك أثرا سلبيا.

ويتَّسع التدبُّر ارتقاءً ليكون حضوره ملبيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلاَّ أنه لا يكون حلًّا نهائيًا؛ فكلَّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولاً دائمة، لكنَّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكَّ تمثِّل

الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنّ التدبُّر وإن كان آنيا إلاّ أنّه يفتح مدارك الإنسان رُقياً في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثلاً لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكّلة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائياً، بل وقتياً من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبُّر مثلاً حاصلاً بالكيفيّة الآنيّة ما حصل في تشيلي لعمال المناجم بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظُّلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السُّلطات التشيليّة إلاّ بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضراً بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن التدبُّر، فأدوات النّجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عمليّة الإنقاذ، وهناك استعملت في عمليّة الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليات إنقاذ العمال.

فما كان من الخوف إلا أن يكون حاضرا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ
فالبداية تدبّر كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يتقون
على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثانية؛
فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل
إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان
في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطة وحذرا لم تكن واحدة
بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوقّرة فيها تدبّر كانت
خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ
سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرا
عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة
العمال بما فيها النظارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

ويّسع التدبّر ليكون حضوره ملبّيا أو محتويا للأحداث الحاصلة إلاّ
أنّه لا يكون حلاّ نهائيا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرّر الحلّ نفسه، ولذا أنّ
كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلوّلا دائميّة، لكنّها في وقتها
قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة،
كما أنّ التدبّر وإن كان آنيا إلاّ أنّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن
حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة
ومكتسبة بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلا ومنتما لهذه
الافتراضات.

ويسهم الحلّ الآني تدبّراً في خلق فروض متعدّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلٍ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلٍ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمرارية حقيقية تكون رافدة للعملية المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عملية نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلاً ومؤثراً.

وعليه تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها كي تشغل حيزاً واضحاً في هذه المساحة التي تتسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّراً غير

منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب.

وعليه:

. تدبّر الحاضر هو تدبّر إشباع حاجات وليس تدبّر زمن.

. حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.

. حُسن التدبّر يجوّد المنتج.

. حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من صناعة المستقبل.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إحداث الثّقلة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. تدبّر الحاضر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إيجاد الحلول.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. تدبّر الحاضر يمكّن من بلوغ الغايات.

. تدبّر الحاضر يحقّز على نيل المأمول.

إذن يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلا حاضراً، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنية التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية، لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تراول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه كونها تابعة للخوف بوصفه المانع لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقاً لما هو ممكن.

وهنا يباشر التدبّر وجوده من خلال الارتقاء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلًا بكيفيّة متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرًا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبّيًا للواقع، ويكون الزّمن مفتوحًا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملاً.

والإنسان في حاضره يبحث عن سبل كثيرة يريد من خلالها الوصول إلى مبتغاه تدبّرًا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبّر موجّهًا للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلًا وحدوده يمكن تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل

وللتمثّل، إلّا أنّ غير المتوقَّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرا في إيجاد افتراضات مستمّرة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبيًا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب، ذلك أنّ التدبّر يمرّ دائما بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو⁵⁹.

وعليه فإنّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقا. ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة هي:

. التواصل مع التّاريخ.

. تقبُّل الآخرين.

. التواصل مع الآخر.

. التواصل مع القدوة.

. التطلّع للمستقبل.

⁵⁹ عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

. العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

. عدم التواصل مع التاريخ.

. عدم تقبل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

. عدم التطلع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفتين ذاكرة العملاء.

. بين لهم نقاط الضعف التي شوّهت ذاكرتهم وطمستها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

. اغرس فيهم حب الآخر.

. حفّزهم على التطلّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكنهم من المشاركة التي تُيسّر لهم النُّقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذاكرة تُصنع بقوة الإرادة وقوة العزيمة التي تخلق شخصية قوية متحدية للصعاب؛ فالشخصية القوية هي التي لا تغفل عن معطيات الزمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي، كي تصنع مستقبلا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرة كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفتين الذاكرة وصناعة المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيواجهون بغير المتوقّع، ولذا تُفطن الذاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

. التواصل مع الفضائل الخيرة.

. التواصل مع القيم الحميدة.

. التواصل مع المعلومة المستفزة.

. التواصل مع المختلف .

. الالتفات إلى التاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات .

. التواصل مع أهل القدوة الحسنة .

. التطلع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة .

. قبول التحدي .

وعليه:

فحسن التدبر يمكن من التواصل مع التاريخ ويصنع الذاكرة، كما أنه
يمكن من التواصل مع المستقبل ويحقق المأمول .

ومن هنا يصبح التدبر وحسن إدارته ممكناً من إحداث النقلة، وتحقيق
لرفعة المأمولة. ولذلك يجب على إخصائي التنمية البشرية والخدمة
الاجتماعية والرعاية النفسية إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا
يغفلوا عن القواعد المهنية التي تستوجب:

. تقبل العملاء كما هم .

. البدء معهم من حيث هم .

. الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه .

وهذه لن تتحقق إلا بمراعاة الآتي:

. تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهم ظروفهم الخاصة
والعامّة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات
تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حملها.

. استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحييز
لطرف على حساب آخر.

. تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيمياً وثقافياً وحضارياً، في
ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.
وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزمن اجتماعياً
وإنسانياً.

وبما أنّ ما يُقدّر اجتماعياً وإنسانياً، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّراً.
إذن على الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وإخصائي التنمية البشرية
الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسابهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو
الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقاً لأولوياتها وأهميتها بالنسبة
لكلّ منهم.

. أن يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيون أنّها تتعارض في البدائل القيميّة المقدّرة اجتماعياً أو إنسانياً.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

بناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنية للتنمية البشريّة والخدمة الاجتماعيّة على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيّات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافياً ومعرفياً مع الأفراد والجماعات، لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعيّة والإنسانيّة التي حادوا عنها بنسب متفاوتة.

. العمل على تمكين العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعيّة، دون أن يغضّوا النظر عن أهمية قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصة) حتى لا يُخَلِّقوا في الهواء، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

إذن ينبغي على كلِّ فرد وكلِّ جماعة وكلِّ أمة أن يتدبّروا أمورهم وإلاّ سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقق النقلة.

. تفهّم وافهم لتمكن من معرفة الأسباب.

وبما أنّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوة الممكنة من بلوغه
(الممكنة من تحقيق النقلة).

إذن: القوّة المجمّعة في الزمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي؛ ولذا
يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي
تنصهر فيها الأفكار تخطيطاً بين متوقّع وغير متوقّع.

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمع قواك لتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذاكرة وما يمكن أن

تستقرأه من الغير حتى تتمكن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

. اتصل وتواصل وثق أنّ الخبرة لا تستمد إلا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنّافع حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما

يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على

حساب قيم مجتمعتك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس بالمنافسة الشريفة تصنع الرموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة

للنجاح والتفوّق.

. استوعب، تذكّر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر، لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُّقْلة بعد حُسن تدبّر⁶⁰.

مبدأ

الأغراض تتحقّق

الأغراض جمع غرض وهو ما يُضمّر في النَّفس، ولا غرض إلاّ والمأمول من ورائه دافعاً له بغاية بلوغه ونيله، ومن ثمّ فالغرض ما في النَّفس من مقصد تجاه الآخر، أو تجاه الباعث، أو تجاه الغاية المأمولة، وهو المخفي وراء إنجاز الهدف، أي: وراء كلّ هدف غرض (قصد) لا يعرفه إلاّ من حدّد الهدف لنفسه أو للآخرين.

ومع أنّ الغرض لا يُعلن عنه، ولا يطلب تحديده كما هو حال الهدف، ولكنّه بالنسبة إلى من يتعلّق الأمر به واضح وجلي، فالباحث العلمي لا يمكن أن يُقدّم على تناول موضوع بحثه إلاّ بعد أن يحدد أهدافه البحثية بكلّ وضوح، وفي المقابل لا أحد يسأله عن غرضه (القصد) من وراء اختياره وتناوله لموضوع البحث أو مشكلته الدراسية؛ فهذا الأمر يخصّه وحده ولا دخل لغيره فيه.

⁶⁰ عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م،

ص 213 – 227.

فالغرض لا وجود له في ميادين المشاهدة والملاحظ، بل وجوده ضمني مخفي في نفس الباحث، ولكنّه مترتب على الهدف الذي كلّما أنجز استشعر الباحث بتحقيق غرضه، فالغرض أثر تحقيقه معنويٌّ؛ أمّا الهدف فأثر إنجازه ماديٌّ.

ولأجل ذلك ينبغي لنا أن نغوص في عقولنا تدبراً حتى نتميّر بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها، وبين تحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد تفكيراً قبل أن تصاغ أهدافاً قابلة للإنجاز، وهي في دائرة الممكن المتوقع لا تنتهي إلاّ بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي ارتقاء أن يتمّ التفكير في أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ التفكير من بعدها في أهداف أعظم، وهذه من سبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلاّ ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة؛ ولهذا لا ينبغي لأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنّ قاعدة التفكير في تحديد الأهداف مؤسّسة على التفكير في المنجز قبل أن ينجز، ثمّ التفكير في كيفية إنجازها، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفاً ينبغي لهم أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن وراء الغايات مأمولٌ.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقَّع، البعض يحدِّد أهدافه، ولكنّه لا يفكّر في كيفية إنجازها ولا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية، وكذلك هناك من يحدِّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا فالأهداف ارتقاء: ينبغي لها أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقَّع هناك من يحدِّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة؛ إذ لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين هم يدركون أنّ السبيل إلى النّجاح هو: التفكير في كلّ شيء يدفع ويحفّز على الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيّة، أو الوطنية، أو الإنسانيّة، أو يمسّ معتقدا دينيا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فلا يفكّر فيما يجب؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضلّلين التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير محتقّق.

ومع أنّ للألم أوجاعا، وللتأزّم أوجاعا، ولكن أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فالآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن

سامحك من أجمرت في حقّه؛ ولذلك وجب أخذ الحبيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي إنّ نار الحقد تحرق أوّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فإنّ الحقد يُلهي الحاقد من بني آدم عن نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو في حاجة لمن يطفئ عنه النّار التي يحرق بها نفسه؛ ومن ثمّ فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنّ الجهل والحقد والظلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلف، والانحدار، والسفلية المؤلمة، وفي المقابل الشعوب ترتقي علما ومعرفة وتسامحا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلاما، والسّماء بحثا وارتقاء.

فبنو آدم بلا أغراض قابلة للتحقق لا يعدون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل، فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث الثّقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك فلا ينبغي لبني آدم أن يكون سمّاعيون

فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاضاً، وعليهم بالتدبّر تحليلاً وتفسيراً وتخطيطاً وسلوكاً وعملاً، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب؛ حتى يتمكنوا من الارتقاء وفقاً لما لهم من أغراض بناءة من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا؛ فهم يفكّرون والأمل لا يفارقهم بغاية العيش في ذلك التّعيم المنبئ عنه، ولأجل ذلك فمن آمن منهم يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظلّ فرسه على قائمة الانتظار ما بقي حيّاً.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، لهم أغراض فيها فيصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك، المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعاً وتمدّداً.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم، فقد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار الكون؛ ولذا، فلم لا تفكّرون بموضوعية، وتتوقفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من التفكير الممكن من المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يمكن من الارتقاء من أجل بني آدم (النّاس جميعا). فإن كنتم أهل موضوعية؛ فلا يليق أن تتجاهلوا كتابا يملؤه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية وراء آية؛ آملا أن تنهذب أغراضكم من أخذ المواقف منه بأحكام مسبقة، إلى الأخذ بالبحث فيه لما فيه من مقاصد تجعل لكم منه مقصدا يعود بكم إلى تلك المقاصد مصلحين.

ولهذا فلا ارتقاء لبني آدم إلا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلا الانحدار على بلاطة الدّنيا.

ومن ثمّ فالارتقاء بالنسبة إلى بني آدم غرض قابل لأن يتحقّق ومن بعده يتمّ بلوغ الغايات ونيل المأمول، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلا بمقارنة بين العلية والدّنيا؛ فالعلية هي السّماء، وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمّا الدّنيا؛ فهي: الأرض، وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة، وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه تفكيرا بين التّخيير تارة،

والتسيير تارة أخرى، فالتخيير: (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحاً أو تعمل طالحاً، تُصدِّق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمّا التسيير: فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قَمّة، هو ما يمكن بني آدم من تحقيق الأغراض والعيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزّائلة) وما يمكنهم من تحقيق الغرض والعيش السّعيد في الحياة العلية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي له أن يعيش والأمل لا يفارقه، فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزّائلة (الحياة المنقوصة) إذ الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب تفكيراً واعياً كما تتطلب من بعده عملاً مبدعاً ومنتجاً بهدف النهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) والفوز بها نعيماً مأمولاً.

فيجب التفكير في كلّ شيء ولا شيء، ولا سقف ولا موانع توضع أمام الفكر الإنساني، ثمّ يجب من بعد ذلك الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود؛ ذلك لأنّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم. ولهذا، فلا ينبغي لبني آدم أن يرتضوا بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم، لما وجد الفقر مكاناً له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعاً؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك فالغنى رحمةٌ والفقر أزمةٌ ومواجه، ولأنّهما كذلك، وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب ولا يقصرون أغراضهم على ما يشبع حاجاتهم، بل ينبغي لهم أن يعيدوا صياغتها بما يشمل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاءً.

فالغنى ارتقاء حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ؛ بل الفقر أوجده أسباب وعلل ينبغي لها أن تزال، أمّا العجزة والقصر فحقوق عيشتهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان ذووهم يعيشون اتكالا على الغير فالعيب لا شكّ أنّه سيلاحقهم ومن ورائهم سيلاحق من هم مسؤولون عن إدارة الدّولة.

إذن: فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة إذ لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمل مسؤولياته، وفي المقابل يحدث الانحدار والنزول سُفلية لمن يتخلّى عمّا يجب التمسك به حقًا وواجبا ومسؤولية.

ولذلك، ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الراقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرفيع الرغد يجب أن يفكروا فيما هو أرفع وأرغد منه، ومن هنا: تتغيّر وتتطوّر وترشد أغراضهم نفسيا واقتصاديا واجتماعيا إلى ما يمكن من ترسيخ كرامة الإنسان.

مبدأ

الغايات تُبلغ

الغاية ما في النَّفس، وتأمل أن تناله أو تفوز به، ولهذا فإنّها تعمل ما في وسعها بغاية بلوغه؛ ومن ثمّ فالغايات لا تُبلغ إلا بالعمل الجاد، والغاية نتاج الفكرة بعد استقراء واقع، وهي لا تكون إلا مترتبة على تحقيق غرض مترتب على إنجاز هدف، أي: لو لم يرسم الإنسان أهدافا له، ويقدم على إنجازها، فلا يُمكن أن تتحقق له أغراضا، وهذا يعني: لو لم تكن للإنسان أغراض معينة وراء الأهداف (سابقة عليها)، ما كانت له أهداف واضحة محدّدة، وفي الوقت ذاته لو لم تكن له غايات بعيدة المنال، ما كنت له أغراض قابلة للتحقق.

إذن: الغايات بعيدة المنال مولود الفكرة أوّلا، ثمّ الأغراض القابلة للتحقق ثانيا، ثمّ الأهداف القابلة للإنجاز ثالثا، هكذا الفكرة تولد الفكرة، أمّا من حيث التطبيق فالأهداف أوّلا، ثمّ الأغراض تتحقق، ومن بعدها الغايات تُبلغ.

ومع أنّ الغايات بعيدة المنال تبلغ، لكنّها لم تكن النهاية كما يظن البعض، بل من وراء الغايات البعيدة مأمولات لا بدّ أن يتمّ نيلها. وهكذا مبادئ تحدي الصّعب تترتب وتختلف من حيث المفهوم والدلالة والمعنى. ولتبيان ذلك، أقول:

الغرض تدفعه الفكرة رغبة ومطلبا تجاه ما يحقّق الارتقاء، أمّا الغاية فتدفعها الفكرة بما يحقّق المكانة والمنزلة، أي: إنّ في الغاية الطموح يتمدّد إلى نيل المكانة رفعة.

وعليه فالغاية هي: ذلك الشيء البعيد الممكن من بلوغ المأمول، ولكن بلوغ المأمول لا يعني نيله، فعلى سبيل المثال: عندما يكون هدفك الحصول على المؤهل العلمي للدكتوراه، فلا بدّ لك من التعليم حتى تتخرّج، وحينها يصبح هدفك قد أنجز، والسؤال: لماذا أنجزت هذا الهدف عزيزة وإصرارا؟ فالإجابة عنه تُظهر الغرض الذي لا يعرفه إلا من أنجز هدفه بالحصول على الدكتوراه جدارة، أي: أنّ الغرض لا يكون إلا مختبئا خلف الهدف المنجز، وليكن افتراضا: أنّه بغرض الحصول على فرصة عمل ذات دخلٍ لائق جدّا. هذه الإجابة المفترضة تتطلّب طرح سؤال آخر: وما الغاية

التي وراء حصولك على فرصة عمل مُجدية الدخل ارتقاء؟ الإجابة هي الأخرى لا يعرفها إلا الذي أنجز هدفه وأوضح غرضه، ولتكن افتراضاً: الترقى في دواليب الدولة حتى بلوغ المستويات القيميّة الممكنة من بلوغ المكانة، أي إنّه أصبح على أعتاب نيل المكانة، ولكن لم ينالها بعد (إنّها مرحلة الانتظار أقدمية أو زمناً). ومن ثمّ يولد سؤال آخر: وما هو المأمول؟ أقول نيل المكانة وليس بلوغها والتوقف دونها كما هو حال الغاية التي تمكّن أصحابها من بلوغها دون أن تمكّنهم من نيلها، ولهذا فنيل المأمول مبدأ من مبادئ تحدي الصعاب سيتم تناوله والبحث في مفهومه وتمييزه عمّا سبقه من مبادئ متحدي للصعاب.

والغاية مع أنّها تُبلغ لكنّها لا تدرك إلا من قبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفاً مشاهداً، بل هي ذلك المجرد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يُمكن من بلوغ المأمول، أي: إنّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضمير، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدّ له أن يحدّد أهداف بحثه أولاً بأول، حتى يتمّ اعتمادها من قبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض الباحث وغاياته فهي من وراء نيّله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلا ممن يعلمها سرّاً وجهراً، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلاّ العليم المطلق؛ فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن؛ فلا تدرك إلاّ من خارجها (من قبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق: {وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} ⁶¹.

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّموات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} ⁶² وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

⁶¹ الذاريات 47.

⁶² الأنبياء 104.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون بالرغم من خلافهم على خلق الكون، لكنهم يتفقون على أنه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلا النهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأن الغاية من ورائها مأمول، أما النهاية فمن ورائها العدم، أي إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائماً تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلب حُسن تدبّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكن من بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه، أو الفوز به شيئاً بعد أن كان مجرد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكن أصحابها من بلوغ المأمول؛ ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملاً حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول أو كيف ينال شيء منه، أو كيف يمكن أن يتم الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضاً بعد أن يتم بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبي للّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمه العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفية بها يتم التعامل معه أو التمكن منه أخذاً؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعاً للرغبة أو الشهوة أو الحاجة المتنوعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محددة وهي السفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقق له هذا السفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تم بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). مما يجعل لمن كانت له غاية السفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله، وأن يعمل عليه حتى يتم نيله أو الفوز به وفقاً للجهد الموضوعي. ولهذا؛ فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تُبلغ، ومن بعدها يتم نيل المأمول جهداً مع قبول تحدي الصعاب وصبراً لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكاناً ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تُبلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلا تحديًا؛ فعليك بالتحدي الذي يمكنك منها تيسيرا.
. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، ولكن الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طي الهوة بين من يضمّر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكن من تفحص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ، ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئًا، بل الغاية بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه عملا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسرًا.

. الغاية تُمكن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته؛ فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتم نيلها، بل نيل الشيء لا يؤخذ إلا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتم نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلا مجرد أمل.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبول تحدي الصّعب.

. صبرٌ لا إحباط من بعده.

. ثقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود وإن كانت الصّعب تصاحبه مؤقّتًا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد

بلوغها.

. عمل مؤسّس على التفهّم والتبيّن إذ لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا أنّهم سيبلغون السّماء

ارتقاء كلّما عملوا وفقّ غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا

بدّ من سيادة الفضائل الخيرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا واحترامًا،

وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع الناس

من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك ينبغي للإنسان أن تكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي

للغايات التي بلغت أن يكون وراءها غايات أعظم من تلك التي قد بلغت

وحققت الاطمئنان لآملها.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدوافع، ومثيرة الحوافز النفسيّة والذهنيّة
والعاطفيّة بقوة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع
وغير المتوقّع، والإنسان بلا غايات هو إنسان بلا آمال، ومن ثمّ؛ فلن يكون
في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة.

وعليه:

فالغاية هي ذلك الشيء البعيد الممكن من نيل المأمول، وهي تُبلغ
عملا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصّعب بعد
مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ لكنّها لا تدرك إلّا من قبل صاحبها الذي يأمل
بلوغها؛ فهي لم تكن هدفا مشاهدا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا
يشاهد، وهنا يتماثل مفهومها مع مفهوم الأمل الذي هو الآخر يدرك ولا
يشاهد.

ولهذا فالغايات والآمال لا تكون كالأهداف التي تحدّد بوضوح، بل
هي في عقل وضمير الضامر والآمل، الذي وحده يعرف ماذا يريد غاية؟
وماذا يريد أملا؟

ولذلك يتضح التمييز بين الغرض والغاية والأمل؛ فالغرض اشتهاة
متأرجح بين الإقدام والاستمرار والتوقّف أو الانسحاب ممّا يجعل الغارض
غير قادرٍ على الصّمود.

والغاية حيوية ذهنية أو قلبية تُحفّز على العمل وتمكّن من بلوغ المأمول
ولكنّها لا تمكّن من نيّله.

أمّا الأمل: فهو الحيوية المثلى التي تمتلئ رغبة وحرصاً على نيل المأمول
تماماً.

كلّ الذي سبق ذكره لا يخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع،
أمّا الخارج عن الدائرة فسره علم غيب، لا يعلمه إلاّ العليم المطلق الذي
يعلم ما في الدائرة وما في خارجها؛ ولهذا فالإنسان لا يمكنه معرفة سرّ
التمدّد الكوني المتجاوزة لدائرة الممكن، ولكنّه يعلم أنّه يتمدّد: {وَالسَّمَاءُ
بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} 63.

وعليه: فالهدف والغرض والغاية والأمل لا مكان لها إلاّ في دائرة
الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا خارج الدائرة فهي أسرار لا يعلمها إلاّ الله
تعالى.

ولذا يفهم من الآية السابقة: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد
كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو
الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّموات
والأراضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

63 الذاريات 47.

وهو الذي بيده نهاية الكون: { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ }⁶⁴ وهو الخلاق الذي خلقه لن يتوقف، بل يزداد سرعة واتساعا.

ومن ثمّ فالغاية قابلة للتجاوز، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، ولأنّ الغاية تُمكن من بلوغ المأمول، فهي لم تكن المأمولة، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟، أو كيف يمكن أن يتم الغوص في أغواره؟ هنا يصبح الأمر حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضا بعد أن يتم بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبي للرجبة أو المقصد أو الطلب.

وعليه:

. الغاية تبلغ، والأمل يتمّ نيّله مأمولا.

. الغايات يسبقها غرض وهي تسبق الأمل.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، ولكن الشيء المراد

بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيبي

الهوة بين من يضمّر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه؛ ليصبح إجابة

مشبعة لأملٍ سابق.

. بلوغ الغاية يُمكن من فتح الطريق أمام الآمل وأمله في نيل المأمول.

⁶⁴ لأنبياء 104.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئاً، بل الغاية بلوغ الشّيء
ليكون من بعد بلوغه عملاً يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسراً وفقاً
لأملٍ سابقٍ؛ ولهذا فالشّيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ
نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلاّ من بعدها، فينبغي للإنسان أن يولّد في
نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن
قبل نيله إلاّ مجرد أمل.

إذن: بلوغ الغايات ونيل المأمول يستوجب:

. وضوح الغاية والأمل.

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبول تحدّي الصّعب.

. صبر لا إحباط من بعده.

. ثقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود وإن كانت الصّعب تصاحبه مؤقّتاً.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها والآمال المأمول نيلها.

ولذا: فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنهم سيبلغون السماء ارتقاء كلما عملوا وفقا لغايات يتم بلوغها، وآمال يتم نيلها.

مبدأ

نيل المأمول

المأمول: ما تأمل النفس أن تتبوَّءه رفعة ومكانة، وهو ما لم يكن مستحيلا حتى وإن كانت السبل المؤدِّية إلى نيله صعبة.

والمأمول ليس خيالا، بل الممكن نيله أو الفوز به في دائرة المتوقع، وتصاغ الأهداف من أجله فتُنجز، وتحدّد الأغراض في سبيله فتتحقّق، وتضمّر الغايات من أجله فتُبلغ، ومن ثمّ يتيسّر للمنال فيتم نيله.

إنّ ذلك الشيء المرتقب الذي لم يكن مجهولا بالنسبة إلى من يأمله، إنّّه مولود الأمل فكرة ورغبة ومطلبا، بل وحاجة لإشباع حاجة؛ ولهذا يتوق إليه باشتياق وينتظر وقت نيله بأملٍ لا يفارق.

وعليه:

فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّّه مولود الفكر فهو للأملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية،

وحرصا وعملا جادا. تحشد الإمكانيات وتبذل الجهود من أجل بلوغه ثم نيّله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائما في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظم والعمل الجاد؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا فلا داعي للعمل؛ فهو المتوقع الذي حُددت الأهداف من أجله، ووضّحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدية إلى نيّله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضا لم يكن المرغبي؛ فالمرغبي لا سبيل لبلوغه إلا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلاّ لله تعالى، إنّه الاعتماد على النفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيّله: (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا) فالفلاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملا.

وعليه:

الأمل يحرك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحديّ الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحديّ، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني فقدان العزيمة (تصميماً وإصراراً) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشتري، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثمّ ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنّ الصّعب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلا خلقا
أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أن يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان
لو لم يفكر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما وُلد من المشاهد فكرة.
المأمول يتعدّد ويتنوّع وفقا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلا عن
إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصًا وفقا
للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامًا كونه مأمولا عظيما، وكلّ
مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرياسة الدولة مأمولة عند
الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن
يكون رئيس للبلد إلا فائزًا واحدًا؛ ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور
والبعض قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن
العلة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها
أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر
فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنه عام، لكنّه لا يكون
على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنّها مأمول
عام، فإنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلا خاصًا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة،
مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا

مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: { يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ }⁶⁵.

ولهذا فالجنة مأمول ولم تكن أملا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنّ المأمول عام (الجنة)، فإنّه لا يتم نيله إلاّ بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازي بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامًا والمطلب أيضا عامًا فالمثال الذي يمكن سوجه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلاّ تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبًا عامًا؛ ولا أمل للشعب كلّهُ إلاّ تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنّ المأمول جمعياً والنوايا فردية؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنّ تأديتها لا يؤسّس إلاّ على النية، وهذه لا تكون إلاّ فردية وكأنّ الفرد حاج بمفرده، فينوي

⁶⁵ الأنعام 135.

بنفسه حجًا، ثم يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج
الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذا المثال؟

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعداداً
وتأهباً حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.
والآمل: المسلم المقدم على أداء فريضة الحج.
أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ فإنّه يعد عملاً يجب
القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدائم. أي إنّ
المسلمين يميّزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة
والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد
وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا
يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل
فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي
ولا يتعفن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها التنتنة.

وعليه: فإنَّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه، ليتم نيّله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبياً أم مطلقاً.

المأمول لا يكون إلّا معلوماً، والقصد إليه ثابت، وإن أخذ العمر كلّهُ، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيّله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيّله وكأنّه كان غير متوقّع بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالاً مجرّداً.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيّله والفوز به.

. يفتح آفاقاً جديدةً أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أن يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفص غاية.

. أن يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جنباً.

. أن يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا؛ كي لا تتسع دوائر التّبّع.

ومن ثمّ فالأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيّله، والآمال هي المرجوة بلوغاً ثم نيلاً، سواء أكانت بحثاً علمياً أم عملاً أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدّد لها الأهداف لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانيات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علماً أو معرفة أو بناء وإعماراً وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافاً وخلافاً لن ينتهي بين البناء أملاً، والهادمين له انحداراً ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافاً مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيّلتها.

فالاختلاف الذي خُلِقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب

أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقا لمأمول مشترك يجمع شمل المتفرّقين خصاما، ويحلّ تآزماهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا ومنزلة.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي لنا الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف ارتقاء ومكانة، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه الندم؛ فالندم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سائحة فالأمل الرّفيح يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد المأمولات مثل تحديد الأهداف يُمكن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها. ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى نيل المأمول.

. تحديد المأمول يمكن من التدبّر.

. وراء كلّ مأمول أمل.

. المأمولات لا تُنال إلا بالعمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول؛ فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلمًا ومعرفة وإنتاجًا وحرقة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصاديّة والمعرفيّة ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهدافًا قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لم يتمكن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهمية المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها
حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تصنع إلا من قبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلا آمل وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي
المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلا من قبل القادرين على نيلها أو الفوز

بها.

. يعدّ تحديد الآمال خرقاً لما كان يظنّ أنّه صعب المنال.

. يعدّ إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل

والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقاً جديدةً لتوليد آمال جديدة
لم تتولّد إلا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنّ في البداية تكون الصّعوبة، فإنّ في النّهاية لا تعدّ استحالة؛

فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليّة التذكّر والتدبّر والتفكّر

والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال.

ولهذا فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسَّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّ ما نال بنو آدم مأمولا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبُل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة بها يتم تحدي الصّعب.

وفي دائرة الممكن غير المتوقَّع، البعض يصنع له أملا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاء: ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الادميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلاّ البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنَّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلاّ الفشل.

. توليد الآمال يوّلّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يوّلّد الأمل من الأمل إلاّ ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض

غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلّغ من ورائها مأمولٌ يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛

فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكن من إنجاز المفاجئ.

ولذا؛ فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ

اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلاّ رتق الأرض بالسّماء ارتقاء⁶⁶.

مبدأ

نيل الاعتراف

الاعتراف قيمة أخلاقيّة كلّما حدثت تركت أثرا موجبا بين المعترف

والمعترف به، والذي يخسر الاعتراف به، سيظلّ جادا في محاولة نيله ممن

أنكروا الاعتراف به أو بحقوقه ووجوده.

⁶⁶ عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 153 -

ولهذا فالاعتراف قيمة إثبات وجود الآخر الذي له من الأهمية ما يساوي أهمية الآخرين، وهي القيمة الانتشارية التي يرغب الكل في نيلها من الكل؛ فهي تربط الفرد بالمنزلة، وتربط الخصوصية بالمكانة.

ومع أنّ العبودية من المحرمات الإنسانيّة فإنّ الذي تجبره الحاجة على قبول العبودية يريد هو الآخر أن يعترف له سيده بأنّه عبدٌ ناجحٌ؛ ولذلك فإنّ جميع الناس يريدون نيل الاعتراف من الجميع. ومن هنا نجد الوالدين يخلصان في رعاية أبنائهما؛ لكي ينالا منهم الاعتراف. ويحاول الأبناء أن يكونوا صالحين لكي ينالوا الاعتراف أولاً من آبائهم، وثانياً من الآخرين. وهكذا المسؤول الديمقراطي يكد ويجد لكي ينال الاعتراف من ذوي العلاقة به. وفي مقابل ذلك نحتفظ بأنّ لكل قاعدة شواذٌ.

ولذا فمن الضرورة أن يُحسّس الأنا الآخر بأهميته، وأن يعترف له بوجوده وبمقدرته على العمل والمشاركة والتفاعل والعطاء إلى النهاية؛ لأنّ الاعتراف المتبادل يقوي العلاقة بينهما ويسهم في غرس الثقة.

وعليه: تمكين أفراد الشعب من نيل الاعتراف بأنّ لهم حقوقاً، يمكنهم من ممارستها، وأنّ لهم واجبات يمكنهم من أدائها، وأنّ لهم مسؤوليات يمكنهم من حملها وتحمل ما يترتب عليها من أعباء جسام. وهكذا لعب الأدوار يزيد المجتمع وحدة وتماسكاً. وهكذا الاعتراف بما يقوم به أفراد المجتمع من جهود ناجحة يزيد من عطائهم الموجب، ويدفعهم إلى المنافسة الشاملة.

وبما أنّ نيل الاعتراف بما يلعبه الأفراد والجماعات من أدوار موجبة يزيد من عطائهم الموجب وبمكّنتهم من التفاعل والتعاون. إذن نيل الاعتراف ضرورة فلا ينبغي لنا إغفاله.

وبما أنّ القاعدة المنطقية تقول:

. الفرد قوّة.

. الجماعة أقوى.

. المجتمع أكثر قوّة.

وفي مقابل ذلك الاستثناء يقول:

. المجتمع ضعيف.

. الجماعة أضعف.

. الفرد أكثر ضعفاً.

إذن: الاعتراف إقرار بوجود، وجهود، وحقوق، ومقدرة، ومكانة، ومعرفة، وهذه في ذاتها مكامن قوّة فلا ينبغي إغفال عن أهميتها عند رسم الخطط والاستراتيجيات على أيّ مستوى من المستويات الشّعبية أو الإنسانية.

الاعتراف يحقّق النُّقلة النوعية: ولأنّ نيل الاعتراف يحقّق النُّقلة النوعية، فهو الممكن من تجاوز المستويات القيميّة الواردة في تصنيف تحليل

القيم (الذاتية - الإنسحابية - الأنايية) إلى المستوى القيمي التطلعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حجة في الحوار، وحجة في استقرار واستنباط الأمور المتعلقة بالعلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

لذا فالاعتراف بما يُبذل من جهد موجب، يؤدي إلى تحقيق الطمأنينة النفسية والرضاء النفسي ويغرس الثقة التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب؛ ولهذا فالاعتراف قيمة، ونيله مبدأ.

ولأنّ الاعتراف قيمة، ونيله مبدأ، يؤكد فرنسيس فوكوياما أنّ الرغبة في الاعتراف والتقدير باعتبارهما المحركين للتاريخ من وجهة النظر الليبرالية هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبرالية، وكذلك يؤكّد هيجل كيف أنّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التاريخ في معركة دموية من أجل المنزلة⁶⁷.

ولأنّ نيل الاعتراف مبدأ قيمي رفيع، فالكل يسعى إلى نيله حتى وإن كانوا عبيدا؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبودية، يأمل أن يكون سيده راضيا عنه، ولهذا يكّد ويجدّ ويتحمّل التعب من أجل شيء مهم جدا، هو نيل الاعتراف من سيده بأنّه عبد مخلص ومطيع ومهذب. ولذا فهو لا ينسبط إلا بانسباط سيده منه. وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصدارة والفوز بها، تراهم يبذلون

⁶⁷ فرنسيس فوكو ياما، الثقة، ص 174.

الجهود المثمرة (المحققة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهم ومن ذوي العلاقة بهم ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني، وإلا لماذا يبذلون المزيد من الجهد؟ وهكذا حال من يقول الحق، أو يعدل إذا حُكّم أو حكم، أو إذا عمل أو حتى تصوّف وتعبّد بموضوعية، أو أنه شارك في المنافسات والمناشط المتعددة (الرياضية والفنية والثقافية والعلمية والجمالية)؛ فجميع هؤلاء ومن على مثلهم يسعون لنيل الاعتراف تمييزاً وتمييزاً عن الفاشلين.

وعليه: . كن إيجابياً لتنال الاعتراف.

. كن متفهّماً لتحدث الثُّقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. ثق أنّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبّل.

. ثق أنّ الجحود مفسدة.

ثق أنّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

وعليه: يعدّ الاعتراف بالآخر منبعاً من منابع تحقيق الأمل؛ لأنّ الاعتراف قيمة حميدة والجميع يأمله، ولكن في الوقت الذي يأمله الجميع، هناك من لا يأمل أن يتمّ الاعتراف بالمختلفين والمخالفين، ولأنّ نيل الاعتراف مأمول؛ ينبغي أن تُعظّم قيمته وتفخّم حتى تسود بين الناس.

ولأنّ الاعتراف بالآخر قيمة حميدة؛ لذا، نجد الكثير من الناس يجتهدون من أجل أن يُعترف لهم بأنهم مميّزون، وذلك بما لهم من ملكات وقدرات جعلتهم يتبوؤون المراتب الأولى على أقرانهم، ممّا يدعو المقدّرين لأهمية التميّز إلى الاعتراف لهم بذلك، والشدّد على أيديهم، ومساندتهم من أجل بلوغ المواقع الإدارية والمهنية والعلمية التي من خلالها يستطيعون إظهار مهاراتهم وقدراتهم في أداء المهام التي تناط بهم.

ولهذا فمن يبذل جهداً متميّزاً عن الآخرين يتمكن من نيل الاعتراف منهم مع وافر التقدير عندما تكون مقاييسهم موضوعية. ومن هنا، وجب على المسؤول "أن يُشعرَ مواطنيه أفراداً وجماعات بأهمّيته مسؤولاً مقدّراً، وذلك بإحقاقه الحقّ، وعدله، وسماحته، وحلمه، ولين جانبه، كي يعترف له مواطنوه الذين ارتضوه حكماً بمقدرته على العمل، والعطاء للوطن إلى النّهاية، وفقاً لقواعد الدّستور المشرّع من قبل الجميع، حيث لا تغيب ولا إقصاء ولا حرمان"⁶⁸.

فقيمة الاعتراف لها من الأثر النفسي والمعنوي ما يكفي لقبول التحديّ وخوض الصّعاب من أجل ما يفيد وينفع، وفي المقابل عدم الاعتراف بالتميّز يؤدّي إلى إحباط نفسي ومعنوي يعيد المتحدّي إلى المربع الأول وكأنّه لم يكن كما كان عليه.

الاعتراف مؤسس لقاعدة (نحن معاً):

⁶⁸ المصدر السابق، ص 140.

مع أنّ قاعدة (نحن معاً) مُعطية إنسانية أخلاقية، فإنّها في بعض الأحيان تسود داخل الوطن، ولا تسود بين الأنا والآخر؛ ذلك بأسباب امتداد الأنا على حساب الحيّز الخاصّ بالآخرين؛ فتصبح المضايقات، في الحركة والسّكون، والمأكل والمشرب، والمنام والصّحوة، ممّا يدفع المختلفين والمخالفين على المستوى الدّاخلي، أو الخارجيّ إلى إعطاء التنازلات، بداية من أجل تفادي المؤلم، ثمّ من أجل اغتنام الفرصة عندما تتاح إلى أن يتمّ نيل الاعتراف سياسة واقتصاداً واجتماعاً.

إنّ قاعدة (نحن معاً) قاعدة مؤسّسة على بناء الذات العامّة، التي تنشأ وتمتدّ في المجال العلائقي الاجتماعي، ثمّ تنمو في الضمير جنباً إلى جنب مع نمو العاطفة، وتتسع مع اتساع دائرة المعارف على مستوى الأسرة، والقراية، والجيرة، والأصدقاء، وبني الوطن والإنسانيّة بأكملها، وعندما تتوقّف ثقافة الفرد عند حدّ المستوى الذاتي وتقف عنده، ولا تتطلّع إلى معرفة ما هو أوسع وأكبر، عندها تتمركز شخصيّة الفرد على الذاتيّة، ولا تفكّر في غيرها.

ولكن عندما تنفتح الذات على الآخرين تصبح ذاتاً معترفة بالآخر، ومتطلّعة إليه، تبادلها علماً، وثقافة، ومعرفة، وتجربة، حتى تصبح الشخصيّة الدّائيّة على صفة جديدة تتجاوز التوقّف عند حدود الذات، إلى المستوى التطلّعي؛ فتصبح صفتها الجديدة (تطلّعية).

ولذلك فعندما يعترف الأنا بالآخرين، يصبح لسان حالهم مشتركاً في الضمير (نحن) كما هو حال نحن العرب، وحال نحن المسلمين، أو نحن الأوربيين، أو نحن بني آدم، وهكذا لسان حال كل جماعة أو شعب بينهم روابط مشتركة.

وعليه فالمنطق الذي جعل لسان حال الشعوب والأمم لسان حال خصوصياتهم، هو الذي جعل منهم أطرافاً متواجهاً في الضميرين (نحن أم أنتم) وبخاصة إذا ما تمسك كل طرف بخصوصيته على حساب خصوصية الطرف الآخر.

فالاعتراف بالآخر (المختلف أو المخالف) يحرر الإنسان من أطماع نفسه ومظالمه، كما يحرره من أطماع الآخرين ومظالمهم، سواء أكان الآخرون من بني الوطن أم من خارجه، ولذا؛ فبالاعتراف لن يسود منطق التهميش الذي منه:

. أنا فقط.

. أنا أملك ما أشاء، وأنت لن تمتلك شيئاً.

. أنا الزعيم، ولا زعيم معي.

. أنا الرئيس، وغيري مرؤوسون.

. أنت مغيب ومقصي، وأنا السيد وحدي.

. أنا أقرر، وأنت تسري القرارات عليك.

. أنا أُحاسب ولا نحاسب .

. أنا من حقّي أن أغضب، وأنت من واجبك امتصاص غضبي .

. أنا عندما أمتدّ كما أشاء، ليس لك بدّ إلا أن تنكمش .

. أنا عندما أقصيك، عليك بالصّمت .

. أنا عندما أعزلك سياسيّاً؛ فلا نقاش .

إنّ مثل هذه السياسات هي التي أنتجت بين النّاس الظلم، والقهر، والخوف، كما أنّها أشعلت نيران الغضب في الأنفس، وجعلت من البعض تحت الاضطرار يقولون ما لا يفعلون، وجعلت من الخائفين يعملون سرّاً وعلانية من أجل استبدال الواقع المؤلم بواقع آخر شافٍ من الآلام حتى وإن كانوا الضحيّة، وهذه السياسات هي التي جعلت من الأجنبي مترقّباً ومتحيّين الفرص المناسبة لغزو الأوطان واحتلالها، وسلب خيراتها .

وهكذا، سيظلّ الألم سائداً بين النّاس شعوباً وأمماً، إلى أن يصبح الاعتراف بينهم قيمة سائدة، تسمح بالامتداد إلى النّهاية، دون أن يكون امتداداً على حساب الغير .

الاعتراف قيمة حميدة بين النّاس الذين كلّّ منهم يُقدّر الآخر اعترافاً بأنّه معطية إنسانية لا ينبغي غض النظر عنه، بل يجب الأخذ بيديه ليكون مشاركاً، وفعلالاً، وواعياً بما يجب، وما لا يجب، ممّا يستوجب تقدير الأنا

للآخر في الزّمان والمكان المناسبين للأداء والفعل، سواء أكان إقداماً أم
تجنّباً وإحجاماً.

ومن ثمّ فالاعتراف بالآخر دليل انعدام الإقصاء والتغيب والهيمنة،
ولكن إن سادت قيم عدم الاعتراف ساد في المقابل الإقصاء والتغيب
والعزل السياسي، وإن سادت هذه القيم بين النّاس تحت أيّ مبرّر ساد
العناد والإفساد والتحدّي والمواجهة، وإن سادت هذه القيم السّلبية،
سادت بينهم الفرقة والتشتت، والانقسامات، وتجزئة الوطن بأسباب
الخلاف دون مراعاة المتخالفين لما يجب، والأخذ به⁶⁹.

مبدأ

تبادل الاحترام

مع أنّ الاحترام قيمة مأمولة بين النّاس، فإنّها لا تُطلب، بل تُمنح
منحاً لكل من يعمل عليها، ومن ثمّ تتسع دائرتها كلّما أصبحت قيمة
تبادليّة بين النّاس.

والاحترام قيمة سياديّة؛ وذلك بسيادة الشّعور المرغوب والمفضّل بين
الأنا والآخر، ومن يناله يشار إليه بالمحترم، ومن لم يبلغ نيّله يظل في حاجة
إليه، إنّه الصفة الأخلاقيّة المفضّلة والمرغوبة عند النّاس، ويقول المفكّر
الأمريكي فرنسيس فوكوياما في كتابه نهاية التّاريخ: نطمع في أن يحترمنا

⁶⁹ عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 299.

الآخرون بالطريقة التي نعتقد أننا نستحقها؛ ولذا عدم تجاهل الآخر فيما يجب أن يمارسه أو يؤدّيه أو يقوم به، يجعل بين الأنا والآخر لغةً ومنطقاً مقدرين⁷⁰.

ولأنّ الاحترام قيمة حميدة فتبادله مبدأ أخلاقي وإنساني وتشريعي:
{وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}⁷¹، أي: أنه مبدأ مقرّر من الأديان والإنسانية.

وعليه: الاحترام منبع قيمى يمكن النّاس من التواصل والاستمرار به وكأهمّ أخوة، وهو منبع أمل يرحوه الجميع، ويأملون نيّله من بعضهم البعض، وذلك بما يُتّبّت علاقاتهم على الفضيلة وحسن المعاملة، وإظهار التواد بينهم وكأنّه الغاية المأمولة.

ومع أنّ النّاس مختلفون فيما بينهم، فإنّ لهم من الفضائل الخيرة والقيم الحميدة ما يجمعهم ويوحّدهم احتراماً، ولأنّ الاختلاف قيمة إنسانية فلم لا يتمّ احترام المختلف بين المختلفين من النّاس؟

ولسائل أن يسأل:

وما هو المختلف بين النّاس؟

⁷⁰ عقيل حسين عقيل، الموسوعة القيمة لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الشركة الدولية

للطباعة، القاهرة، ص 7.

⁷¹ النساء 86.

أقول: كثير متعدّد ومتنوّع، فأنا غير أنت، وهم غير أولئك، فأنا الذي أمتلك حرّية، غير (أنت) الذي قبلت بالعبودية، وهم المنحرفون عن القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، غير (نحن) أصحاب الفضائل والقيم الحميدة، وأولئك الظلمة، غير هؤلاء المقسطين والمنصفين بين الناس عدلا.

ولأنّ أمر الحياة بين الناس مؤسّس على الاختلاف والتنوّع كان من الواجب على الناس احترام المختلف والمتنوّع؛ وذلك لأجل أن تصبح الحياة بينهم مؤسّسة على المحبّة والموادّة، كما ينبغي أن تكون مؤسّسة على المشاركة والتعاون والتعارف.

الاحترام قيمة حميدة يسعى النّاس إلى تبادلها بما يقدمون عليه من أفعال وسلوكيات وأعمال تستوجب احترام القائمين بها، والكلّ يرغبه، ممّا يجعل التنافس بين النّاس بهدف تبادل الاحترام الذي لا يكون إلّا بإثبات الذات على حُسن القول والفعل والعمل والسُّلوك، ومن ثمّ؛ فالاختلاف تنوّع في ذاته يستوجب تبادل الاحترام الذي به تقدّر الخصوصيات.

أمّا الخلاف فأمره في كثير من الأحيان يؤدّي إلى الآلام، والتأزّمات، ولكن بعضه يؤدّي إلى الرّضا، ولأنّه كذلك فلم لا يتمّ احترام المخالف، سوء أكان مخالفا لك في القول، أم العمل، أم الفعل، أم السُّلوك؟ أي: ولم لا يكون الخلاف مع من يريد أن يُقرّر ظلما، أو يرتكب جريمة، أو يقتل نفسا بغير نفس، أو يريد أن يزوّر حقيقة، أو يحتكر ثروة، أو يحتلّ وطنا، أو يستعبد آخرين؟

ولهذا تبادل الاحترام مبدأً به يتم مراعاة مشاعر ومكانة المختلفين والمخالفين، وتفهم ظروفهم المتعددة، والمتنوعة سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ونفسياً، وثقافياً وذوقياً كما يتم تفهم قدراتهم، واستعداداتهم، وإمكاناتهم التي تؤهلهم للأخذ بما هو محترم ومقدّر.

ولسائل أن يسأل:

هل الاحترام يُعطى، أم يُنتزع؟

أقول:

الاحترام يُفرض فرضاً من قبل صاحبه الذي يودُّ أن يكون عليه مقدراً لدى الآخرين؛ فالاحترام لا يُعطى، ولا يوهب من أحدٍ، بل الاحترام قيمة بين الناس المختلفين يتمُّ تبادلها بما يقال، ومتى يقال؟، ولمن يقال؟، وكيف يقال؟، ثم بالفعل الذي يُفعل عن بينة وقناعة دون مظالم ولا مفساد.

ومع أنّ تبادل الاحترام في أساسه قيمة أخلاقية، فإنَّ بعض الناس لم يسلكوا سلوكاً يليق بمكارم الأخلاق، ولهذا، يصبح الاختلاف والخلاف معهم ضرورة أخلاقية.

ولأنَّ تبادل الاحترام غاية يأملها الإنسان، سواء أكان أباً، أم أمّاً، أم مسؤولاً، أم في أيِّ مكانة، وفي أيِّ مكان؟؛ فهو لا يتحقّق احتراماً إلاّ بمعطيات تُعدّ العدة المادّية والأدبية والأخلاقية من أجلها، وصولاً إلى الغاية بأسبابها؛ ممّا يجعل تبادل الاحترام المتبادل مبدأً مفضّلاً، ومن ورائه غاية من

بلغها بلغ مأمنه الذي يرتضيه لنفسه، كما تقرّه الشرائع الخيّرة، ولكن من الذي يستحقّ الاحترام؟

أقول:

المقدّر لنفسه، والمقدّر للآخرين، وهو الذي لا يقدم على فعلٍ فيه مهانة للناس، ولا لفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة، وهو الذي لا يصمت على حقّ يجب أن يقال، ولا يكتّم شهادة يجب أن يُدلى بها أمام من يحكم بين الناس بالحقّ ولا يظلم أحداً؛ فالخلاف بين الناس يؤدّي إلى افتراق الطّرق، أمّا الاختلاف بينهم فيؤدّي إلى التقائها. ولكن، هل دائماً يتحقّق الاحترام بين المختلفين، ولكلّ أحدٍ من النّاس؟

أقول:

ليس دائماً، بل في كثيرٍ من الأحيان الضّعفاء والفقراء يُحرمون من مبادلة الاحترام من الذين يمتلكون القوّة؛ فعلى سبيل المثال، الدّول العظمى التي تمتلك أسلحة الدّمار الشّامل، والمحرمّ دولياً، هذه الدّول مع أنّها تُخيفة للضعفاء، فإنّها لا تُخيف بعضها بعضاً، حتى وإن ساد اختلاف بينها، ومع ذلك يؤخذ الحذر كلّما ظهر خلاف، ومع أنّه خلاف فإنّه لن يكون إلّا خلافاً بارداً، ولهذا دائماً يدقّ جرس الخطّ السّاخن (الخطّ الأحمر) بين رؤساء الدّول الكبرى عند كلّ اتفاق، حيث القبول المتبادل، والاحترام المتبادل، مع تبادل الاختلاف والخلاف؛ ولهذا فالضحايا دائماً هم الضّعفاء، أمّا الأقوياء فتبادل الاحترام هو السائد بينهم.

وعليه فلن ينال الضّعفاء احتراماً من الأقوياء الذين يمتلكون القوّة الرّادعة والقامعة إلا إذا امتلكوا القوّة المماثلة لقوتهم، والرّاهبة لهم.

ومع أنّ تبادل الاحترام طبيعة لا يكون إلا عن إرادة حرّة، وأخلاق كريمة، وذوق رفيع، فإنّ الاحترام في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قد ينزع انتزاعاً، ولهذا من يمتلك القوّة الرّادعة يستطيع أن ينتزع الاحترام ممّن لم يسبق له وأنّ احترامه.

وعندما يبلغ الضّعفاء مراتب القوّة، ويمتلكونها، علماً، ومعرفة، ومهارة، لا شكّ أنّهم سيصبحون في صفوف الأقوياء من المقدّرين والمحترمين؛ فمثل هذه القوّة المرهبة تعيد من يمتلكون القوّة إلى إعادة حساباتهم وقراءاتهم تجاه من لم يسبق لهم وأن جعلوا له وزناً.

ولذا؛ فإنّ أردنا استقراراً وأمنًا سائدين بين النّاس، أفراداً، وجماعات، وشعوباً، ودولاً؛ فعلينا أن نحترم بعضنا بعضاً دون اللجوء إلى القوّة المرهبة والمرعبة للأنفس البشرية، حتى يتمكّن الجميع من فتح آفاق التواصل، والاستيعاب، والمحبة، قوّة أخلاقية، دون اعتداء ولا مظالم.

وعليه: قد يتساءل البعض:

متى تكون العُدّة بين المختلفين والمتخالفين مخيفة؟ ومتى تكون مُرهبة؟

أقول:

العدّة مخيفة من حيث كون قرار استخدامها بشريا، ولهذا؛ فالخوف لن يكون من العدّة، بل الخوف من البشر الذين يظلمون ويحقدون ويكرهون ويُفسدون ويسفكون الدماء في الأرض بغير حقّ.

أمّا من حيث كونها مُرهبة فهي بما تُلحقه من دمار وفتك بالبشر وما يمتلكون؛ فالقنابل مُرهبة، والصّواريخ مُرهبة، وكلّ ما من شأنه أن يترك دمارا هو مُرهب، ولذا؛ فإنّ إعداد العدّة لردع الظّالمين والمفسدين يرهبهم، كونهم أكثر من يعرف ما ستتركه العدّة (القوّة) من مخاطر ودمار، وبخاصّة أنّ العدّة في حالة تطوّر سريع مع تطوّر العلوم والمعارف ولذلك؛ فمع تطوّرهما يتضاعف دمارها؛ فالدّول الكبرى المملّكة لأسلحة الدمار الشامل، هي أكثر خوفا ورهبة ممّن يحاول الالتحاق بها في هذا المضمار النّووي.

ولأنّها على هذه الحالة النفسيّة فهي لا شكّ ستكون خير من يقدر ويتفهّم ويحترم ظروف من أصبح يمتلك القوّة، أمّا الضّعفاء؛ فالاختلاف والخلاف معهم سيظل من قبل الأقوياء، ولن ينتهي إلّا بامتلاك القوّة المتماثلة وحينها يصبح تبادل الاحترام مبدأ بعلة الحاجة والضرورة⁷².

⁷² المصدر السابق، ص 316.

مبدأ

ترسيخ الشفافية

الشفافية قيمة أخلاقية غايتها إظهار الحقيقة (هي كما هي)، إنّها وضوح الرؤية وتجلي الحقيقة؛ إذ لا شيء يخفى، أي: بما أنه شيء، فكيف لنا أن نخفيه من الوجود؟

ولهذا فالشفافية وضوح في المعاملة بين الأنا والآخر، ولا سرية عنهما فيما لهما فيه حق، وتعامل إرادي تنساب من خلاله المشاعر والأحاسيس بين المتفاعلين أو المشتركين في أداء المهام بكل ود.

وهي قيمة ترابطية بين الكامن المعرفي والظاهر السلوكي، بها تتضح العلاقة بين الفرد ومحيطه المعلوماتي، فلا سرية عمّن يتعلّق الأمر به. وهي أيضا تلغي الشكوك من القاموس السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتمكّن الفرد من الاندماج والتواصل مع الآخر. فيها الرقي الذوقي والوضوح المجرد من كل شائبة؛ فالشفافية قيمة شرطية لممارسة الحرية بإرادة، وبها تُقدّم الأشياء على حقيقتها هي كما هي دون أي تزوير أو تشويه أو إخفاء عمدي.

ولأنّ الشفافية ضرورة لاستمرار المشاركة الناجحة والبناء، إذن: لم لا

ترسخ؟

أي: لم لا تُثبَّت مبدأً معرفيًا وسلوكيًا حجّةً وفعلاً وثقافةً؛ حتى تصبح عرفًا إنسانيًا وأخلاقيًا من خلال سن القوانين الضامنة لممارسة الحقوق بشفافية، وأداء الواجبات بشفافية، وحمل المسؤوليات بشفافية؟

ولأنّ الشفافيّة قيمة حميدة، فهي تواجه الفساد والمفسدين بحجج ودلائل وحقائق دامغة (نزاهة أو إدانة)، وهي: بغاية المحافظة على رأس المال وما يعود عليه من مكاسب، بلا خيانة عمل ولا تبييض أموال ولا اختلاسها على حساب حسن الإدارة وجودة الأداء وسمعة الأنظمة السياسية والاقتصاديّة والماليّة سواء على مستوى الشركات أم مستوى الدّول.

ولأنّها كذلك: فلم لا ترسخ مبدأ أخلاقيا بداية من العلاقات الأسرية ونهاية إلى علاقات الأفراد مع العمل ومؤسّسات الدولة، ورأس سلطانها دون خوف؟ ولم لا ترسخ الشفافية تطبيقا على رأس السّلطان أو ربّ العمل قبل أن تطبّق على القوى العاملة والمواطنين؟ أي: متى يصبح رأس الدولة رأس بين الرؤوس والشّعب قمّة بكلّ شفافية؟ أي: متى يصبح المواطن غير منعوت بالتهم ورأس الدّولة آمن؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير متى يفسح لها المجال لتقال في وسائل الإعلام ولا خوف على سلامة الشفافية؟

وعليه: فالشفافية كلمة حقّ في مواجهة باطل، وهذا يعني: لو لم يكن الباطل في مواجهة الحقّ ما كانت الشفافية في حاجة لأن ترسخ مبدأ بين نحن (الأنا والآخر).

ولأنّ الباطل عشعش في مؤسّساتنا وأوطاننا وعقولنا، فمن يا ترى سيكون شفافا ليقول الحقّ، ويقدم على وضع أصبعه في عين الباطل وهو واثق بأنّ أصبعه سيعود إليه؟

وعليه: إذا أجبنا عن هذه الأسئلة ترسّخت الشفافية، وإذا تحايّلنا عليها فهل يحقّ لنا أن نقول: نعم نحن نملك الأصابع؟

مبدأ

الاستيعابُ احتواء

الاستيعاب قيمة أخلاقية تستوجب أن يتمّ احتواء الغير وإن كانت لهم خصوصيات مختلفة مع خصوصياتنا، على أن يكون الاستيعاب بغاية تنقية ثقافة المستهدف بالاستيعاب وتصحيح انحرافاته إن كان من المنحرفين؛ ولذا فالاستيعاب يفتح آفاق التقبّل والتفهّم أمام الجميع كما هم، وليس كما يجب أن يكونوا عليه، ولهذا يعدّ الاستيعاب احتوائيّ لا استثناءات فيه ولا حرمان؛ ومن هنا يعدّ الاستيعاب حيّز نفسي يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل واختلاف مع تقدير ما يختلف به واحترامه، وهو منبع من منابع الأمل التي يأملها الناس؛ فالاستيعاب كونه

قيمة حميدة لا يكون إلا بقرار مسبق، به يتم قبول الغير وتفهم ظروفهم وتقدير أحوالهم وتقبل ما يختلفون به أو بما هم به يتميزون؛ فالاختلاف والخلاف توأمان في دائرة الاستيعاب، لا يقبلان بالرأي الواحد، ولا الحزب الواحد، ولا الفكر الواحد، كما أنّهما لا يقبلان بأيّ إكراه، أو إقصاء، أو ظلم، أو قهر، أو عدوان بغير حقّ، وبذلك فقيمة الاختلاف والخلاف تزداد أهمية وضرورة، كلّما ظهر ظلما، أو إكراها، أو حرمانا ومع ذلك فأبواب الاستيعاب مفتوحة؛ أي لو لم يكن الاختلاف والخلاف، ما كان للاستيعاب وجود، ولا ضرورة ولا أهمية، ولأنّ الاختلاف والخلاف سابقان من سابقٍ على كلّ سابق؛ فهما لا يكونان مستقلّان عن سابقٍ معهما، وبذلك؛ فهما الرفيقان للعاقل الذي كان متميّزا بهما، وبالاستيعاب معا.

والاستيعاب قيمة احتوائية، تعتمد تقبل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما، دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائماً الغاية من ورائهما هي نيل المأمول، الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلاّ بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الآخر.

فالاستيعاب يُمكن أصحابه من الإلمام بالموضوع، كما يمكنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن الآتي:

. استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكنهم من التعرف عليها، وتحفّزهم على العمل بها.

. استيعاب السّليبيات، وتحديدّها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

- استيعاب المختلف والمخالف، واحتواؤهما دون انحياز، ولا عصبية، انطلاقاً من أنّ الفروق الفردية بين الناس، هي مكّمة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من التفاهم، والتفهم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف، ينهي التآزّات، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة، بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف يجعلهم في دائرة (نحن سوياً).

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من توليد القوّة، وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا، يجب أن يكون الاستيعاب بلا تردّد، والتقبّل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول. ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاها، يحدث التفرّق والصدّام والصّراع، وتتجذّر العداوات بين الناس، بأسباب التدافع عن غير حقّ.

فالاستيعاب قيمة حميدة يجمع الشّمّل، ويمكّن من إنجاز الصّعب في دائرة الممكن، وهو الممكن من الوقوف على نقاط التمرکز والتشّت التي تجعل المختلفين على الفرقة والضعف، ممّا يستوجب الأخذ بنقاط الالتقاء

واعتمادها جزءً من الحلّ، ونقاط الاختلاف واعتماد تجنّبها جزءً من الحلّ، فالإلمام بالمشكلة، وظروفها المتنوّعة، والمتغيّرة، والمتباينة، والمتصادمة، يُمكن الجميع من معرفة العلل، والأسباب مكامن الإصلاح والحلول، حيث لا حلّ إلاّ ونابع من عِلّةٍ، أو سببٍ.

وعليه: فالاستيعاب، هو المحفّز والدّافع إلى الحلّ، الذي لا يتمّ بلوغه إلاّ بعد خوفٍ يُمكن منه.

ولسائل أن يسأل:

كيف يمكن أن يكون الاستيعاب، لو اتخذنا العرب مثلاً للتطبيق؟
أقول:

العرب مع أنّهم بنو قوم واحدٍ، إلاّ أنّهم متفرّقون بين تقي وشقي، وظالم وعادل، وحاكم ومحكوم، وسيدٍ ومسود، وغني وفقير، وقاصٍ ومُقصٍ، ومستقرٍ ومهجّر، ومسلمين ومسيحيين، وسنّة وشيعة، وكرد وتركمانستان، ودرروز وأمازيغ، وطوارق وتبو وغيرهم من التنوّع الذي يرسم خريطة الوطن العرب جمالاً؛ ولذا إن أردت العرب حلّاً لمشاكلهم السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، والنفسيّة، والذوقيّة؛ فعليهم بالاستيعاب الذي لا يستوجب اشتراطات، سوى الجلوس سوياً تحت مظلة الوطن الواحد للشّعب الواحد، من الحدود إلى الحدود، وطن فيه الحقوق تمارس،

والواجبات تؤدّى، والمسؤوليات تُحمّل، والتداول السّلمي على السلطة هو العنوان الذي يضمّنه الدستور.

أمّا الاشتراطات؛ فهي عبارة عن مجموعة من الموانع والعقبات التي توضع من قِبَل أحد الأطراف ضدّ الأطراف الأخرى؛ فتحول دون التّمرّكز على قاعدة الاعتبار (نحن سويا)، فيتولّد الإقصاء والتغييب والتهميش، والعزل السياسي، وهذه جميعها تدفع الإنسان إلى الرّفص والتمرّد والتطرّف والثورة التي ليس من بعدها إلّا بلوغ الحلّ.

ولذا فالاشتراطات في كثير من الأحيان مصدرها فوقي، تصدر من أعلى درجة طبقية إلى أسفل درجة على درجات السّلم القيمي، وهي إملاءات مانعة للاستيعاب، وتتطلّب تنازلات، ثمّ المزيد من التنازلات كلّما تمّ قبول لاشتراطٍ من اشتراطاتها، ممّا يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلّا ما يقطع خيوط الاتصال التي يمكن أن تربط مع الآخر.

فالسّلطان، أيّ سلطان إنّ أراد له ربيعًا مُزهرًا؛ فعليه بالاستيعاب، الذي يجمع المواطنين تحت مظلة الوطن ملك للجميع، ولكن إنّ أراد مشاهدة أوراقه تتساقط؛ فعليه بالإقصاء، والتغييب، والتعذيب، والتحجير، والتسفيه، وارتكاب المظالم، ما ظهر منها وما بطن.

وفي المقابل ستظلّ قمّة السّلطان في الدّولة قمّة، إذا تمّ اختياره برغبة، ووفق عقد اجتماعي، وعن إرادة حرّة، وكان عادلا مقتدرا، يتقبّل الجميع ويستوعبهم تحت مظلة الوطن الدّافئة، أمّا من يقدم على أفعال الإبعاد،

والحرمان، للمواطنين بغير حق؛ فلا يستغرب إنَّ واجهه برد قارس، يجعل أوراق سلطانه تتساقط، كما تتساقط أوراق الخريف.

ولأنَّ الاستيعاب قيمة احتوائية، فهو القيمة التي تعترف بالآخر، وتتقبَّله مشاركا وطنيا، يمارس حقوقه، ويؤدِّي واجباته، ويحمِّل مسؤولياته، ومن ثمَّ لن تُحلَّ المشاكل بين النَّاس، إلَّا بالاستيعاب الذي يُحفِّز على التقارب، ويؤدِّي إلى التفاهم، أمَّا الإقصاء والتغيب والعزل السياسي فلا تؤدِّي إلَّا للفرقة واتِّساع الهوة بين المواطنين.

ولذا لا تُحلَّ المشاكل بين النَّاس إلَّا بالاستيعاب، ولا يُصنع المستقبل المشترك إلَّا بالاستيعاب الذي يُحفِّز على التقارب، ويؤدِّي إلى التفاهم، ويمكن من الاندماج والوحدة، ويحقِّق الأمن والعدالة والإعمار والبناء، كما أنَّه يؤدِّي إلى التسامح والتصالح، ومن هنا؛ فهو منبع أمل.

والاستيعاب كونه قيمة حميدة؛ فهو المستمدُّ من قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }⁷³، تبين هذه الآية أنَّ الاستيعاب قيمة جمعيَّة على ثلاث مراحل:

المرحلة الجمعيَّة الأولى: جاءت المخاطبة للأمة الوسط جميعها لا لفرد، ولا لجماعة بعينها، ولا لطائفة من طوائفها، ولكن كيف يمكن للأمة الوسط أن تكون مجموعة (وحدة واحدة)؟

⁷³ البقرة 143.

بالتأكيد الأمر ليس هينا مع أنّ معطية الجمع بيّنة لا غبار عليها؛ فالأمة الوسط بدون شك لا يجمعها إلا الحقّ البين، والحقّ بالنسبة للأمة الوسط منزلّ تنزيلا، ولأنّه الحقّ من عند الله؛ فهو الثابت الذي لا يتغيّر، ولهذا ستكون الأمة الوسط شاهدة على الناس يوم القيامة بالحقّ الذي لا يتغيّر.

المرحلة الجمعيّة الثانية: جاءت المخاطبة للناس (الجمع المطلق) مصداقا لقوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)؛ فهي لم تستثن أحدا من الناس، أفرادا وجماعات، وطوائف وشعوبا، وقبائل وأقواما وأمما، وذلك لأنّ الدين الذي ستكون الأمة به شاهدة على الناس، هو دين الناس كافة: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }⁷⁴.

المرحلة الثالثة: إنّ الأمة التي ستكون شهيدة على الناس يكون الرسول الكريم محمّد عليه الصلّاة والسّلام هو الشّهد عليها، ولأنّ الأمة كلّ الأمة هي شاهدة على الناس؛ فبطبيعة الحال سيكون الشّهد على الشّاهدين على الناس، شهيدا على الكافة، ولأنّ الرسول محمّدا عليه الصلّاة والسّلام مرسل للكافة؛ فكيف لا يكون هو الشّهد على الكافة؟ قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ

⁷⁴ الحجرات 13.

مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ {75}.

وعليه فالاستيعاب قيمة امتدادية ترسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر
وفقاً لقاعدة النسبية حيث لا مطلق إلا من عند الله تعالى، ولذا تترتب قيم
الأفراد والجماعات اجتماعياً على السلم القيمي من المستوى الأناني إلى
الإنسحابي إلى الذاتي ثم إلى التطوعي والموضوعي.
وبناءً على هذه المستويات القيميّة الخمس تمتدّ قيمة الاستيعاب أو
تنكمش.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، لذا فإنّ استيعاب البعض للبعض هو
الذي يؤدي إلى توسيع دائرة القبول والرفض التي تؤسّس قاعدة للتعامل
بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أنّ الاستيعاب قيمة احتوائية تطوى الهوة بين الأنا والآخر، إذن:

القاعدة هي:

الاستيعاب يطوي الهوة.

والاستثناء هو:

الإقصاء يزيد الهوة اتساعاً.

ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك علينا أن نجيب على السؤال: كيف يصبح الاستثناء

هو الاستثناء؟

عندما تستثني جماعة ما عضوا من أعضائها من المشاركة، أو يستثني مجتمعا ما جماعة من جماعته من المشاركة، فإنّ هذا الاستثناء يخالف القاعدة التي تستوجب مشاركة كلّ أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابية، وهذه قاعدة.

والاستثناء لا استيعابي وهذا استثناء. أي: إذا اعتمد البعض الاستثناء قاعدة؛ فسيجدون أنفسهم يوما ما مستثنون، ولهذا يجب أن يستثنى الاستثناء ليكون الاستيعاب هو القاعدة، وهنا تكمن الحلول والمعالجات والخروج من التآزّات.

ووفقاً لقاعدة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يمكن أن يكون الضّعف قوّة استيعابية، ويمكن أن تكون القوّة ضعفا استثنائي.

على سبيل المثال: طاعة الوالدين.

هل هي ضعف أم قوّة؟

الإجابة الموضوعيّة أنّها تقع في دائرة الممكن.

كيف؟

من زاوية أنّها قوّة إيمانية (طاعة الوالدين في غير معصية الله واجبة).

ومن ناحية عقلية منطقية مجرّدة؛ فهي القبول بالخضوع، بتنازلات قد لا تكون مرضية لنا (على عكس من رغباته أو طموحاته)، ولهذا قد ترغب الأنا الإقدام على فعل الشيء، وفي الوقت ذاته تواجهها قوّة ممانعة أو رفض من الوالدين أو أحدهما.

وهكذا الحبّ هو الآخر ذو أثر قوّة، وأثر ضعف في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولذا فالحب قوّة موجبة، وقوّة سالبة.

قوّة موجبة: حيث يُمكنك من استيعاب الآخر بلا تردّد، وغزوه أو غزوك بلا حدود.

وهنا نلاحظ شيئين متناقضين هما:

الاستيعاب الموجب: الذي فيه فُسحة للنفس وللذوق الرّيفع ولقوّة الحواس، حيث ينقلك من مواقع الغفلة إلى قمم الفطنة، التي تمدّك بالصّحوة في كلّ حين، وتفتح أمامك آفاق تُمكنك من نيل الاعتراف والتقدير، وتجعل مشاعرك في حالة فيض كلّما تُبادل بمثلها. وهنا يكون الحبّ قوّة تركز التعادل بين المحبّين؛ فكلما تمتد مسافة لتماماً الآخر مودّة تقدّم نحوك بالتمائل ليملاك ودّاً، وحينها يصبح الحبّ بين (الأنا والآخر) قوّة استيعابية، تُمكن من الإبداع والعمل المنتج والتحدّي لمواقع الضّعف والتردّد.

الاستيعاب السّالب: هو الذي يجعلك في حالة تنازلات كلّما فكّرت في الابتعاد، أو الانفصال، حيث لن تطيق الفراغ من بعده (بعد غزوته) التي جعلتك أسيراً بلا قوّة.

والذي يسيطر عليك هنا ليس القوّة كما تعتقد، بل الضّعف (القوّة السّالبة للإرادة) ولذا وفقاً لقاعدة المتوقّع ستكون أسيراً خائفاً متردّداً.

أمّا بالنّسبة لغير المتوقّع فمن الممكن أن تقبل بدفع الثّمّن وتنفض الغبار من على ظهرك. ما يجعلك في حالة استرداد للقوّة. وتأكّد أنّك تستطيع أن تفعل إذا كانت الغزوة استعمارية استعبادية أو استعلائية. أما إذا كان ودّاً متبادلاً إرادياً فيكون الحبّ قوّة تستوجب الاحترام والتقدير دون أن تكون هناك مغالبة.

وعليه فالمحبّة قوّة غازية متحديّة تدهم كلّ قوّة، ممّا يجعل المحبّ ليس له بدّ إلاّ رفع راية الاستسلام، وهنا يكمن الضّعف قوّة.

وفي كلتا الحالتين الحبّ قوّة بضعفه وبقوّته. ولهذا لو لم يكن الضّعف قوّة ما كان له الأثر السّالب، ولو لم يكن الحبّ قوّة ما كان له الأثر الموجب.

وعليه:

فإنّ الاستيعاب ضرورة لا يكون إلاّ بقبول تقديم شيء من التنازلات من أجل الحلّ أو بلوغ الغايات ونيل المأمول المشترك، ومع ذلك فإنّ

التنازلات هنا لم تكن على حساب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات، بل هي داعمة لها توافقا. فالاستيعاب قيمة ذات اثر على شخصيات الأفراد والجماعات والمجتمعات بدرجات غير متساوية، ونظرا لوجود الفروق الفردية من حيث القدرات والاستعدادات والثقافات والتعليم، فإنّ شيئا من التنازل يجعل من قيمة الاستيعاب ضرورة ذات أهمية تستوجب الاحترام والاعتبار والتقدير كما تستوجب التفهّم الذي يجعل لكلّ خصوصيّة أهمية على السّلم القيمي وفقا لحماسي عقيل لتحليل القيم الذي يأخذ المستويات الآتية:

أوّلا . المستوى القيمي الموضوعي ويتمركز على:

- . تقبّل الآخر كما هو بغضّ النّظر عن لونه أو جنسه أو دينه أو انتمائه أو خصوصيّته الاجتماعيّة، مع تقديره واحترام آرائه بما يُمكن الأفراد من التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني.
- . التفهّم المتبادل بين الأنا والآخر يعدّ أساسا لبناء مجتمع الفكرة الذي يؤسّس على تبادل القيم الفاضلة.
- . التعامل بكل شفافية مع الآخر بما يحقّق الاستيعاب والتفاعل والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيّات.
- . الوعي بالحقوق والواجبات والمسؤوليّات.
- . تقدير الآخر والاعتراف به.

. إبداء الاستعداد لغرس الثقة في الغير.

. التملك وفقا للحاجة، والعمل وفقاً للتخصص والخبرة، والإنتاج وفقاً

للمواصفات والمعايير النوعي.

. المساواة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته.

. التجرد من الانحياز غير العادل.

. إدراك الحقائق كما هي لا كما يجب أن تكون عليه من وجهة النظر

الخاصة.

. الأخذ بالمصادر الطبيعية كالعرف والدين في تقييم وتقييم السلوك

والفعل.

ثانياً . المستوى التطلعي ويتمركز على:

. الانفتاح على الآخر من أجل ما يفيد مع عدم التفريط في الذات

التي ينتمي إليها الأفراد أو الجماعات.

. أدراك ما يجري ومحاولة تكوين علائق على أكثر من مستوى موجب.

. التهيؤ للتغيير النافع.

. الاعتماد على المنطق في الحاجة.

. المقدرة على الاستنباط المجرد للحقائق.

. الطموح بما لا يطمس الهوية.

. الاعتدال والاتزان الانفعالي مع القيم الذاتية والقيم المتطلّع إليها.

ثالثاً . المستوى الذاتي ويتمركز على:

. حبّ الذات الاجتماعيّة.

. التعصّب إلى مقومات الخصوصيّة حتى ولو كانت على غير صواب.

. التمسك بالموروث حتى وإن كان في حالة عدم اتزان مع واقع العصر.

. التباهي بالذات الاجتماعيّة حتى وإن لم تكن مواكبة لحركة التغيّر

المفضّل.

رابعاً . المستوى الإنسحابي ويتمركز على:

. الانسحاب من القيام بالأفعال الموجبة أو المشاركة فيها.

. الميل إلى الأنانية.

. عدم تحمّل المسؤولية.

. عدم الإسهام في بناء الشخصية الوطنيّة.

. التمسك بمطالبة الحقوق والانسحاب من أداء الواجبات.

. لا تُعدّ السلبية من الأعمال المعيبة.

. التمثيل لا يعدّ عيباً وبالتالي من يستطيع أن يقوم بالواجبات نيابة

عن المنسحب فليقم بها.

خامسًا . المستوى الأناني ويتمركز على :

. الأخذ بالأنانية وعدم تقبّل الآخر .

. تغليب مصلحة الأنا على مصلحة الذات .

. تجاوز الحدود على حساب الآخرين .

. المعيار: (أنا كلّ شيء) .

. المقياس: (الأخذ بدون عطاء) .

وعليه:

. لا تكن أنانيا فالأنانية نقيصة .

. لا تكن إنسحابيًا من اتخاذ المواقف الموجبة؛ فالانسحاب معيبة لا

تليق بمن خلق في أحسن تقويم .

. احترم ذاتك يحترمك مجتمعك ويُقدّر الآخرون .

. تطلّع إلى ما هو أفضل وأجود تحدث لك الثقله وتصنع لك

مستقبلاً .

. كن موضوعيًا تنل الاحترام والتقدير وتكسب الهيبة .

وبناء على ذلك يكون دور الأخصائيين المهنيين العمل وفقا لما يُمكن

من تصحيح الأخطاء وتجاوزها لما يحدث النقلة باتباع الآتي .

. تحدد المستوى القيمي الذي عليه حالات الأفراد والجماعات.

2. البدء مع الحالات من حيث هي، ومع الأفراد من حيث هم.

3. العمل على نقلهم إلى ما يجب أو تحفيزهم ودفعهم إليه.

ولهذا يعدّ الاستيعاب فُسحة امتداد المسموح به إلى النهاية، ولهذا إعطاء الفُسحة قاعدة، وعدم إعطائها استثناء؛ ولذا فالفُسحة فرصة يجب ان تُغتنم بموضوعيّة، وعليه:

- أعط الفرصة.

- أعط الفُسحة.

- اسح بالاعتنام.

- قيم مجهود من أعطيت له الفرصة.

- قارن المجهود بالعائد من ورائه.

- قيم حتى تكتشف نقاط القوّة والضعف.

- قوم وصحح الانحراف.

وبناء على هذه المبادئ والقيم المتضمنة في النّظرية الاجتماعية (الإنسان اجتماعي بطبعه) فإنّ تقدير الحالة وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والدوقية والثقافية هو الممكن من تأكيد وتحقيق قيمة الاستيعاب؛ ولهذا:

. تفهّم ظروف الآخر.

. تفهّم واقع الحالة كما هي.

. تفهّم الصّعوبات التي تواجه العملاء.

. قدّر حالاتهم وظروفهم.

. لا تصدر عليهم أحكاما مسبقة.

. أعط الفرص وافترض خيرا.

. اعرف أنّ كلّ شيء ممكن.

ولأنّهُ لا استيعاب بدون رغبة. إذن عليك بتهيئة العملاء للاستيعاب،
إذا أردت العمل معهم من حيث هم إلى حيث ما يجب، لأجل إحداث
النقلة التي لها يُصنع المستقبل، ثمّ:

- تقدّم برغبة.

- اعمل بوعي.

- انطلق بقوة الإرادة.

- استوعب عن عمد.

- حلّ بمنطق.

- شخّص على واقع.

- قَوْمٍ بِمَوْضِعِيَّةٍ.

. قَرَّرَ عَنْ مَعْرِفَةِ وَدِرَايَةِ حَيْثُ لَا وَجُودَ لِمَا يَعْيقُ، وَاعْتَبَرَ تُعْتَبَرُ، وَقَدَّرَ
تَقَدَّرَ، وَاسْمَحَ بِالْإِمْتِدَادِ يَسْمَحُ لَكَ بِالْإِمْتِدَادِ، وَتَطَّلَعَ لِلْغَيْرِ يَتَطَّلَعُ إِلَيْكَ،
وَفِي الْمَقَابِلِ إِذَا اسْتَنْثَيْتَ تَسْتَنْثِي، وَإِذَا غَيَّبْتَ تُغَيِّبُ.

وَمَا أَنَّ نَيْلَ التَّقْدِيرِ حَاجَةٌ مَاسَّةٌ لِلْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْمَجْتَمَعِ. وَلَا يَتِمُّ نَيْلُهُ
إِلَّا بِالِاسْتِيْعَابِ. فَلِمَاذَا لَا يَسْعَى الْجَمِيعُ إِلَى نَيْلِهِ بِالِاسْتِيْعَابِ وَبِكُلِّ
شَفَافِيَّةٍ؟

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

صدر للمؤلف

صدر للمؤلف الدكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (175) مؤلفا منها: ستة موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية (4 مجلدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مجلد)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلدات)، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلد)، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنة (27 مجلد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللّغة الإنجليزيّة، والتركيّة.

المؤلفات

- 1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.
- 2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.
- 3 . فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.
- 4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.
- 5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.
- 6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.
- 7 . البُستان الحُلْم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.
- 8 . التصنيف القيمي للعملة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.
- 9 . الديمقراطية في عصر العملة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.
- 10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

- 11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.
- 12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.
- 13 . خدمة الفرد قيم وحدائث، دار الحكمة، 2006م.
- 14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.
- 15 . البرمجية القيمة لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 16 . البرمجية القيمة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 17 . البرمجية القيمة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 18 . الموسوعة القيمة لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 19 . البرمجية القيمة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- 20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

- 21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت - دمشق، 2009م.
- 22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2009م.
- 23 . ألتتم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

- 31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 39 . محمد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

- 40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

- 49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 51 . التطرف من التهيؤ إلى الحل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 52 . ألسنا أمةً وسطاً، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 56 . سنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.
- 57 . خريف السلطان (الرحيل المتوقع وغير المتوقع) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

- 58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.
- 60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.
- 61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.
- 62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.
- 65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.
- 66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعية) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة
والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقى للطباعة
والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقنية)، شركة الملتقى للطباعة
والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى،
بيروت، 2011م.

73 . ربيع الناس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر
والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر،
بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع،
القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الربيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

80 . الهوية الوطنية بين متوقع وغير متوقع، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحل، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خلق - نشوء - ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85. مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87. آدم من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88. إدريس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89. نوح من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89.

90. هود من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91. صالح من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92. لوط من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93. إبراهيم من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

- 94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 95 . إسحاق من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 96 . يعقوب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 97 . يوسف من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 98 . شعيب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 99 . أيوب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 100 . ذو الكفل من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 101 . يونس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 102 . موسى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

- 103 . هارون من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 104 . إلياس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 105 . اليسع من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 106 . داوود من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 107 . سليمان من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 108 . زكريا من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 109 . يحيى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 110 عيسى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 111 . محمد من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

- 112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة،
2017م.
- 113 . صنّع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة
2017م
- 114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2017م
- 115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2017م
- 116 . من الفكر إلى الفكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة
2017م
- 117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة
2017م
- 119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة
2018م.

122 . الواحديّة من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب)
مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التآزّمت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة
2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي
للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحاً للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2018م.

130 . غرس الثقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيّة (قواعد ومبادئ قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفية استطلاع الدراسات السّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلاً)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 – مبادئ الخدمة الاجتماعيّة (تحدي الصّعاب وإحداث التّقلّة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

- 139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 140 _ التطرف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 144 _ القوّة تفكّ التآزّمت، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 145 _ إحداث التُّقلة تحدّ، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 146 _ نيل المأمول قمّة، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 147 _ نحو النظريّة خلقًا، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظرية نشوء، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع،
القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظرية ارتقاء، مكتبة القاضي، المصرية للنشر والتوزيع،
القاهرة، 2020.

150 - الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، المصرية للنشر
والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار
القاضي، 2220.

152 - قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

153 - خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة
والنشر، القاهرة: 2021م.

154 - المنهج العلمي وإحداث النُّقطة، المصرية للطباعة والنشر،
القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة
والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة
والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر،
القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة:
2021م.

159- أحمد أمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر،
القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة
والنشر، القاهرة: 2021م.

162- كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164. أيد السارق تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 - العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي،
القاهرة: 2022م.

166 - النُّقْلة من التَّكْيِيف إلى التَّوَاظِق، المصريَّة للطباعة والنشر،
القاهرة 2022م.

167 - أوهام الأنا (اللاهوتية)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 - استرداد السيّادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة،
2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

170 - العقل قيد (من الأمية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي،
القاهرة، 2022م.

171 - الرّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة،
2022م.

172- الدّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر،
القاهرة، 2022م.

173- النشوز والقيم القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة،
2022م.

174 - استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل
المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

175 - الخدمة الاجتماعية الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية
للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

المؤلف في سطور

أ.د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشرف الأولى جامعة الفاتح

(طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية، الولايات المتحدة الأمريكية (جامعة

جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًا لقطاع الشؤون

الاجتماعية، ثم كلف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي

2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًا للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشعب العام

2009م.

. صدر للمؤلف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (175) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: <https://draqeel.com/>